رسالة المبدأ والمعاد

للإمام الرباني الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي

المتوفى سنة ١٠٣٤ هـ



ويليه

عطية الوهاب
الفاصلة بين الخطأ والصواب

و

ترجمة أحوال الإمام الرباني
أحمد الفاروقي السرهندي

كلاهما للشيخ محمد مراد المنزلوي المكي

ويليه

الرحمة الهابطة في تحقيق الرابطة

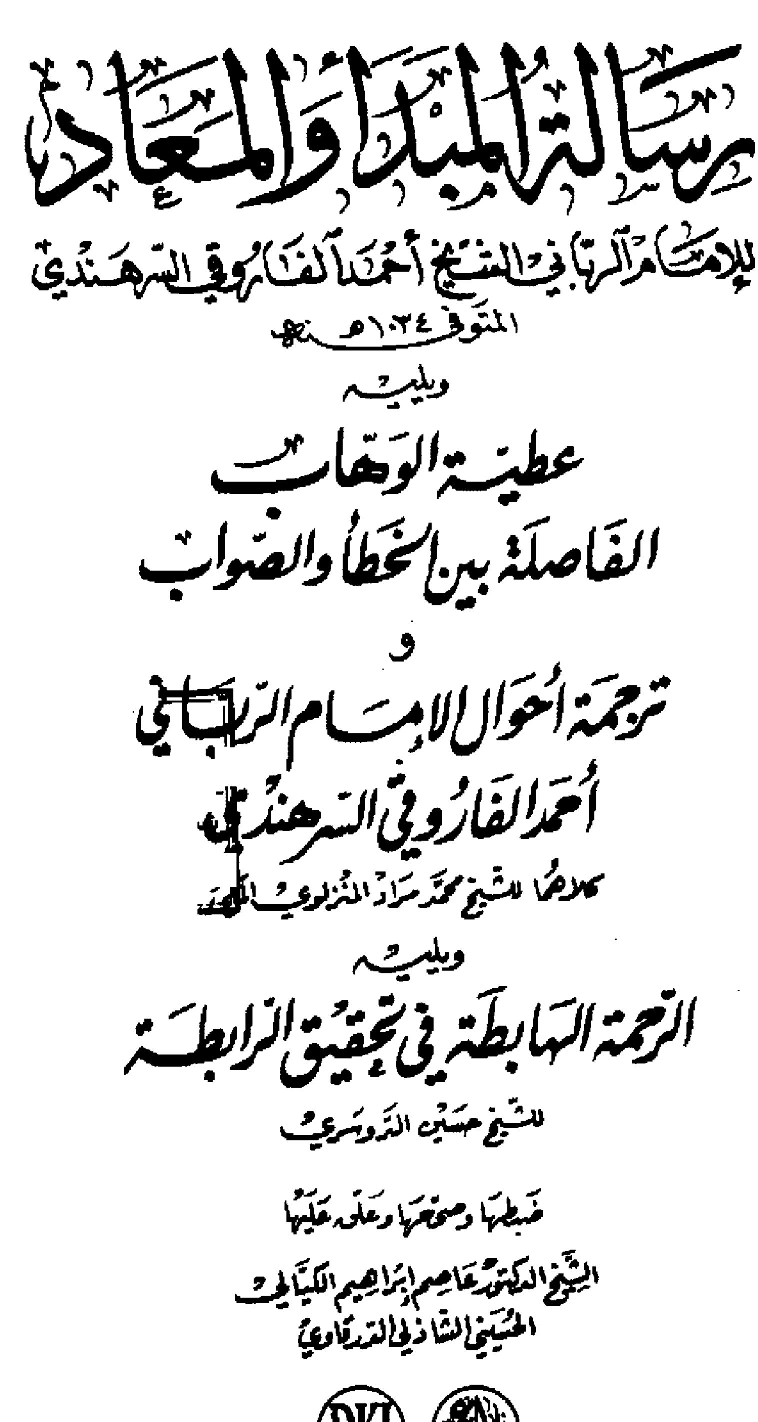
للشيخ حسين الدوسري

ضبطها وصححها وعلق عليها

الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي

الحسيني الشاذلي الدرقاوي





رسالة المبدأ والمعاد

للإمام الرباني الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي

المتوفى ١٠٣٤ هـ

ويليه

عطية الوهاب

الفاصلة بين الخطأ والصواب

و

ترجمة أحوال الإمام الرباني

أحمد الفاروقي السرهندي

كلاهما للشيخ محمد مراد المنزلوي المكي

ويليه

الرحمة الهابطة في تحقيق الرابطة

للشيخ حسين الدوسري

ضبطها وصححها وعلق عليها

الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي

الحسيني الشاذلي الدرقاوي

DKI

دار الكتب العلمية

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971

بيروت - لبنان

Title: RISĀLAT AL-MABDA' WAL-MA'ĀD

followed by 'AṬIYYAT AL-WAHHĀB AL-FĀṢILAH BAYN AL-KHAṬA' WAL-ṢAWĀB

followed by TARJAMAT AḤWĀL AL-'IMĀM AL-RABBĀNĪ AḤMAD AL-FĀRŪQĪ AL-SARHANDĪ

followed by AL-RAḤMAH AL-HĀBIṬAH FĪ TAḤQĪQ AL-RĀBIṬAH

Author: Al-'Imām Aḥmad al-Fārūqī al-Sarhandī
— Muḥammad Murād al-Manzalawī
— Ḥusayn al-Dawsarī

Editor: Dr. 'Āṣim Ibrāhīm Al-Kayyālī

Publisher: Dar Al-kotob Al-Ilmiyah

Pages: 264

Year: 2007

Printed in: Lebanon

Edition: 1st

الكتاب: رسالة المبدأ والمعاد
ويليه: عطية الوهاب الفاصلة بين الخطأ والصواب
ويليه: ترجمة أحوال الإمام الرباني أحمد الفاروقي السرهندي
ويليه: الرحمة الهابطة في تحقيق الرابطة

المؤلف: أحمد الفاروقي السرهندي
ومحمد مراد المنزلوي المكي
وحسين الدوسري

المحقق: د. عاصم إبراهيم الكيالي

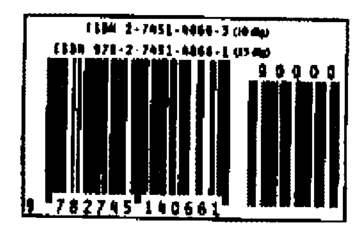
الناشر: دار الكتب العلمية — بيروت

عدد الصفحات: 264

سنة الطباعة: 2007 م

بلد الطباعة: لبنان

الطبعة: الأولى


ISBN 2-7451-4466-3 (10 digit)
ISBN 978-2-7451-4466-1 (13 digit)

منشورات محمد علي بيضون



دار الكتب العلمية

الطبعة الأولى
٢٠٠٧ م - ١٤٢٨ هـ

منشورات محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

Mohamed Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

الإدارة: رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
Ramel Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg., 1st Floor
هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ (١ ٩٦١)

فرع عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg.
[illegible] هاتف
ص.ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
[illegible] فاكس
رياض الصلح - بيروت ١١٠٧٢٢٩٠

http://www.al-ilmiyah.com
e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

تقـــديم

بسم الله الأحد بذاته، والواحد بأسمائه وصفاته، والصمد بربوبيته، والرحمٰن بخلقه عامّة الذين أخرجهم من العدم وأمدّهم بالوجود، والرحيم بأوليائه المؤمنين خاصة الذين اصطنعهم لنفسه، والأول بلا ابتداء، والآخر بلا انتهاء، والظاهر بلا انكشاف، والباطن بلا خفاء، كان ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية 11].

وصلّى الله على سيّدنا محمد إنسان عين الوجود الحقّي والخلقي، برزخ الوجوب والإمكان، السابق بروحه الأمري واللاحق بشبحه الحسّيّ، والخاتم برسالته الإسلامية الشهادية، أكرم الأوّلين والآخرين، حبيب الله وحامِل لِواء الحمد يوم القيامة، وأول شافِع وأول مشفّع يوم القيامة، وأول مَن يحرّك حِلَق الجنة فيفتح الله تعالى له فيدخلها ومعه فقراء المؤمنين.

وعلى آله المُحسِنين الصُلْبيين والمعنويين الطاهرين من رجس الأغيار المتحقّقين بقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: الآية 3]، وبقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: الآية 115]، وعلى صحابته الأخيار المُشاهدين لتجلّيات الحقيقة المحمّدية بما بُعِث به من مقامات الدين الكامل: الإسلام والإيمان والإحسان إظهارًا للشؤون الإلٰهية على حسب الاستعدادات والتعيّنات العلمية.

وبعدُ... ففي إطار نشر كتب التصوّف الإسلامي التي نقوم بتحقيقها وتنقيحها وضبطها وتصحيحها والتعليق عليها ونشرها بأبهى حُلّة، خدمة للركن الثالث من أركان الدين الإسلامي الكامل الذي هو مقام الإحسان مقام التربية والسلوك إلى ملك الملوك وعلّام الغيوب، مقام «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، نقدّم للقرّاء الكِرام أربعة كتب قيّمة في هذا المجال:

الأول: رسالة المبدأ والمعاد للإمام الرباني الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي قدّس سرّه، المُجَدِّد للألف الثاني، تحدّث فيها عن إشارات ربّانية لطيفة رائقة وأسرار إلٰهية دقيقة فائقة.

والثاني: عطية الوهّاب الفاصلة بين الخطأ والصواب للشيخ محمد بك الأوزبكي رحمه الله تعالى تحدّث فيه عن مُصاحَبَة الأخيار وعن كيفية الذِّكر بالاسم الأعظم (الله) وعن الرابطة الروحية فاصلاً ومُبَيِّنًا بين الخطأ والصواب في ذلك.

والثالث: أحوال الإمام الربّاني الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي للشيخ محمد مراد المنزلوي المكّي، ترجم فيه تفصيلاً للحياة الروحية للشيخ السرهندي قدّس سرّه.

والرابع: الرحمة الهابطة في تحقيق الرابطة للشيخ حسين الدوسري رحمه الله تعالى، تحدّث فيه بدقّة عن العلاقة الروحية بين الشيخ المربّي والمُريد السّالِك إلى الله تعالى.

هذا ولا بدّ من الإشارة إلى أن كتب التصوّف الإسلامي تساعد المُريد على الاطّلاع على الأحوال والمقامات التي يمرّ بها السّالِك إلى الله تعالى، كما يطّلع على الحِكَم والقواعد الصوفية التي يستلهم منها كيفية التحقّق بأحكام مقام الإسلام، وأنوار مقام الإيمان، وأسرار مقام الإحسان وصولاً إلى قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: الآية 99]. كلّ ذلك بإشراف ورعاية وتربية شيخه العالِم بأمراض النفوس والقلوب؛ وبالأدوية الشافية له من هذه الأمراض، لأنه ورث عن النبي ﷺ علوم وأسرار مقامات الدين الثلاث: الإسلام والإيمان والإحسان.

وفي الختام نرجو الله تعالى أن ينفعنا والمسلمين بما في هذه الكتب من الحب والإخلاص والصّدق واليقين ومن أنوار أسرار ما تعبّدنا الله به على لسان نبيّه ﷺ مصداقًا لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: الآية 21]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: الآيتان 3، 4]، وقوله

تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء: الآية 69] لننال السعادة الحقيقية المتمثلة بمعرفة الله تعالى في الدنيا، والنظر إلى وجهه الكريم في الآخرة مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: الآيتان 22، 23].

كتبه الشيخ الدكتور
عاصم إبراهيم الكيالي
الحسيني الشاذلي الدرقاوي



رسالة المبدأ والمعاد

للإمام الرباني الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي
المتوفى ١٠٣٤ هـ

ضبطها وصححها وعلق عليها
الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي
الحسيني الشاذلي الدرقاوي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله في المبدأ والمعاد والصّلاة على حبيبه محمّد وآله الأمجاد.

أما بعد؛ فهذه رسالة شريفة متضمِّنة لإشارات لطيفة رائقة وأسرار دقيقة فائقة للإمام الهُمَام حجّة الله على الأنام قدوة الأقطاب والأوتاد وقبلة الأبدال والأفراد، كاشف أسرار السَّبْع المثاني المجدِّد للألف الثاني، الأويسي الرحماني والعارف الربّاني شيخ الإسلام والمسلمين شيخنا وإمامنا الشيخ أحمد الفاروقي نسبًا، والحنفيّ مذهبًا، والنقشبنديّ مشربًا لا زالت شموس هدايته على أُفق العُلَى ساطعة والناس في رياض إفاضته راتعة، والله المستعان وعليه التّكلان.

فمن تلك الإشارات والأسرار ما قاله: وقع في قلب درويش محبّة هذه الطريقة، فأوصلته العناية الإلـٰهيّة إلى واحد من خلفاء خواجكان قدّس الله أسرارهم فأخذ عنه طريقة هؤلاء الأكابر ولازم صحبته، فحصل له ببركة توجّهه جذبة الخواجكان التي تحصل من جهة الاستهلاك في صفة القيوميّة، وتيسّر له أيضًا شرب من طريق اندراج النهاية في البداية، وبعد تحقّق هذه الجذبة تقرّر الأمر على السلوك وبلغ هذه الطريقة بتربية روحانيّة أسد الله الغالب كرّم الله تعالى وتقدّس وجهه المقدّس إلى نهايتها، يعني إلى الاسم الذي هو ربّه، وعرج من هذا الاسم بمدد روحانية حضرة الخواجة النقشبند قدّس الله تعالى سرّه إلى القابلية الأولى التي هي مُعَبَّر عنها بالحقيقة المحمديّة على صاحبها الصلاة والسلام والتحية، وتيسّر الاستعلاء من ذاك المحل بإمداد روحانية عمر الفاروق رضي الله عنه إلى ما فوق تلك القابليّة، ووقع الترقّي من ذاك المحل بتربية روحانية حضرة خاتم الرسالة على صاحبها الصلاة والسلام والتحيّة إلى المقام الذي فوق تلك القابلية التي هي بمثابة التفصيل له وهو كالإجمال لها، وذلك المقام هو مقام الأقطاب المحمديّين، وحصل لذلك الدرويش وقت الوصول إلى

ذلك المقام نحوٌ من الإمداد من روحانية حضرة الخواجة علاء الدين العطار الذي هو خليفة الخواجة النقشبند قُدّس سرّهما، وقطب الإرشاد ونهاية عروج الأقطاب إلى هذا المقام ودائرة الظلية تنتهي في هذا المقام، وبعد ذلك إما أصلٌ خالص أو أصلٌ ممتزج بالظل، وطائفة الأفراد ممتازون بالوصول إلى هذه الدولة، ويقع لبعض الأقطاب عروج إلى المقام الممتزج بمصاحبة الأفراد، ويحصل لهم النظر إلى أصل الممتزج بالظل.

وأما الوصول إلى الأصل الخالص أو النظر إليه، فهو خاصة الأفراد على تفاوت درجاتهم ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: الآية 21]، ونال ذلك الدرويش بعد وصوله لذاك المقام الذي هو مقام الأقطاب خلعة قطبية الإرشاد من سيّد الدارَيْن عليه الصلاة والسلام على سبيل العناية، وجعل ممتازًا بهذا المنصب وبعد ذلك صارت عناية الحقّ جلّ شأنه وعَمّ إحسانه شاملةً حاله وجعلته متوجّهًا إلى فوق وأوصلته إلى أصل ممتزج بمرتبة واحدة، وتيسّر له الفناء في ذلك المقام، كما تيسّر في المقامات السابقة وحصل له الترقّي بعونه تعالى إلى مقامات الأصل حتى وصل إلى أصل الأصل، وجاء له المدد في هذا العروج الأخير الذي هو عروج إلى مقامات الأصل من روحانية حضرة الغوث الأعظم الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلاني قَدّس الله تعالى سرّه الأقدس وأوصلوه إلى أصل الأصل بعد العبور به من تلك المقامات بقوّة التصرف وأرجعوه من هناك إلى العالم، كما أرجعوه إليه من كل مقام، وقد حصل ذلك الدرويش أصل نسبة الفردية التي العروج الأخير مخصوصٌ بها من والده الماجد، وقد ظفر بها والده الماجد من عزيز موصوف بجذبة قوية ومشهور بخوارق سَنِيّة، ولكن لم يعد لذلك الدرويش تلك النسبة بواسطة ضعف بصيرته وقلّة ظهورها شيئًا سوى قطع منازل السلوك، ولم يلتفت إليها أصلاً، وأيضًا أن هذا الدرويش قد وجد المدد في كونه موفّقًا للعبادات النافلة خصوصًا لأداء صلاة النوافل من والده، وهذه السعادة حصلت لوالده الماجد من شيخه في سلسلة الجشتية، وأيضًا قد منح هذا الدرويش العلم اللّدني من حضرة الخضر على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام، لكن كان ذلك قبل أن يتعدّى ويترقّى من مقام الأقطاب.

وأما بعد عبوره من ذلك المقام وحصول الترقيات إلى المقامات العالية، فأَخْذُ العلوم من حقيقة نفسه يجدْ في نفسه من نفسه، ولم يبقِ للغير مجال أن يدخل في البَيْن، وأيضًا وقع لهذا الدرويش وقت النزول الذي هو عبارة عن السَّيْر عن الله بالله عبور عن مقامات مشائخ السلاسل الأخر، ونال من كل مقام نصيبًا أوفر، وصارت مشائخ ذلك المقام ممدّين له ومعاونين في أمره ومنحوه نصيبًا من خلاصة نسبهم، ووقع العبور أولاً في مقام أكابر الجشتية قَدّس الله أسرارهم، وحصل له حظّ وافر من ذلك المقام، وأوّل من أمدّ من هؤلاء المشائخ العظام هو روحانيّة حضرة الخواجة قطب الدين، والحقّ أن له في ذلك المقام شأنًا عظيمًا، وهو رئيس ذلك المقام، وبعد ذلك وقع العبور على مقام أكابر الكبروية قدّس الله أسرارهم، وهذان المقامان كلاهما متساويان باعتبار العروج، ولكن هذا المقام واقع على يمين ذاك الطريق الأعظم وقت النزول من فوق، والمقام الأول واقع في يساره، وهذا الطريق الأعظم طريق يذهب منه بعض أكابر أقطاب الإرشاد إلى مقام الفردية ويصلون إلى نهاية النهايات.

وأما الأفراد المحضة، فلهم طريقٌ آخر لا يمكن المرور من ذلك الطريق الأعظم بلا رتبة القطبية، وهذا المقام واقع بين مقام الصفات، وبين ذاك الطريق الأعظم، وكأنه برزخ بين هذين المقامين وله نصيب من كليهما.

وأما المقام الأول، فهو واقع إلى جانب آخر من الطريق الأعظم، فنصيبه من الصفات قليل، وبعد ذلك وقع العبور على مقام أكابر السهروردية الذين جاؤوا بعد الشيخ شهاب الدين السهروردي قَدّس الله أسرارهم، وهذا المقام متحلّي بنور اتّباع السُّنة السَّنِيّة على مُصْدِرها الصلاة والتحية ومزيّن بنورانية مشاهد فوق الفوق والتوفيق للعبادات رفيق ذاك المقام، وبعض السالكين الغير الواصلين الذين هم مشغولون بعبادات النوافل ويطمئنون بها وجدوا نصيبًا من ذاك المقام بواسطة مناسبتهم له، والعبادات النافلة مناسبة لهذا المقام بالأصالة.

وأما الباقون سواء كانوا مبتدئين أو منتهين، فمناسبتهم لها بواسطة مناسبتهم لهذا المقام، وهذا المقام لطيف وعال جدًا، والنورانية التي تُشاهد في هذا المقام قليلة في غيره، ومشائخ هذا المقام بسبب اتّباعهم السنة عظيمو الشأن

ورفيعو القدر ولهم امتياز تامّ من بين أبناء جنسهم، والذي تيسّر لهم في هذا المقام لم يتيسّر لأرباب مقامات أخر، وإنْ كانوا فوقهم باعتبار العروج ثم أنزلوني إلى مقام الجذبة، وهذا المقام جامع لمقامات جذبات غير متناهية وأنزلوني من هناك أيضًا، ونهاية مراتب النزول مقام القلب الذي هو الحقيقة الجامعة والإرشاد والتكميل يتعلّقان بالإنزال إلى هذا المقام، فأنزلوني إلى هنا، وقبل أن يحصل التمكين في هذا المقام وقع العروج ثانيًا، فترك الأصل في ذلك الوقت مثل الظلّ وراءه؛ فمن هذا العروج الذي كان في مقامات القلب حصل التمكين، والسلام.

ومنها أن قطب الإرشاد الذي يكون جامعًا للكمالات الفرديّة أيضًا عزيز الوجود جدًّا يظهر مثل هذا الجوهر النفيس بعد قرون متطاولة وأزمنة متكاثرة، فيصير العالم الظلماني بنور ظهوره نورانيًا ونور إرشاده وهدايته شامل لجميع العالم، وكل رشد وهداية وإيمان ومعرفة تحصل في العالم من محيط العرش إلى مركز الفرش إنما تحصل من طريقه وتستفاد بواسطته، ولا يصل أحد إلى هذه الدولة بدون توسّطه ونور هدايته محيط بجميع العالم؛ كالبحر المحيط، وهذا البحر كأنه متجمّد لا يتحرك أبدًا، فإذا كان شخص متوجّهًا إلى هذا العزيز وكان مخلصًا له، أو كان هو متوجّهًا لحال طالب، فكأن روزنة[1] تفتح في قلب الطالب وقت ذلك التوجّه، فيصير الطالب ريّانًا من ذلك البحر من ذلك الطريق على قدر توجّهه وإخلاصه، وكذلك إذا كان شخص مشغولاً بالذكر الإلـهيّ يحصل له مثل هذه الإفادة، وإنْ لم يكن متوجّهًا إلى هذا العزيز لا من جهة الإنكار، بل لعدم معرفته إيّاه، ولكن الإفادة في الصورة الأولى أكثر منها في الصورة الثانية. وأما إذا كان شخص منكرًا لهذا العزيز، أو كان هو متأذّيًا منه، فهو محروم من حقيقة الرشد والهداية، وإنْ كان مشغولاً بذكر الله عزّ وجلّ، فإن إنكاره يكون سدًّا في طريق الفَيْض من غير أن يكون هذا العزيز متوجّهًا لعدم إفادته وقاصدًا لضرره، وإنما فيه صورة الرشد والهداية دون الحقيقة والصورة العارية عن المعنى قليلة النفع، والذين فيهم إخلاص ومحبة لهذا العزيز يصل إليهم أيضًا نور الرشد والهداية بمجرد

(1) الرّوزنة: الكُوّة. الخرق في أعلى السقف. ويقال للكوّة النافذة. (لسان العرب).

تلك المحبة وإنْ خلوا من التوجّه المذكور والذكر الإلـهيّ جلّ شأنه والسلام على من اتَّبَعَ الهُدى.

ومنها أن أوّل باب فُتِحَ لهذا الدرويش لا نفس الوجدان كان فيه ذوق الوجدان، ثم تيسّر نفس الوجدان وفُقِد ذوق الوجدان، ثم صار نفس الوجدان مفقودًا مثل ذوق الوجدان، فالحالة الثانية حالة الكمال والوصول إلى درجة الولاية الخاصة، والثالثة مقام التكميل والرجوع إلى الخلق للدعوة والحالة السابقة كمال في جهة الجَذْبة فقط، فإذا انضمّ إليها السلوك وتمّ حصلت الحالة الثانية ثم الثالثة، وليس للمجذوب المجرّد عن السلوك من الحالة الثانية والثالثة نصيبٌ أصلاً، فالكامل المُكمِّل هو المجذوب السالك، ثم السالك المجذوب وما سواهما فليس بكامل ولا مُكَمِّل أصلاً، فلا تكن من القاصرين والصلاة والسلام على خير البشر سيّدنا محمد وآله الأطهار.

ومنها أن هذا الدرويش تشرف في أواخر ربيع الأخير بخدمة عزيز من خلفاء هذه الطائفة العَليّة وأخذ عنه طريقة هؤلاء الأكابر، واستسعد في منتصف رجب من ذلك العام بحضور النقشبندية الذي فيه اندراج النهاية في البداية، فقال له ذلك العزيز: إن نسبة النقشبندية عبارة عن هذا الحضور وبعد عشرة أعوام كاملة وعدّة أشهر تَجلّت النهاية التي كانت ظهرت في البداية من وراء عدة حُجُب البدايات والأوساط بخرق تلك الحُجُب في النصف الأوّل من ذي القعدة، وحصل اليقين بأنه كان في البداية صورة من ذلك الاسم، وتكلّم من تلك الجفون واسم من ذلك المسمّى شتّان ما بينهما، وحقيقة الأمر انكشفت هنا، وسرُّ المعاملة ظهر هـٰهنا من لم يذق لم يدرِ، والصلاة والسلام على سيّد الأنام وآله الكرام وأصحابه العظام.

ومنها ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى: الآية 11]، كان هذا الدرويش يومًا من الأيام قاعدًا في حلقة أصحابه، وكان ينظر إلى نقصانه وقصوره وقد غلب فيه هذا النظر بحيث رأى نفسه غير مناسب جدًّا لهذا الوضع ـ يعني للمشيخة ـ ففي تلك الأثناء رفعوه من تراب المَذَلّة بحكم من تواضع لله رفعه الله، ونُودِيَ في سرّه بهذا النداء: غفرت لك ولمن توسّل بك أتى بواسطة أو بغير واسطة إلى يوم القيامة وشرّفوه بهذا المعنى مُكرّرًا إلى حدٍّ لم يبق فيه

مجال للرَّيب، والحمد لله سبحانه على ذلك حمدًا كثيرًا طيّبًا مباركًا فيه مباركًا عليه، وكما يحبُّ ربُّنا ويرضى، والصلاة والسلام على رسوله سيّدنا محمد وآله كما ينبغي له ويحرى، ثم أمروه بإفشاء هذه الواقعة. شعر:

وإذا أتى باب العجوز خليفة إياك يا صاح ونَتْف سبالكا

إن ربك واسع المغفرة.

ومنها أن السَّيْر إلى الله هو عبارة عن سَيْر إلى اسم من أسماء الله جلّ شأنه هو مبدأ تعيّن السالك، والسَّيْر في الله عبارة عن السَّيْر في ذلك الاسم إلى أن ينتهي إلى حضرة الذات الأحديّة المُجَرّدة عن اعتبار الأسماء والصّفات والشؤون والاعتبارات، وهذا التفسير إنما يصح إذا كان المراد بالاسم المبارك الله مرتبة الوجوب، يعني الذات المستجمعة لجميع الأسماء والصفات. وأما إذا كان المراد به هو الذات البحت فقط، فيكون السَّيْر في الله بالمعنى المذكور داخلاً في السير إلى الله، ولا يتحقّق السير في الله على هذا التقدير أصلاً، فإن السير في نقطة نهاية النهايات غير مُتَصَوَّر، فإنه متى تيسّر الوصول إلى تلك النقطة يقع الرجوع إلى العالم بلا توقّف، وهذا الرجوع مُعَبَّر عنه بالسَّيْر عن الله بالله، وهذه المعرفة مخصوصة بالواصلين إلى نهاية النهايات، ولم يتكلّم بها من أولياء الله تعالى أحد غير هذا الدرويش، الله يجتبي إليه من يشاء، والحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّد المرسلين محمّد وآله وأجمعين.

ومنها أن الأقدام متفاوتة في كمالات الولاية، فجمع يكون فيهم استعداد حصول درجة واحدة من درجات الولاية، وبعضٌ آخر يكون فيه استعداد درجتين منها، وطائفة فيهم استعداد ثلاث درجات، وقومٌ فيهم قابليّة أربع درجات وآحاد تكون مستعدة لخمس درجات وهم الأقلّون، وحصول الدرجة الأولى من هذه الدرجات الخمس مربوطة بتجلّي الأفعال، والثانية مَنُوطة بتجلّي الصّفات، والثلاثة الأخيرة مربوطة بالتجلّيات الذاتية على تفاوت درجاتها، وأكثر أصحاب هذ الدرويش لهم مناسبة للدرجة الثالثة من الدرجات المذكورة، وقليلٌ منهم لهم مناسبة للدرجة الرابعة، والأقلّون للخامسة التي هي نهاية درجات الولاية والكمال المعتبر عند هذا الدرويش إنما هو فيما وراء هذه

الدرجات، ولم يظهر هذا الكمال بعد زمان الأصحاب الكِرَام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، وهو فوق كمال الجَذْبة والسلوك وغدًا يظهر هذا الكمال في حضرة المهدي إن شاء الله تعالى والصلاة والسلام على خير البريّة.

ومنها أن نزول الواصلين إلى نهاية النهاية وقت رجوع القهقهرى إلى أسفل الغاية ومصداق الوصول إلى نهاية النهاية هو عين هذا النزول إلى غاية الغاية، ومتى وقع النزول بتلك الخصوصية يكون صاحب الرجوع متوجّهًا إلى عالم الأسباب بكليّته لا أن بعضه متوجّهًا إلى الحق، وبعضه الآخر إلى الخلق، فإنّ هذا علامة عدم الوصول إلى نهاية النهاية، وعدم النزول إلى غاية الغاية، وغاية ما في الباب يقع للطائف صاحب الرجوع توجّه خاص إلى الجَنَاب الأقدس جلّ سلطانه وقت أداء الصلاة التي هي معراج المؤمن، ويبقى هذا التوجّه إلى تمام الصلاة، وبعد الفراغ منها يكون متوجّهًا بكليّته إلى الخلق، ولكن المتوجُه إلى جناب القدس وقت أداء الفرائض والسُّنن هي اللطائف الستّ، وفي وقت أداء النوافل ألطف تلك اللطائف فقط يمكن أن يكون في حديث لي مع الله وقت إشارة إلى هذا الوقت الخاص المخصوص بالصلاة، والقرينة على تعيين تلك الإشارة في حديث: **«وجعلت قرّة عيني في الصلاة»**[1]، والعلاوة على هذه القرينة الكشف الصحيح والإلهام الصريح، وهذه المعرفة من المعارف المخصوصة بهذا الدرويش. وأما المشائخ، فقد اعتقدوا الكمال في الجَمْع بين التوجّهين والأمر إلى الله سبحانه، والسلام على من اتّبع الهدى والتزم شريعة المصطفى عليه وعلى آله أتمّ الصلوات وأكمل التسليمات.

ومنها قال المشائخ: إن مشاهدة أهل الله بعد الوصول إلى مرتبة الولاية إنما هي في الأنفس، فإن المشاهدة الآفاقية التي كانت مُيَسّرة في أثناء الطريق وقت السير إلى الله غير معتبرة، والذي انكشف لهذا الدرويش أن المشاهدة في الأنفس أيضًا غير مُعْتبرة، كالمشاهدة في الآفاق، فإن تلك المشاهدة ليست هي

---

(1) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب النكاح، حديث رقم (2676)؛ والبيهقي في سُننه الكبرى، باب الرغبة في النكاح، حديث رقم (13232) [7/ 78]؛ ورواه غيرهما.

مشاهدة الحق سبحانه، فإنه تعالى مُنَزَّه عن الكَيْف والكمّ، لا تسعه المرآة المكيفة، سواء كانت مرآة الآفاق أو مرآة الأنفس، فإنه تعالى ليس بداخل للعالم ولا خارجًا عنه، ولا متّصلاً به ولا منفصلاً عنه، فشهوده ورؤيته تعالى أيضًا ليسا في العالم ولا في خارج العالم، ولا متّصلَيْن ولا منفصلَيْن عنه، ولهذا قالوا للرؤية الأخروية أنها بلا كيف، فهي خارجة عن حيطة العقل والوهم. وأما في الدنيا، فقد انكشف هذا السرّ لخواصّ الخواص، وإن لم يكن رؤية ولكنه كالرؤية، وهذه دولة عظمى قَلّ مَن استسعد لها بعد زمان الأصحاب رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، وهذا القول وإنْ كان اليوم مستبعدًا وغير مقبول لدى الأكثر، إلّا أنه لا بأس في إظهار النّعمة العظمى قبله القاصرون أو لا، وهذه النسبة تظهر غدًا بتلك الخصوصيّة في حضرة المهدي إن شاء الله تعالى، والسلام على من اتّبع الهدى والتزم متابعة المصطفى صلوات الله وتسليماته عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

ومنها إذا حضر الطالب عند شيخ ينبغي له أن يأمره بالاستخارة، ويُكَرّر الاستخارة من ثلاثة إلى سبعة، فإذا لم يظهر بعد تكرار الاستخارة تذبذب في الطالب يتسرّع في أمره فيُعَلّمه أولاً طريق التوبة ويأمره بصلاة ركعتي التوبة، فإن وضع القدم في هذا الطريق بلا توبة غير نافع، ولكن ينبغي أن يكتفي في حصول التوبة بقدر الإجمال، ويحيل تفصيله على مرور الأيام، فإن الهِمَم قاصرة في هذه الأيام جدًّا، فإذا كُلّف القاصرون بتحصيل تفصيل التوبة أولاً؛ فلا جَرم أنه يُسْتدعى مدة، فربما يقع الفتور على طلبه في تلك المدة، فيُحْرم من المطلب، بل لا تتمّ التوبة أيضًا.

وبعد ذلك يُعَلّمه طريقًا مناسبًا لاستعداده ويُلَقّنه ذكرًا موافقًا لقابليّته ويبذل التوجّه في أمره، ويراعي الالتفات في حقّه ويُبَيّن له آداب الطريقة وشرائطه ويُرَغّبه في متابعة الكتاب والسُّنّة وآثار السلف الصالحين، ويُعَلّمه أن الوصول إلى المطلوب بغير هذه المتابعة مُحال، ويُعَلّمه أيضًا أن الكشوف والوقائع إذا كانت مخالفة للكتاب والسُّنّة ولو كان مقدار شعرة لا يعتبرها أصلاً، بل يكون مستغفرًا منه وينصحه بتصحيح العقائد على مقتضى آراء الفرقة الناجية أهل السنّة والجماعة، ويأمره بتعلّم الأحكام الفقهيّة الضرورية والعمل بموجبه، ويؤكّد في

هذا الباب، فإن الطيران في هذا الطريق بدون جناحَيْ الاعتقاد والعمل لا يمكن أن يتيسّر.

ويرشده بالتأكيد إلى رعاية الاحتياط في اللّقمة والاجتناب من المحرّم والمشتبه ويمنعه عن أكل كل ما يجده، والتناول من كل محل يحصله من غير أن يصحّح في هذا الباب فتوى الشريعة الغرّاء، وبالجملة لا بدّ للسالك من أن يجعل كريمة: ﴿﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: الآية 7]﴾ نصب عينيه.

وأحوال الطالبين لا تخلو عن أحد الأمرين: إما أن يكونوا أصحاب كشف ومعرفة، أو أرباب جهل وحيرة، وكلتا هاتين الطائفتين مساويتان في الوصول بعد طَيّ المنازل ورفع الحُجُب لا مَزِيَّة لأحدهما على الآخر في نفس الوصول، ومثلهما مثل شخصين وصلا إلى الكعبة الشريفة بعد طَيّ المنازل البعيدة، إلا أن أحدهما استعمل نظره في منازل الطريق وتفرّج فيها وعلم كل واحد منها بالتفصيل على قدر استعداده وغمّض الثاني عينيه منها ولم يطّلع على تفاصيلها، وهذان الشخصان مساويان في نفس الوصول إلى الكعبة لا زيادة لأحدهما فيه على الآخر، وإن تفاوتا في معرفة منازل الطريق وعدمها، وكذا هنا.

وأمّا بعد الوصول إلى المطلوب، فلا بدّ لكل منها من الجهل؛ لأن المعرفة في ذات الله تعالى جهل وعجز عن المعرفة ينبغي أن يُعْلَم أن قطع منازل السلوك عبارة عن طَيّ المقامات العشرة، وطيّ هذه المقامات العشرة مَنُوطة بهذه التجلّيات الثلاثة: تجلّي الأفعال، وتجلّي الصفات، وتجلّي الذات؛ وكلٌّ من هذه المقامات سوى مقام الرّضا مربوط بتجلّي الأفعال وتجلّي الصفات.

وأما مقام الرّضا، فهو مربوط بتجلّي الذات تعالت وتقدّست، وبالمحبّة الذاتية المستلزمة لمساواة إيلام المحبوب لإنعامه بالنسبة إلى المُحِبّ، فلا جَرَم متى تحقّق الرّضا ترتفع الكراهة، وكذلك بلوغ جميع تلك المقامات إلى حدّ الكمال إنما هو وقت حصول التجلّي الذاتي الذي نِيط به الفناء الأتمّ.

وأما حصول نفس تلك المقامات التّسعة، فهو في التجلّي الأفعالي والتجلّي الصفاتي، مثلاً إذا شاهد قدرته تعالى الكاملة في نفسه وفي جميع الأشياء يرجع إلى التوبة ويبادر إلى الإنابة بلا اختيار، ويصير خائفًا ووَجِلاً ويجعل الورع شيمته ويلتزم الصبر على النّوائب، لكونها من مقدوراته تعالى ويترك الاضطراب والجزع ومتى عَرَف أن مولى النِّعم هو الله تعالى والإعطاء والمنع فعله وصفته عزّ وجلّ يكون في مقام الشكر بالضرورة ويترسّخ قدمه في مقام التوكّل، ومتى تجلّى له لطفه ورأفته تعالى يكون في مقام الرجاء، ومتى شاهد عظمته وكبرياءه تعالى تظهر الدنيا الدُّنِيّة في نظره حقيرة وعديمة الاعتبار؛ فلا جرم يحصل فيه الرغبة عنها ويختار الفقر ويزهد فيها، لكن ينبغي أن يعلم أن حصول هذه المقامات بالتفصيل والترتيب مخصوص بالسّالك المجذوب. وأما المجذوب السالك فطيّ هذه المقامات إجمالي بالنسبة إليه، فإنّ العناية الأزليّة جعلته مبتلى بمحبّة لا يقدر معها أن يشتغل بتفاصيل تلك المقامات، وفي ضمن تلك المحبة حصلت له زبدة تلك المقامات، وخلاصة هاتيك المنازل على الوجه الأتمّ على وجه لم تتيسّر لصاحب التفصيل، والسلام على من اتّبع الهدى.

ومنها ينبغي للطالب أن يهتمّ بنفي الآلهة الباطلة الآفاقية والأنفسية، وكُلُّ ما يقع في فَهْمِه ووَهْمِهِ في جانب إثبات المعبود بالحقّ يجعله أيضًا داخلاً تحت النّفْي ويكتفي بمجرد موجوديّته تعالى، وإن لم يكن للوجود أيضًا مجال في ذلك الموطن، وكان طلبه تعالى من ما وراء الوجود جديرًا، ولقد أحسن علماء أهل السُّنّة في قولهم بزيادة وجود واجب الوجود على ذاته سبحانه وتعالى، والقول بعينيّة الوجود بالذات وعدم إثبات أمر وراء الوجود من قصور النظر. قال الشيخ علاء الدولة: فوق عالم الوجود عالم الملك الودود، ولمّا وقع التَرَقّي لهذا الدّرويش إلى ما فوق عالم الوجود كنت أُعِدُّ نفسي من أهل الإسلام من جهة العلم التقليدي فقط حين كنت مغلوب الحال، وبالجملة إن كل ما يحصل في حوصلة الممكن يكون ممكنًا بالطريق الأولى، فسبحان من لم يجعل للخَلْق إليه سبيلاً إلّا بالعجز عن معرفته، ولا يظنّ أحد من هذا الفناء في الله والبقاء بالله أن الممكن يصير واجبًا، فإن ذلك محال ومستلزم لقلب الحقائق،

وإذا لم يصر الممكن واجبًا لا يكون نصيب الممكن من إدراك الواجب سوى العجز. شعر:

هيهات عنقاء أن يصطاده أحد فأزْمِ الشَراك وإلا دام فيه هوا

وعالي الهِمَّة إنما يطلب مطلبًا لا يحصل منه شيء ولا يظهر منه اسم ولا رسم، وطائفة من الناس يطلبون مطلبًا يجدونه عين أنفسهم ويحصلون القرب منه والمَعِيَّة به لكل من الإنسان شأن يخصّه، والسلام.

ومنها قال حضرة الخواجه النقشبند قُدّس سِرُه الأقدس: إن مرآة كل واحد من المشايخ لها جهتان. وأما مرآتي فلها ست جهات، أظن أن أحدًا من خلفاء هذه الطائفة العظيمة لم يُبَيِّن هذه الكلمة القدسية إلى هذا الزمان، بل لم يتكلّم فيها أحد بالإشارة والرمز، فكيف يمكن لهذا الحقير قليل البضاعة أن يقدم على شرحها وأن يُحَرِّك لسانه في كشفها؟ ولكن لمّا كشف الله سبحانه بمحض فضله عن سَرِّ هذا المعنى لهذا الحقير وأظهر حقيقته كما ينبغي خطر في الخاطر أن ينظم هذا الدُرَّ المكنون ببنان البيان في سلك التحرير، وأن يورده بلسان الترجمانية في حَيِّز التقرير، فَشَرَع في هذا الباب بعد أداء الاستخارة والمسؤول من الله سبحانه العصمة والتوفيق.

ينبغي أن يعلم أن المراد من المرآة قلب العارف الذي هو برزخ بين الروح والنفس، وأراد بالجهتين: جهة الروح وجهة النفس، فإذا وصل المشايخ إلى مقام القلب ينكشف لهم جهتاه ويُفَاض فيه علوم كل واحد من المقامَيْن المذكورَيْن ومعارفهما المناسبتان للقلب، بخلاف الطريق الذي امتاز به حضرة الخواجة واندرجت النهاية فيه في البداية، فيكون لمرآة القلب فيه الجهات الستّ، وبيان ذلك أنه قد انكشف لأكابر هذه الطريقة العَلِيَّة أن كل ما هو ثابت لأفراد الإنسان من اللطائف السّتّ - أعني النفس والقلب والروح والسرّ والخفي والأخفى - فهي ثابتة للقلب وحده أيضًا، فأراد بالجهات الستّ هذه اللطائف الستّ، فسَيْر سائر المشايخ على ظاهر القلب، وسير هؤلاء الأكابر في باطن القلب، ويصلون بهذا السير إلى أبطن بطونه وتنكشف علوم هذه اللطائف ومعارفها في مقام القلب - أعني العلوم المناسبة لمقام القلب - هذا هو بيان الكلمة القدسيّة المنسوبة لحضرة الخواجة قَدَّس الله سرّه، ولهذا الحقير في هذا

المقام ببركة هؤلاء الأكابر مزيد في مزيد، وتدقيق بعد تحقيق، وبحكم كريمة: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى: الآية 11] يظهر رمزًا من ذاك المزيد، وإشارة من ذلك التدقيق ومنه سبحانه العصمة والتوفيق؛ فاعلم أن قلب القلب أيضًا متضمّن للطائف الست على قياس القلب لكن لا يظهر في قلب القلب لطيفتان من اللطائف الستّ المذكورة بطريق الجزئية، وذلك إما لضيق الدائرة أو لسرّ آخر، وهما لطيفة النفس ولطيفة الأخفى؛ وكذا الحال في القلب الذي في المرتبة الثالثة، إلّا أنه لا يظهر فيه الخفيّ أيضًا، وكذا الحال في القلب الذي في المرتبة الرابعة، إلّا أنه لا يظهر فيه السرّ أيضًا مع ظهور القلب والروح فيه، وفي المرتبة الخامسة لا يظهر الروح فيه أيضًا، فما بقي إلا قلب محض وبسيط صرف لا اعتبار فيه لشيء أصلاً.

ومما ينبغي أن يعلم هٰهنا من بعض المعارف العالية ليتوصّل به إلى ما هو نهاية النهاية وغاية الغاية، فأقول بتوفيق الله سبحانه: إن جميع ما ظهر في العالم الكبير تفصيلاً، فهو ظاهر في العالم الصغير إجمالاً، ونعني بالعالم الصغير الإنسان، فإذا صُقِل العالم الصغير ونُوِّر ظهر فيه بطريق المرآتية جميع ما في العالم الكبير تفصيلاً؛ لأنه بالصقالة والتنوير اتّسع وعاؤه، فزال حكم صغره، وكذا الحال في القلب الذي نسبته مع العالم الصغير كنسبة العالم الصغير مع العالم الكبير من الإجمال والتفصيل، فإذا صُقِل العالم الأصغر الذي هو عالم القلب ورُفِعت الظلمة الطارئة عليه ظهر فيه بطريق المرآتية أيضًا ما في العالم الصغير تفصيلاً، وهكذا الحال في قلب القلب بالنسبة إلى القلب من الإجمال والتفصيل، وظهور التفصيل فيه بعد أن كان مُجْمَلاً بسبب التصفية والنورانية، وعلى هذا القياس القلب الذي في المرتبة الثالثة والقلب الذي في المرتبة الرابعة في الإجمال والتفصيل، وظهور التفصيل الذي في المراتب السابقة فيهما بسبب الصقالة والنورانية، وكذا القلب الذي في المرتبة الخامسة، فإنه مع بساطته وعدم اعتبار شيء فيه يظهر فيه بعد التصفية الكاملة ما ظهر في جميع العوالم من العالم الكبير والصغير والأصغر وما بعدهما من العوالم كما مرّ، فهو الضَّيّق الأوسع، والبسيط الأبسط، والأقلّ الأكثر، وما خُلِق شيء من الأشياء بهذه الصفة، وما وُجِد أحد أشدّ مناسبة بصانعه تعالى وتقدّس من هذه اللّطيفة

البديعة؛ فلا جرم يظهر فيه من عجائب آيات صانعه سبحانه ما لا يظهر في أحدٍ من خلقه؛ ولذا قال تعالى في الحديث: «لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن»[1].

والعالم الكبير وإن كان أوسع المرايا للظهور، إلّا أنه لكثرته وتفصيله لا مناسبة له مع من لا كثرة فيه أصلاً ولا تفصيل فيه رأسًا، والحَرِيّ للمناسبة هو الضيّق الأوسع والبسيط الأبسط والأقل الأكثر كما لا يخفى، فإذا بلغ العارف الأتمّ معرفة، والأكمل شهودًا هذا المقام العزيز وجوده والشريف رتبته يصير ذلك العارف قلبًا للعوالم كلها والظهورات جميعها، وهو المتحقّق بالولاية المحمدية والمشرف بالدّعوات المصطفوية على صاحبها الصلاة والسلام والتحية.

فالأقطاب والأوتاد والأبدال داخلون تحت دائرة ولايته والأفراد والآحاد وسائر فرق الأولياء مندرجون تحت أنوار هدايته لما هو النائب مناب رسول الله والمهدي بهدى حبيب الله، وهذه النسبة الشريفة العزيز وجودها مخصوصة بأحد المرادين ليس للمريدين من هذا الكمال نصيب، هذا هو النهاية العظمى والغاية القصوى ليس فوقه كمال ولا أكرم منه نوالاً، لو وُجِد بعد ألف سنة مثل هذا العارف لاغتنم وتسري بركته إلى مدّة مديدة وآجال متباعدة، وهو الذي كلامه دواء ونظره شفاء، وحضرة المهدي سيوجد على هذه النسبة الشريفة من هذه الأمّة الخيّرة ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: الآية 21]، وحصول هذه الدولة القصوى مَنُوط بإتمام طريقي السلوك والجَذْبة تفصيلاً مرتبة بعد مرتبة، وإكمال مقام الفناء الأتمّ والبقاء الأكمل درجة بعد درجة، وهذا لا يتيسّر إلّا بكمال متابعة سيّد المرسلين وحبيب ربّ العالمين عليه وعلى آله من الصلوات أفضلها ومن التسليمات أكملها.

الحمد لله الذي جعلنا من متابعيه والمسؤول من الله سبحانه كمال متابعته والثبات عليه، والاستقامة على شريعته ويرحم الله عبدًا قال آمينًا، وهذه

---

(1) أورده العجلوني في كشف الخفاء، بلفظ: «ما وسِعَني سمائي ولا أرضي ولكن وسِعَني قلب عبدي المؤمن» حديث رقم (2256) [2/ 255]؛ والهروي في المصنوع [1/ 291].

المعارف من الأسرار الدقيقة والرموز الحقيقة ما تكلّم بها أحد من أكابر الأولياء وما أشار إليها واحد من أعاظم الأصفياء، استأثر الله سبحانه هذا العبد بهذه الأسرار وإفشائها بصدقة حبيبه عليه وعلى آله الصلوات والتسليمات.

ليس قوله تعالى مُعَلّلاً بشيء ولا مُسَبّبًا بسبب، يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد ﴿وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [البَقَرَة: الآية 105]، وصلّى الله تعالى على سيّدنا محمد وآله وسلّم وبارك على جميع الأنبياء والمُرسَلين، وعلى الملائكة المقرّبين وعلى عباده الصالحين، والسلام على مَن اتّبع الهدى والتزم متابعة المصطفى عليه الصلاة والسلام.

ومنها أن الروح من العالم اللاكيفي، فتكون اللامكانيّة متحقّقة لها، وإن كانت لا كيفيّتها بالنسبة إلى مرتبة الوجوب تعالت وتقدّست عين الكيفيّة، ولإمكانيتها بالنظر إلى اللامكاني الحقيقي جلّ سلطانه عين المكانيّة، وكأنّ عالم الأرواح برزخ بين العالم وبين المرتبة اللاكيفيّة، ففيها لون من كليهما؛ فلا جرم بعدها العالم الكيفيّ لا كيفيًّا، وبالنظر إلى المرتبة اللاكيفية عين الكيفيّة، ونسبة البرزخية هذه ثبتت لها باعتبار فطرتها الأصليّة.

وأما بعد تعلّقها بهذا البدن العنصري، وابتلائها بهذا الهيكل الظلماني، فقد خرجت من البرزخيّة ونزلت إلى العالم الكيفيّ بالتمام، وتوارى عنها وصف اللاكيفيّة، ومثلها مثل هاروت وماروت حيث أُنزلا لبعض حكم ومصالح من أوج الملكية إلى حضيض البشرية على ما قيل، فإذا أدركتها العناية الإلـٰهيّة وتيسّر لها الرجوع من هذا السفر وعَرّجت من هذا التنزّل تعرج النفس الظلمانية والبدن العنصري أيضًا بمتابعتها وتطويان المنازل، ويظهر في ضمن ذلك ما هو المقصود من تعلق الروح بالبدن، وتنزلها وتصير الأمارة مطمئنة، ويُبَدَّل الظلماني بالنوراني، ومتى أتمّت الروح هذا السفر وحصل ما هو المقصود من نزولها تتّصل أيضًا ببرزخيّتها الأصليّة، وتجد النهاية في الرجوع إلى البداية، وحيث إن القلب من عالم الأرواح - يعني لكونه من عالم الأمر واللامكاني - يتوطّن أيضًا في البرزخية، والنفس المطمئنة التي فيها لونٌ من عالم الأمر لكونها برزخًا بين القلب والبدن تقيم هناك أيضًا، والبدن العنصري المُرَكّب من العناصر الأربعة يستقرّ في عالم الكون والمكان ويشتغل بالطاعة والعبادة، فإذا وقعت

المخالفة بعد ذلك والعناد في الجملة تكون منسوبة إلى طبائع العناصر، مثلاً الجزء الناري طالب للعناد والمخالفة بالذات يظهر منه نداء: أنا خير منه مثل إبليس اللّعين.

وأما النفس المطمئنة، فقد تخلّصت من العناد، فإنها صارت راضية من الحقّ جلّ سلطانه، وكذلك الحقّ سبحانه كان راضيًا عنها، والعناد لا يُتَصَوَّر من الراضي والمرضي، فإن صدر هناك عناد فهو من القالب، ويشبه أن يكون خير البشر عليه الصلاة والسلام عَبَّر بالجهاد الأكبر عن هذا العناد الإبليسي الذي منشؤه الجزء القالبي، وما ورد من أسلم شيطاني، فالمراد به الشيطان الأفاقي الذي هو قرينه عليه السلام، فإنه وإن انكسرت صولة هذا الشيطان أيضًا، وخرج من التمرّد ـ لكن ما بالذات لا ينفكّ عن الذات ـ أو الشيطان الأنفسي، فإن إسلامه ليس مستلزمًا لانتفاء عناده بالكلّية، فإنه مع إسلامه يجوز أن يترك العزيمة ويرتكب الرخصة، بل يجوز ارتكاب الصغيرة أيضًا، بل يمكن أن يكون حسنات الأبرار سيئات المقرّبين من هذا القبيل أيضًا، وبقاء هذا العناد إنما هو للإصلاح والترقّي، فإن بعد حصول هذه الأمور التي نهاية النقص هنا بترك الأولى يحصل من الندامة والتوبة والاستغفار ما يكون موجباً لترقّيات غير متناهية، ومتى استقرّ البدن العنصري في مقرّه بعد مفارقة اللطائف الستّ وعروجها إلى عالم الأمر؛ لا جرم يكون خليفتها في هذا العالم هو هذا البدن العنصري، وإذا وُجِدَ بعد ذلك إلهام، فهو يكون إلى المضغة التي هي الخليفة الحقيقية للجامعة القلبية، وما ورد في الحديث النبوي من قوله عليه الصّلاة والسّلام: «**من أخلص لله أربعين صباحًا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه**»[1]، فالمراد به ـ والله سبحانه أعلم ـ هو هذه المضغة، وقد تعيّن هذا المراد في حديث آخر كما قال عليه الصّلاة والسلام: «**إنه ليغَان على قلبي**»[2]، فإنّ عروض الغَيْن على المضغة لا على الحقيقة الجامعة، فإنها

---

(1) رواه القضاعي في مسند الشهاب، حديث رقم (325) [1/ 285]؛ وأورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (2361) [2/ 292].

(2) رواه مسلم في صحيحه، باب استحباب الاستغفار. . . ، حديث رقم (2702) [4/ 2075]؛ رواه الحاكم في المستدرك، كتاب الدعاء والتكبير والتهليل. . . ، حديث رقم (1882) [1/ 69]؛ ورواه غيرهما.

قد خرجت من الغَيْن بالكلّية، وورد أيضًا أحاديث أُخر في تقلُّب القلب كما قال عليه الصَّلاة والسلام: «قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمٰن»[1]... الخ، وقال صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «قلب المؤمن كريشة في أرض فلاة»[2]... الخ، وقال عليه الصلاة والسلام: «اللّهمّ ثبّت قلبي على طاعتك»[3]، والتقلُّب وعدم الثبات ثابتة بهذه المضغة؛ لأن الحقيقة الجامعة لا تَقلُّب لها أصلاً، بل هي مطمئنة راسخة على الاطمئنان، والخليل على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام لما طلب اطمئنان القلب أراد به المضغة لا غير؛ لأن قلبه الحقيقي قد كان مطمئناً بلا رَيْب، بل نفسه أيضًا كانت مطمئنة بسياسة قلبه الحقيقي.

قال صاحب العوارف قُدّس سرُّه: إن الإلهام صفة النفس المطمئنة التي عرجت في مقام القلب، وإن التلوينات والتقليبات تكون صفات النفس المطمئنة، وهو كما ترى مخالف للأحاديث المذكورة، ولو تيسّر العروج من هذا المقام الذي أخبر الشيخ عنه تعلم الأمر كما هو عليه، ولاح صدق ما أخبرت به وطابق الكشف والإلهام بالإخبارات النبويّة على صاحبها الصلاة والسلام والتحية، ولقد تعلم أن ما أخبرت به من خلافة المضغة وورود الإلهام عليها وصيرورتها صاحب أحوال وتلوينات مما كَبُر على المتعصّبين الجاهلين القاصرين عن حقيقة الأمر وثَقُل عليهم، فماذا يقولون في الأخبار النبوية عليه وعلى آله الصَّلاة والسَّلام، حيث قال: «ألا وإن في جسد بني آدم مضغة إذا صَلُحت صَلُحَ الجسد كله، وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الجسد كلّه، ألا وهي

---

(1) لفظه عند الحاكم وغيره: «ما من قلب إلا بين أصبعين من أصابع الرحمٰن إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه، وكان رسول الله ﷺ يقول: «اللّهمّ يا مُقلّب القلوب ثَبّت قلبي على دينك»، والميزان بيد الرحمٰن يرفع أقوامًا ويخفض آخرين إلى يوم القيامة». (المستدرك، كتاب الدعاء...، (1926) [1/ 706]؛ وروى نحوه النسائي في السُّنن الكبرى، الاستعاذة من دعوات لا يُستَجاب لها، حديث رقم (7861) [4/ 443]؛ وروى غيرهما.

(2) لفظه عند البيهقي: «مثل القلب كريشة في أرض فلاة تقلّبها الرياح ظَهرًا لبطن». (شعب الإيمان، الفصل الثاني في ذكر آثار...، حديث رقم (753) [/ 474].

(3) رواه النسائي في سننه الكبرى بلفظ: «يا مُصَرِّف القلوب ثبّت قلبي على طاعتك». (باب ما يقول إذا رفع رأسه إلى السماء، حديث رقم (10136) [6/ 83]؛ ورواه أبو يعلى في مسنده عن عائشة رضي الله عنها، حديث رقم (4824) [8/ 245]؛ ورواه غيرهما.

القلب»[1]. جعل صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم المضغة هي القلب على سبيل المبالغة، وناط صلاح الجسد وفساده بصلاحها وفسادها، فيجوز لهذه المضغة ما يجوز للقلب الحقيقي، وإن كان على سبيل النيابة والخلافة.

واعلم أنّ الروح لمّا فارق الجسد بالموت الذي هو قبل الموت وَجَد العارف الواصل روحه غير داخل في الجسد ولا خارج عنه ولا متّصل معه ولا منفصل عنه، ووجد أن للروح تعلّقًا مع الجسد لصلاح الجسد، بل لغرض يعود إلى الروح كماله أيضًا، وذلك التعلّق هو منشأ الصلاح والخير في الجسد، ولولا ذلك التعلق لصار الجسد بحذافيره شرًّا ونقصًا، وهذا الحال للواجب تعالى مع الروح وغيره، فإنّه تعالى غير داخل في العالم ولا خارج عنه ولا متّصل معه ولا منفصل عنه، وله سبحانه تعلّق مع العالم خلقًا وإبقاءً وإفاضة للكمالات والنِّعم والخيرات.

فإن قلت: إن علماء أهل الحق ما تكلّموا في الروح مثل هذا الكلام، بل كادوا لم يجوّزوه وأنت تلزم وفاقهم في القليل والكثير فما وجهه؟

قلت: العالم بحقيقة الروح قليل منهم، فهم مع قِلّتهم إنما لم يتكلّموا بكشف الكمالات الروحيّة واكتفوا بالإجمال اجتنابًا عن سوء فهم العوام ووقوعهم في الضلال، فإن الكمالات الروحية شبيهة صورة بالكمالات الوجوبيّة، والفرق دقيق لا يطّلع عليه إلّا الراسخون من العلماء، فرأوا المصلحة في الإجمال، بل في الإنكار عن بيانه والكشف عن حقيقته، فلا ينكرون كمالاته التي سبق ذكرها، والعبد الضعيف إنما بيّنه وكشف عن بعض خواصّه اعتمادًا على علمه الصحيح وكشفه الصّريح بعون الله سبحانه وتوفيقه وصدقة حبيبه عليه الصّلاة والسلام وآله الكرام مع إزالة شبهة مانعة عن البيان، فافهم.

ومما ينبغي أن يُعلم أن الجسد كما استفاد من الروح كمالات لا تُحصى، فالروح أيضًا اكتسب من الجسد فوائد عظمى حيث صار سميعًا بصيرًا

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب فضل من استبرأ لدينه، حديث رقم (3984) [2/ 1318]؛ ومسلم في صحيحه، باب أخذ الحلال...، حديث رقم (1599) [3/ 1219]؛ ورواه غيرهما.

متكلّمًا متجسّدًا بجسد مكتسبًا مباشرًا لأفعال ناسبت عالم الأجساد، ولما صارت النفس المطمئنة ملحقة بالروحانيين كما مرّ بيانه جلس العقل مكانه في عالم الأجسام نيابةً عنها، وسُمّيَ بعقل المعاد وصار فكره مقصورًا على أُمور الآخرة، وصار فارغًا عن تفكُّر أُمور المعيشة ومستحقًّا للفراسة بواسطة النور الذي أُعطيه، وهذه المرتبة هي نهاية مراتب كمالات العقل، ولا يعترض الناقص هنا بأنه ينبغي أن تكون نهاية مراتب كمالات العقل متحقّقة في نسيان المعاش والمعاد معًا، وأن لا يبقى فيه فكر غير الحقّ سبحانه وتعالى شيئًا دنيا وأخرى لأنّا نقول: إن هذا النسيان قد حصل له في أثناء الطريق في مرتبة الفناء في الله، وهذه المرتبة عالية من تلك المرتبة بمراحل فإن هنا رجوع العلم بعد حصول الجهل وعود الفرق بعد تحقّق الجمع وحصول الإسلام الحقيقي بعد تجاوز كفر الطريقة التي هي في مرتبة الجمع والفلاسفة أرباب السَّفَه أثبتوا للعقل أربع مراتب، وزعموا أن كمالات العقل منحصرة فيها، وهذا من كمال جهلهم.

قلت: قد عكف المتفلسفة على قولهم هذا عكوف اليهود على عجل السّامري، ولم يعتقدوا وجود كمال وراء ما قالوا، بل ولم يخطروه بالبال، نبّهنا الله وإياهم عن نوم الغفلة، آمين. لا يمكن معرفة حقيقة العقل وكمالاته التابعة إياه بالعقل والوهم، بل لا بدّ لمعرفته من الكشف الصحيح والإلهام الصريح المقتبس من أنوار مشكاة النبوّة صلوات الله تعالى وتسليماته على جميع الأنبياء والمرسلين عمومًا وعلى أفضلهم حبيب الله خصوصًا.

فإن قيل: قد وقع في عبارة المشايخ أن العقل ترجمان الروح، فما يكون معناه؟ قلت: إن العلوم والمعارف التي تؤخذ من المبدأ الفيّاض بالتلقّي الروحاني يأخذها القلب الذي هو من عالم الأرواح ويترجمها العقل ويحرّرها ويلخصها ويجعلها بحيث يفهمها المتعلّقون بعالم الخلق، فلولا ترجمته إيّاها لكان فهمها متعسّرًا، بل متعذّرًا، وحيث كانت المضغة القلبية خليفة الحقيقة الجامعة القلبية أخذ حكم الأصل وصار تلقّيه أيضًا تلقّيًا روحانيًا محتاجًا إلى الترجمان ينبغي أن يُعلم أنه يجيء زمان على عقل المعاد يحصل له فيه شوق مجاورة النفس المطمئنة على حدٍّ يترك القالب خاليًا إلى أن يوصلها إلى مقامها،

فيتقرّر التعقّل والتذكّر إلى المضغة القلبية ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق: الآية 37]، يصير القلب ترجمان نفسه فتقع معاملة العارف على القالب ويحصل الانقياد وحينئذ للجزء الناري الذي كان يظهر نداء: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: الآية 12] من طبعه ويتشرّف بالإسلام الحقيقي بالتدريج، فيزال عنه الخلعة الإبليسية ويُوصل به إلى مقام النفس المطمئنة الأصلي، ويجعل نائب منابه، فصار خليفة القلب الحقيقي في القالب هي المضغة، ونائب مناب النفس المطمئنة فيه هو الجزء الناري.

نحاس وجودي بالهوى صار عسجدا[1]

والجزء الهوائي له مناسبة بالروح، ولهذا يزعمه السالك وقت عروجه ووصوله إلي مقام الهواء أحيانًا حقًّا، ويبقى مبتلى به كما يقع مثل هذا الشهود في مقام الروح ويبقى السالك مبتلى بها، كما قال بعض المشايخ: عبدت الروح ثلاثين سنة بزعم أنه الحقّ سبحانه، ولما ترقّيت من ذلك المقام امتاز الحقّ من الباطل.

وهذا الجزء الهوائي يصير في القالب قائمًا مقام الروح بواسطة مناسبته إيّاها، ويحصل له في بعض الأمور حكم الروح والجزء المائي فيه مناسبة للحقيقة الجامعة القلبية، ولهذا يصل فيضه إلى جميع الأشياء، ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: الآية 30]، ورجوعه إلى المضغة القلبية، والجزء الأرضي الذي هو الجزء الأعظم في القالب يصير حاكمًا وغالبًا في القالب بعد تطهيره من التلويث والدناءة والخِسّة التي هي صفات ذاتية له، وكلّ ما هو موجود في القالب يأخذ حكمه ويتلوّن بلونه، وذلك بواسطة جامعيّته التامّة وجميع أجزاء القالب أجزاؤه في الحقيقية، ولهذا صارت كرة الأرض مركز العناصر والأفلاك ومركزها مركز العالم، ففي هذا الوقت تمّت معاملة القالب أيضًا، وتحققت نهاية العروج والنزول وصار الكمال والتكميل. نَفَد الوقت وهذه هي النهاية التي فيها الرجوع إلى البداية.

(1) العسجد: الذهب، وقيل: هو اسم جامع للجوهر كله من الدرّ والياقوت. (لسان العرب).

اعلم أن الروح وإن وصلت مع جميع توابعها إلى مقرّها بطريق العروج لكن لما تعلّقت بها تربية القالب لم يكن لها بدّ من التوجّه إلى هذا العالم، ومتى تمّت معاملة القالب صارت الروح مع السرّ والخفي والأخفى والقلب والنفس والعقل متوجّهة إلى جناب قدسه جلّ سلطانه، وأعرضت عن القالب بالكلّية، وكان القالب أيضًا متوجّهًا إلى مقام العبودية بكلّيته، فالروح متمكّنة بمراتبها في مقام الشهود والحضور ومعرضة عن رؤية ما سواه تعالى وعلمه بالكلية والقالب راسخ في مقام الطاعة والعبودية بالتمام، وهذا هو مقام الفرق بعد الجمع، والله سبحانه الموفّق للكمالات، ولهذا الدرويش في هذا المقام قدم خاص، وهو رجوع الروح بمراتبها إلى عالم الخلق لتدعو الخلق إلى الحقّ جلّ وعلا، فتأخذ الروح حينئذ حكم القالب وتكون تابعة له، ويبلغ الأمر حدًّا إذا كان القالب حاضرًا تكون الروح أيضًا حاضرة، وإن كان القالب غافلاً تكون الروح أيضًا غافلة إلّا في وقت أداء الصلاة، فإن الروح متوجّهة فيه إلى الجناب الأقدس بمراتبها، وإن كان القالب غافلاً، فإن الصلاة معراج المؤمن ينبغي أن يعلم أن رجوع هذا الواصل الواقع بكلّيته من أكمل مقامات الدعوة، وهذه الغفلة سبب حضور جمع كثير، والغافلون غافلون عن هذه الغفلة، والحاضرون جاهلون بهذه الرجعة، وهذا المقام من قبيل المدح بما يشبه الذمّ لا يدركه فهم كل قاصر، فإن بُيّنت كمالات هذه الغفلة لا يتمنّى أحد الحضور، وهذه هي الغفلة التي أورثت لخواص البشر فضيلة على خواص الملك، وهذه هي الغفلة التي جعلت محمّدًا رسول الله تعالى رحمةً للعالمين، وهذه هي الغفلة التي أورثت لأولياء العشرة مِزْية على أولياء العزلة، وهذه هي الغفلة التي ترجّح الصحو على السكر وهذه هي الغفلة التي أورثت لقطب الإرشاد أفضلية على قطب الأبدال، وهذه هي الغفلة التي الحضور خادمه الأحقر، وهذه هي الغفلة التي تنزل بالصورة وترفع في الحقيقة، وهذه هي الغفلة التي تجعل الخواص مشتبهين بالعوام، وتصير قبابًا لكمالاتهم فيا لها من قصة في شرحها طول: القليل يدلّ على الكثير، والقطرة تنبيء عن الغدير، والسلام على من اتّبع الهدى والتزم متابعة المصطفى عليه وعلى آله من الصلوات أتمّها ومن التسليمات أكملها.

ومنها أن حضرة خاتم الرسالة ﷺ ممتاز من بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالتجلّي الذاتي، ومخصوص بهذه الدولة التي هي فوق جميع الكمالات ولكمل تابعيه ﷺ نصيب من هذا المقام الخاص، لا يقال: يلزم على هذا التقدير أن يكون كمل الأولياء أفضل من سائر الأنبياء عليهم السلام، وهذا خلاف معتقد أهل السنة والجماعة، وهذا الفضل ليس بجزئي حتى يرفع به الشبهة، بل هو كلّي، فإن تفاضل الرجال إنما هو بالقرب الإلٰهيّ جلّ سلطانه، وكل فضيلة سواه فهي دون ذلك؛ لأنّا نقول: لا يلزم ذلك، فإنه لا يلزم من كون النصيب لهم من ذلك المقام وصولهم إليه والفضيلة مربوطة بالوصول، وهذا مفقود في حقّ الكُمّل، فإن نهاية عروج كُمّل الأولياء من هذه الأمّة التي هي خير الأمم إلى تحت أقدام الأنبياء عليهم الصلوات والتسليمات، حتى أن الصدّيق الأكبر رضي الله عنه الذي هو أفضل جميع البشر بعد الأنبياء عليهم السلام نهاية عروجه إلى تحت قدم نبيّ هو دون سائر الأنبياء عليهم السلام.

غاية ما في الباب أن لكمّل أولياء هذه الأمّة مع كونهم في المقام التحتاني نصيبًا تامًّا من كمالات مقام فوق الفوق التي هي مختصّة بنبيّهم عليه الصلاة والسلام، فإن الخادم بأي مكان كان يصل إليه شيء من نصيب مخدومه والخادم البعيد يجد بطفيلية مخدومه ما لا يتيسّر للمقرّبين بدون دولة الخدمة. ينبغي أن يُعلم أن هذا التوهم يحصل للمريدين أحيانًا بالنسبة إلى شيوخهم وحصول مقامات شيوخهم يكون باعثًا على توهّم المساواة لهم، وحقيقة المعاملة هي ما ذكرنا، فإن حصول المساواة إنما هو على تقدير الوصول إلى تلك المقامات، لا على تقدير حصولها فقط، فإنه طفيليّ ولا يتوهمنّ أحد من هذا أن المريد لا يكون مساويًا لشيخه، فإن الأمر ليس كذلك، فإن المساواة جائزة بل واقعة، لكن الفرق بين حصول ذلك المقام، وبين الوصول إليه دقيق لا يهتدي إليه كل مريد لا بدّ فيه من كشف صحيح وإلهام صريح والله سبحانه الملهم للصواب، والسلام على من اتّبع الهدى.

ومنها أن درويشًا سُئِل أنه: ما السبب في أنه يظهر لسالك هذا الطريق حالة وتبقى زمانًا ثم تتوارى بعد ذلك، ثم تظهر ثانيًا بعد مدّة ثم تتوارى ثانيًا بعد ذلك، وهكذا إلى ما شاء الله.

جوابه أن للإنسان سبع لطائف ومدة دولة كل لطيفة وسلطنته على حدة، فإذا ورد وارد على ألطف تلك اللطائف ونزل حال قوى تنصبغ كلية السالك بلون تلك اللطيفة وصبغها، ويسري ذلك الحال على جميع اللطائف، وما دامت دولة تلك اللطيفة ثابتة فتلك الحالة باقية، ومتى انقضت مدة دولة تلك اللطيفة تزول تلك الحالة، فإذا رجعت تلك الحالة بعد ذلك، فلا تخلو من حالين: فإمّا أن يرجع إلى تلك اللطيفة نفسها، فطريق الترقي حينئذ مسدود على السالك. وإما أن ترجع إلى لطيفة أخرى، فطريق الترقّي حينئذ مفتوح، فمعاملة هذه اللطيفة أيضًا مثل معاملة اللطيفة الأولى، فإن ذلك الحال إذا رجع بعد زواله لا يكون خاليًا من الحالين، وهكذا حال جميع اللطائف، فإذا سرى ذلك الحال في جميع اللطائف بطريق الأصالة، فقد انتقل من الحالية وصار مقامًا ومحفوظًا من الزوال، والله سبحانه أعلم بحقيقة الحال، والصلاة والسلام على سيد البشر وآله الأطهار.

ومنها قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة: الآية 172]، يحتمل أن تكون الشرطية قيدًا للأمر بالأكل، أي كلوا من مستلذّات ما رزقناكم إنْ صحّ منكم أن تخصوه بالعبادة، ولو لم يصح منكم ذلك، بل كنتم عابدين ملهيات أنفسكم، فلا تأكلوا من مستلذّاته لكونكم مرضى بالمرض الباطني والمستلذّات من المرزوقات سمٌّ قاتل لكم، وإذا زال المرض الباطني منكم صحّ لكم تناول المستلذّات، فسّر صاحب الكشاف[1] الطيّبات هنا بالمستلذات نظرًا إلى طلب الشكر.

ومنها قال بعض المشايخ قدّس الله تعالى أسرارهم: من عرف الله لا يضرّه ذنب، أي الذنب الذي اكتسب قبل المعرفة لأن الإسلام يجبّ ما كان قبله، وحقيقة الإسلام هو معرفة الله سبحانه على طريقة الصوفية بعد الفناء والبقاء، فَيَجُبُّ حصول هذه المعرفة الذنوب التي كانت حاصلة قبلها، ويمكن أن يراد بالذنب الذنب الذي يحصل بعد هذه المعرفة، فيراد بالذنب الذنب

(1) هو الشيخ أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله.

الصغير لا الكبير؛ لأن أولياء الله محفوظون عنه، أو عدم ضرّه بعدم الإصرار والتدارك بلا فصل بالتوبة والاستغفار، ويجوز أن يكون معناه لا يصدر عنه ذنب؛ لأن عدم صدور الذنب ملزوم بعدم ضره، ذكر اللازم وأراد الملزوم وما توهم الملاحدة من هذه العبارة من أن يسع للعارف ارتكاب الذنوب بعدم ضرّها فباطل قطعًا وزندقة صريحة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المجادلة: الآية 19]، ربّنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب، وصلّى الله تعالى على سيدنا محمد وآله وسلم وبارك، وأرجو من الله الكريم الواسع مغفرته أن لا يضرّ الذنب المكتسب قبل المعرفة للعارف المتحقّق بحقيقة الإسلام وإن كان ذلك الذنب من قبل المظالم وحقوق العباد لما هو سبحانه المالك على الإطلاق وقلوب العباد بين إصبعين من أصابعه يقلبها كيف يشاء، ومطلق الإسلام يَجُبُّ من الذنوب ما سوى المظالم وحقوق العباد كما لا يخفى، فإن لحقيقة الشيء وكماله مزيد ليس لمطلقه.

ومنها أن الحق سبحانه موجودٌ بذاته لا بالوجود بخلاف سائر الموجودات، فإنها موجودة بالوجود، فلا يلزم احتياجه تعالى في الموجودية إلى الوجود، فلا يقال: إن وجوده تعالى عين ذاته لا زائد عليه لئلّا يلزم احتياجه إلى الغير، فإن القول بعينية الوجود يحتاج إلى أدلّة متطاولة ويستلزم المخالفة لجمهور أهل السنّة والجماعة، فإنهم لا يقولون بعينية الوجود، بل يقولون بزيادته، ولا يخفى أن الحكم بزيادة الوجود مستلزم لاحتياج الواجب تعالى وتقدّس إلى الغير، فسواء قلنا إنه تعالى موجود بوجود زائد، أو أنه موجود بذاته، وأخذنا الوجود عرضًا عامًّا يكون كلام جمهور متكلمي أهل الحق صحيحًا ويندفع اعتراض المخالفين بالاحتياج بالكلية، والفرق بين القول بأنه تعالى موجود بذاته لا دخل للوجود فيه أصلاً وبين القول بأنه موجود بوجود هو عين ذاته واضح، وهذه المعرفة ممّا خصّني الله تعالى بها. الحمد لله سبحانه على ذلك، والصلاة والسلام على رسوله.

ومنها من خصائص الحقّ سبحانه أنه موجود بذاته غير محتاج إلى الوجود في موجوديّته، سواء قلنا الوجود عين ذاته أو زائد عليه، فإن المحذور لازم

على كِلَا التقديرين، وحيث إن عادته تعالى جارية بأن يظهر في جميع مراتب الإمكان أنموذجًا من كل ما هو ثابت في مرتبة الوجوب علمه أحد أو لم يعلمه جعل أنموذج تلك الخاصة المذكورة آنفًا في عالم الإمكان نفس الوجود، فإنه وإن كان من المعقولات الثانية غير موجود في الخارج، إلا أننا إذا فرضنا وجوده يكون موجودًا بذاته لا بوجود آخر خلاف سائر الموجودات، فإنها محتاجة في موجوديّتها إلى الوجود وذواتها غير كافية فيها، فإذا كان الوجود الذي له مدخل في موجودية الأشياء موجودًا في ذاته غير محتاج إلى وجود آخر، فما العجب إذا كان خالق الوجود بالاستقلال موجودًا بذاته غير محتاج إلى وجود أصلاً، واستبعاد البعداء خارج عن المبحث، والله سبحانه المُلْهم للصواب. فإن قيل إن مراد الحكماء والأشعري وبعض المتصوّفة بقولهم بعينية الوجود بذاته تعالى هو عين ما قلته في المعرفة السابقة من أن واجب الوجود موجود بذاته لا بالوجود، فإن مبنى القول بأنه موجود بوجود هو عين ذاته على أنه موجود بذاته لا بالوجود. قلت: فعلى هذا التقدير لا يكون بين هذا القول وبين قول من يقول بزيادة الوجود تقابل، وكان ينبغي أن يقول أهل الحق في مقابلة قولهم إنه تعالى موجود بوجود لا بالذات، فإن إثبات زيادة الوجود على هذا التقدير مستدرك، وحيث حاولوا إثبات الزيادة دلّ ذلك على أن خلاف الفريقين ليس في نفس الوجود، بل في وصفه بأنه عين الذات أو زائد عليه، يعني أن كِلَا الفريقين قائلان بأنه تعالى موجود بالوجود لا خلاف بينهما في ذلك، وإنما الخلاف بينهما في عينيّته وزيادته. (يقول المعرب: اختلفوا في فهم معنى العينية والمحقّقون على أنه ليس شيء وراء الذات والوجود من منتزعات العقل فقط، والله أعلم).

فإن قيل: إذا كان الواجب موجودًا بذاته لا بالوجود، فما يكون معنى قولنا: إنه تعالى موجود، فإن الموجود ما قام به الوجود، ولا وجود هٰهنا أصلاً على قولك.

أُجيب: نعم إن الوجود الذي يكون الواجب موجودًا به مفقود في الواجب لكن لم لا يجوز أن يقال إنه موجود باعتبار قيام الوجود الذي هو عرض عام

ومقول ومحمول عليه بالحمل الاشتقاقي بالواجب تعالى، ولا محذور في ذلك والسلام.

ومنها لا أعبد معبودًا يكون داخلاً في حيطة الشهود أو مرئيًا أو معلومًا أو يسعه الوهم والخيال أصلاً، فإن المشهود والمرئي والمعلوم والموهوم المتخيل مصنوعة ومحدثة، كالشاهد والرائي والعالم والواهم والمتخيّل.

والمقصود من السّير والسلوك خرق الحُجُب وجودية كانت أو إمكانية حتى يتيسّر الوصل العريان، وليس المقصود منه أن يصيد المطلوب ويقيّده. شعر:

هيهات عنقاء أن يصطاده أحد فارم الشراك وإلا دام فيه هوا

بقي أن الرؤية في الآخرة حتى نؤمن به ولا نشتغل بكيفيّته لقصور فهم العوام عن دَرْكه لا لعدم إدراك الخواص، فإنّ لهم نصيبًا من ذلك المقام في الدنيا وإن لم تسمّ رؤية والسلام على من اتّبع الهدى.

ومنها أن كل ما يُعْلَم ويُعْرَف فهو مقيّد، وعن صرافة الإطلاق متنزّل والمطلوب هو الذي يكون منزّهًا ومبّرأً عن جميع القيود، فينبغي طلبه مما وراء الشهود والمعرفة، وهذه المعاملة وراء طور العقل، فإن العقل يُعِدّ الطلب فيما وراء الشهود والمعرفة محالاً.

ومنها أن المطلق على صرافة إطلاقه لم يتطرّق إليه قيد من القيود أصلاً، ولكن متى ظهر في مرآة المقيد ينصبغ عكسه بأحكام تلك المرآة ويرى مقيّدًا ومحدودًا، فلا جرم يدخل في حيطة الشهود والمعرفة، فالاكتفاء بالشهود والمعرفة اكتفاء بعكس من عكوس ذلك المطلوب وعالي الهمّة لا يقنع بالجوز والموز، إن الله سبحانه يحبُّ معالي الهِمَم، جعلنا الله سبحانه من أرباب معالي الهِمم بحرمة سيّد البشر عليه وعلى آله الصلوات والتسليمات.

ومنها رأيت نفسي في أوائل الحال أطوف بمكان وجمع آخر شركاء معي في ذلك الطواف، ولكن بطء سير هؤلاء الجماعة على حدّ لا يقطعون مسافة ثلاثة أقدام إلى أن أتمّ أنا دورة واحدة، فعلم في تلك الأثناء أن هذا المكان

هو ما فوق العرش، وهؤلاء الجماعة الطائفون هم الملائكة الكرام على نبيّنا وعليهم الصلاة والسلام، والله يختصّ برحمته من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

ومنها أن قباب أولياء الله تعالى هي أوصافهم البشرية، حيث إن كلّ ما يحتاج إليه سائر أفراد البشر يحتاج إليه هؤلاء الأكابر أيضًا، والولاية لا تخرجهم من الاحتياج، وغضبهم أيضًا مثل غضب سائر أفراد الناس، وإذا قال سيّد الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام: «أغضب كما يغضب البشر»[1] كيف لا يصدر الغضب من الأولياء؟ وكذلك هؤلاء الأكابر شركاء لسائر الناس في الأكل والشرب ومعاشرة الأهل والعيال ومؤانستهم، فإن التعلقات الشتّى التي هي من لوازم البشريّة لا تزول عن العوام والخواص، قال الله سبحانه في حقّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ [الأنبياء: الآية 8]، وقال الكفار الذين اقتصر نظرهم على الظاهر: ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق.

فمَن اقتصر نظره على ظواهر أهل الله صار محرومًا، وكان مصداق خسران الدنيا والآخرة واقتصار النظر على الظاهر، هذا هو الذي جعل أبا جهل وأبا لهب محرومين من دولة الإسلام ورماهما في الخسران الأبدي، والسعيد هو الذي كفّ نظره عن ظواهر أهل الله ونفذت حدّة نظره إلى أوصافهم الباطنية واقتصر عليها، فهم كنيل مصر بلاء للمحجوبين وماء للمحبوبين.

والعجب أن الصفات البشرية تظهر من أهل الله على حدّ لا يظهر مثلها من سائر الناس، ووجهه أن الظلمة والكدورة يكون ظهورهما في محل طيب مصفّى أشدّ وأزيد، وإن كانتا قليلتين بخلاف المحل غير المصفّى، فإنهما لا يظهران بتلك المثابة وإن كانا أزيد، ولكن ظلمة الصفات البشرية تسري في كلية

---

(1) رواه ابن فضيل في الدعاء، حديث رقم (7) [1/ 164]؛ وأبو بكر الشيباني في الآحاد والمثاني، حديث رقم (950) [2/ 200]؛ رواه مسلم في صحيحه بلفظ: «اللّهمّ إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر وإني قد اتخذت عندك عهدًا لن تخلفنيه فأيما مؤمن آذيته أو سبّبته أو جلدته فاجعلها له كفّارة وقُربة تقرّبه بها إليك يوم القيامة» (باب مَن لعنه النبي ﷺ، حديث رقم (2601) [4/ 2008].

العوام وتُحيط بقوالبهم وقلوبهم وأرواحهم. وأما في الخواص فهي مقصورة على القالب والنفس، وفي أخصّ الخواص مقصور على القالب فقط، والنفس مبرّأة عنه.

وأيضًا إن هذه الظلمة في العوام موجبة للخسارة والنقصان، وفي الخواص موجبة للنضارة والرجحان، وظلمة الخواص هي التي تزيل ظلمة العوام، وتورث التصفية لقلوبهم والتزكية لنفوسهم، فلولا هذه الظلمة لما كانت في الخواص مناسبة للعوام، فيكون طريق الإفادة والاستفادة مسدودًا، وهذه الظلمة لا تمكث في الخواص كثيرًا حتى تجعلهم مكدَّرين، بل يظهر من ورائها ندامة واستغفار يغسل ظلمات وكدورات أخر كثيرة ويورث الترقّي، وهذه الظلمة مفقودة في الملائكة، ولهذا كان طريق الترقّي مسدودًا فيهم وإطلاق اسم الظلمة عليها من قبيل المدح بما يشبه الذمّ. والعوام كالأنعام يعدّون الصفات البشرية الصادرة من أهل الله كصفاتهم البشرية، فيُحرمون بهذا الاعتقاد بركاتهم وقياس الغائب على الشاهد فاسد، ولكل مقام خصوصية على حدة ولكل محل لوازم مستقلة، والسلام على من اتّبع الهدى والتزم متابعة المصطفى عليه وعلى آله الصلوات والتسليمات.

ومنها أن الإنسان ما دام مبتلاً بالعلم والمعرفة ومنقشًا بنقوش السوى فهو حقير وعديم الاعتبار، ونسيان السوى شرط هذه الطريقة والفناء، فما عداه قدم أول فيه، وما لم تطهر مرآة الباطن من صدأ الإمكان فظهور آثار حضرة الوجوب فيها محال، فإن جمع العلوم الإمكانية مع المعارف الوجوبية من قبيل الجمع بين الأضداد، وهٰهنا سؤال قويّ: وهو أن العارف إذا تشرف بالفناء ورجع القهقرى لتكميل الناقصين تعود إليه العلوم التي كانت زائلة عنه أولاً فعلى هذا التقدير اجتمعت فيه العلوم الإمكانية بالمعارف الوجوبية، وأنت قلت بأنه جمع بين الضدَّيْن؟

أُجيب بأن العارف الباقي بالله طرأ عليه في هذا الوقت حكم البرزخية، فكأنه برزخ بين الوجوب والإمكان ومنصبغ بلون كل من هذين المقامين، فأي إشكال على هذه الصورة إذا اجتمعت فيه علوم كِلَا المقامين ومعارفهما، فإن محل اجتماع الضدَّيْن لم يبق واحدًا بل صار كأنه متعدّد، فلا جمع.

ومنها أن العلوم الزائلة في مرتبة الفناء إذا رجعت بعد البقاء لا يلزم منها نقص في كمال العارف بل كماله في هذا الرجوع، بل تكميله مربوط به، فإن العارف بعد البقاء متخلّق بأخلاق الله تعالى وعلم الأشياء في الواجب تعالى عين الكمال وضدّه موجب للنقص المحال، فكذا حال العارف المتخلّق بأخلاق المولى المتعال، والسر فيه أن العلم في الممكن يحصل بحصول صورة المعلوم فيه؛ فلا جرم يتأثر العالم بحصول صورة المعلوم فيه، وكلّ ما كان العلم أزيد كان التأثر في العالم أكثر فيكون التغيّر والتلوّن فيه أوسع وأبسط، فيكون نقصًا. فلا بدّ للطالب من نفي هذه العلوم كلها، ونسيان الأشياء جملتها والعلم في الواجب ليس كذلك إذ هو سبحانه منزّه عن أن يحلّ فيه صور الأشياء المعلومة، بل تنكشف الأشياء عليه تعالى بمجرّد تعلق العلم بها، فسبحان من لا يتغيّر بذاته ولا بصفاته ولا بأفعاله بحدوث الأكوان، والعارف المتخلّق يصير علمه بهذه الصفة، فلا تحلّ فيه صور المعلومات، فلا تأثر في حقّه، فلا تغيّر ولا تلوّن، فلا يكون نقصًا بل كمالاً هذا السرّ من خواص الأسرار الإلـٰهيّة خصّ الله سبحانه وتعالى به من يشاء من عباده ببركة حبيبه عليه وعلى آله أتمّ الصلوات وأكمل التسليمات.

ومنها أن هذا الدرويش تشرف بمقام الرّضا بعد مضيّ اثنتي عشرة سنة من ابتداء إنابته. جعلت النفس أولاً مطمئنة واستسعد بعد ذلك بهذه السعادة تدريجًا بمحض الفضل والكرم وما لم ينعكس عكس رضائه جلّ سلطانه لم يتشرّف بهذه الدولة، فرضيت النفس المطمئنة عن مولاها ورضي مولاها عنها الحمد لله سبحانه على ذلك حمدًا كثيرًا طيّبًا مباركًا فيه مباركًا عليه وكما يحبّ ربنا ويرضى، والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله كما ينبغي له ويجري. فإن قيل: إذا رضيت النفس عن مولاها، فما معنى طلب دفع البلاء؟ قلت: إن الرضا عن فعل المولى لا يستلزم الرضا عن فعل مخلوقه، بل ربما يكون الرضا عن فعل المخلوق مستقبحًا مثل الكفر والمعاصي حيث يكون الرضا عنهما رضا عن الخلق القبيح وكراهة القبيح واجبة، فإذا كان المولى غير راض بالقبيح كيف يكون العبد راضيًا به؟ بل العبد مأمور في هذه الصورة بالشدّة والغلظة، فالكراهة عن المخلوق لا تكون منافية للرضا عن خالقه، فيكون طلب دفع البلاء

مستحسنًا، والذين لم يفرّقوا بين الرضا بالفعل وبين كراهة المفعول بقوافي عقدة الأشكال في وجود الكراهة بعد حصول الرضا وتكلّفوا في دفعه، وقالوا: إن وجود الكراهة منافٍ لحال الرضا لا لمقامه، والحقّ ما حقّقته بإلهام الله سبحانه وتعالى والسلام على من اتّبع الهدى.

ومنها كنت أتمنّى من مدّة أن يظهر لي وجه وجيه في عدم قراءة الفاتحة خلف الإمام في مذهبنا الحنفي، ولم يكن ترك القراءة الفرض والعدول عن القراءة الحقيقية إلى القراءة الحكمية معقولاً مع أنه ورد في حديث نبوي لا صلاة إلّا بفاتحة الكتاب، ومع ذلك كنت أترك القراءة بالضرورة رعاية للمذهب، فإن الانتقال عن المذهب إلحاد، وكنت أعدّ هذا الترك من قبيل الرياضة والمجاهدة، فأظهر الحقّ سبحانه ببركة رعاية المذهب في الآخر حقيقة المذهب الحنفي في ترك قراءة المأموم فظهرت القراءة الحكمية في النظر أحسن من القراءة الحقيقية، وذلك فإن الإمام والمأموم كلاهما واقفان في مقام المناجاة بالاتفاق؛ لأن المصلّي يناجي ربه ويقدم الإمام في ذلك المقام ويجعل مقتدى به، فالإمام كلما يقرأ يقرأ على لسان القوم، كما أن قومًا إذا أتوا عند ملك عظيم لحاجة يجعلون واحدًا منهم رئيسًا لهم حتى يعرض حاجتهم عن لسان الكل، فإن تكلّم الباقون أيضًا مع تكلم الرئيس يكون ذلك داخلاً تحت سوء الأدب وموجبًا لسخط الملك، فتكلم هؤلاء الجماعة الحكمي الذي يؤدى بلسان الرئيس أحسن من تكلّمهم الحقيقي، وكذلك حال قراءة المأموم مع وجود قراءة الإمام داخل في الشغب ومستبعد عن الأدب وموجب للتفرّق المنافي للاجتماع، وأكثر المسائل الخلافية بين الحنفي والشافعي من هذا القبيل يكون الرجحان في الظاهر في المذهب الشافعي، ويكون التأييد والتقوية في الباطن والحقيقة في جانب الحنفي، وقد أظهروا لهذا الفقير ـ يعني من عالم الغيب ـ أن الحقّ في الخلافيات في جانب الحنفي وهم يرون التكوين من الصفات الحقيقية، وهو وإن كان يرى في الظاهر أنه راجع إلى القدرة والإرادة، ولكن يظهر بدقّة النظر ونور الفراسة أنه صفة على حدة.

وعلى هذا القياس سائر الخلافيات، وكذلك الأمر في الخلافيات الفقهيّة، فإن الصواب فيها في جانب الحنفي في أكثر المسائل وفي الأقل تردّد، وقد قال

لي النبيّ ﷺ في الواقعة في أواسط الأحوال: أنت من المجتهدين في علم الكلام، فمن هذا الوقت لهذا الحقير رأي خاص وعلم مخصوص في كل مسألة من المسائل الكلامية، وأكثر المسائل الخلافية التي فيها نزاع بين الأشاعرة والماتريدية، وإن كان يظهر فيها في الابتداء أن الحقّ في جانب الأشاعرة، ولكن إذا أمعن فيها النظر بنور الفراسة يتّضح أن الحقّ في جانب الماتريدية، ورأي هذا الفقير موافق لآراء العلماء الماتريدية في جميع المسائل الكلامية الخلافية، والحقّ أن لهؤلاء الأكابر بواسطة اتّباع السنة السنيّة على صاحبها الصلاة والسلام والتحية شأنًا عظيمًا لم يتيسّر ذلك الشأن لمخالفيهم بواسطة خلط الفلسفيات وإن كان كِلا الفريقين من أهل الحقّ، وماذا أكتب من علوّ شأن رئيسهم الإمام الأجلّ والهُمام الأكمل أبي حنيفة رضي الله عنه، فإنه أعلم المجتهدين وأورعهم وأتقاهم.

قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: الفقهاء كلّهم عيال أبي حنيفة. نقل عن الإمام الشافعي رضي اللهعنه أنه لما زار قبر أبي حنيفة ترك اجتهاده، وقال: أستحيي منه أن أعمل في حضوره برأيي وأخالفه، فترك قنوت الفجر وقراءة الفاتحة خلف الإمام. نعم، إنما يعرف عَظَمَة شأن أبي حنيفة الإمام الشافعي، وإذا نزل عيسى على نبيّنا وعليه الصلاة والسّلام غدا يعمل بمذهب أبي حنيفة رضي الله عنه، كما قال محمد پارسا قدّس سرّه في الفصول الستّة: يعني يوافق رأيه كما حقّقه في مواضع، وهذه العَظَمة كافية له لا يُعادلها مائة عظمة أخرى، قال حضرة شيخنا قُدّس سرّه: قرأت الفاتحة خلف الإمام مدة ثم رأيت الإمام الأعظم ليلة في المنام ينشد قصيدة غرّاء في مدحه يُفهم منها أن كثيرًا من الأولياء كانوا على مذهبي، فتركت قراءة الفاتحة خلف الإمام من هذا الوقت.

ومنها أن كاملاً يجيز ناقصًا بتعليم الطريقة وفي ضمن اجتماع المريدين الناقصين يتمّ أمر ذلك الناقص المجاز أيضًا، وقد أجاز حضرة الخواجة النقشبند قُدّس سره لمولانا يعقوب الجرخي بتعليم الطريقة، وقال له: يا يعقوب كلّ ما وصل إليك مني أوصله إلى خلق الله، وقد تمّ أمر مولانا يعقوب بعد ذلك في خدمة الخواجة علاء الدين العطار قُدّس سرّه، ولهذا عَدَّهُ مولانا عبد الرحمٰن

الجامي في النفحات من مريدي الخواجة علاء الدين العطّار أولاً ثم ينسبه إلى الخواجة النقشبند ثانيًا، ومن هذا القبيل أن بعض الكُمّلاء يجيز بتعليم الطريقة لمريد فيه استعداد درجة واحدة من درجات الولاية بعد حصول تلك الدرجة وذلك المريد كامل من وجه، وناقص من وجه، وكذلك حال مريد فيه استعداد درجتين أو ثلاث درجات من درجات الولاية في أنه كامل من وجه وناقص من وجه، فإنه ما لم يوصل إلى نهاية النهايات يكون في كل درجة من الدرجات كمال من وجه ونقص من وجه ومع ذلك يجيزه الشيخ الكامل بتعليم الطريقة بعد حصول مرتبة استعداد، فلم تكن الإجازة موقوفة على الكمال المُطلق، ينبغي أن يعلم أن النقص وإن كان منافيًا للإجازة، ولكن لما أناب الكامل المُكَمّل الناقص مَنَاب نفسه يعد يده كيده لا يتعدّى ضرره، والله أعلم بحقائق الأمور كلّها.

ومنها أن ياد داشت عبارة عن دوام حضور حضرة الذات تعالت وتقدّست، يُتَخيّل لأرباب القلوب أيضًا في بعض الأحيان بواسطة جامعيّة القلب، فإن كل ما هو في الإنسان فهو ثابت للقلب وحده، وإن كان الفرق بالإجمال والتفصيل موجودًا فيتيسّر حضور ذات الحقّ سبحانه وتعالى على سبيل الدوام في مرتبة القلب أيضًا، ولكن هذا المعنى صورة ياد داشت لا حقيقته، ويمكن أن يكون المراد باندراج النهاية في البداية هو هذا الياد داشت الصوري، وأمّا حقيقته فإنما تحصل بعد تزكية النفس وتصفية القلب، ولكن إذا كان المُراد بحضرة الذات مرتبة الوجوب التي الذات فيها جامعة للصفات الوجوبية يتصوّر حصول ياد داشت بمجرد الوصول إلى شهود هذه المرتبة بعد طيّ جميع المراتب الإمكانية، ويتحقّق هذا المعنى أيضًا في التجلّيات الصفاتية، فإن ملاحظة الصفات ليست بمنافية لحضور حضرة الذات تعالت وتقدّست على هذا التقدير.

وأمّا إذا كان المُراد بها مرتبة الأحدية المجرّدة التي هي مُعَرّاة عن جميع الأسماء والصفات والنسب والاعتبارات، فحصول ياد داشت إنما يتصوّر بعد طيّ جميع المراتب الأسمائية والصفاتية والنسبية والاعتبارية، وكل موضع بيّن فيه هذا الفقير ياد داشت أراد به المعنى الأخير وإن كان إطلاق الحضور غير

ملائم في تلك المرتبة كما لا يخفى على أربابه، فإنها متعالية عن الحضور والغيبة، ولا بدّ في إطلاق الحضور من ملاحظة صفة من الصفات، والمناسب للفظ الحضور هو تفسير ياد داشت بالمعنى الثاني، فإطلاق النهاية على ياد داشت على هذا التقدير إنما هو باعتبار الشهود والحضور، فإنه لا مجال للشهود والحضور فوق هذه المرتبة بل فيه إما جهل وحيرة، وإما معرفة، ولكن هذه المعرفة ليست المعرفة التي تعرفها أنت، فإن معرفتك هي المعرفة الأسمائية والصفاتية، وهذا المقام فوق معرفة الأسماء والصفات بمراحل كثيرة، والصلاة والسلام على خير البشر وعلى آله الأطهار.

ومنها أن تمامية هذا الطريق بالوصول إلى نهاية النهايات مربوطة بطيّ المقامات العشر المشهورة التي أوّلها التوبة، وآخرها الرضا، ولا يتصوّر مقام فوق مقام الرضا في مراتب الكمال حتى الرؤية الأخرويّة أيضًا، وإنما يظهر حقيقة مقام الرضا في الآخرة وحصول بقية المقام في الآخرة غير متصوّر، فإنه لا معنى للتوبة هناك، ولا مجال للزهد فيها، ولا يتصوّر التوكل ثمّة ولا احتمال للصبر هنالك. نعم يتصوّر فيها الشكر ولكنه من شعب الرضا لا أمر مباين له، فإن قيل: ربما يفهم الرغبة في الدنيا من الكامل المكمّل، ويشاهد منه ما هو منافٍ للتوكّل ويظهر منه الجزع الذي هو مناف للصبر، وتوجد فيه الكراهة التي هي ضدّ الرضا، فما وجه ذلك؟ أجيب: إن حصول هذه المقامات مخصوص بالقلب والروح، وتحصل هذه المقات في النفس المطمئنّة أيضًا بالنسبة إلى أخصّ الخواص. وأما القالب، فهو خالٍ من هذا المعنى، ولا نصيب له منه، وإن انكسرت سَوْرَته[1] وشدّته. قال شخص للشبلي: أنت تدّعي المحبة وسمانتك هذه تنافي المحبّة، فقال الشبلي في جوابه: شعر

أحب قلبي وما درى بدني ولو درى ما أقام في السمن

فإذا ظهر في قالب الكامل ما ينافي تلك المقامات لا يضرّ ذلك في حصول تلك المقامات بالنسبة إلى باطنه ولا ينافيه. وأما غير الكامل، فتظهر نقائص تلك المقامات في كليته بحيث إذا كان راغبًا في الدنيا يكون راغبًا

(1) سَوْرَة: حِدّة؛ وسورة السلطان: سطوته واعتداؤه. (لسان العرب).

بظاهره وباطنه ومنافي التوكل يكون شاملاً لصورته وحقيقته، ويظهر فيه الجزع قلبًا وقالبًا، وتبدو فيه الكراهة روحًا وبدنًا، وهذه الأشياء هي التي جعلها الحقّ سبحانه قباب أوليائه، وجعل بها أكثر الناس محرومين من كمالاتهم، وفي إبقاء هذه الأشياء في الأولياء حكمة غامضة، وهي عدم امتياز الحق عن الباطل الذي هو من لوازم هذه الدار التي هي محل الابتلاء، وفي إبقائها فيهم، ولو بحسب الصورة، ترقيهم. فإنه لو ارتفعت هذه الأشياء عن الأولياء بالكلية لانسدّ طريق ترقّيهم ولصاروا محبوسين في مقام مخصوص كالملك، والسلام على من اتّبع الهدى والتزم متابعة المصطفى عليه وعلى آله أتمّ الصلوات وأكمل التسليمات.

ومنها إلـٰهي ما هذا الذي جعلت أولياءك باطنهم زلال الخضر من ذاق منه قطرة نال الحياة الأبدية، وظاهرهم سُمٌّ قاتل من نظر إليه مات بالموت الأبدي، وهم الذين باطنهم رحمة وظاهرهم زحمة، مَن اطّلع على بواطنهم فهو منهم، ومن اقتصر نظره عى ظواهرهم فهو من مُعاديهم، وظاهرهم كالشعير، وباطنهم كالحنطة، بظاهرهم من عوامّ البشر وبباطنهم من خواصّ الملك، بصورتهم في الأرض وبمعناهم في الفلك لا يشقى جليسهم ويَسْعد أنيسهم، أولئك حزب الله ألَا إن حزب الله هم المفلحون، وصلّى الله تعالى على سيدنا محمد وآله وسلّم.

ومنها أن الحقّ سبحانه قد أخفى أولياءه على وجهٍ لا يكون لظاهرهم خبرٌ عن كمالاتهم الباطنية، فكيف من عَداهم وقد حصلت لباطنهم نسبة اللاكيفيّ واللّامثلي، وهي أيضًا لا كيفيّة. وحيث إن باطنهم من عالم الأمر، فله أيضًا نصيب من اللّاكيفي، فالظاهر الذي هو كيفيّ من القَدَم إلى الرأس كيف يدرك حقيقتها، بل يكاد ينكر نفس حصول تلك النسبة من غاية الجهل وعدم المناسبة، ويمكن أن يعلم نفس حصول النسبة، ولكن لا يدري أن متعلّقها مَنْ هو، بل ربما ينفي متعلّقها الحقيقي، وكلّ ذلك لعلوّ تلك النسبة ودنوّ الظاهر. وأما الباطن، فهو مغلوب تلك النسبة وخارج عن الشهود والمعرفة، فما يدريه أنه ماذا حصل فيه وبمن يتعلق حاصله؛ فلا جرم لا يكون سبيل إلى المعرفة سوى العجز عن المعرفة، ولهذا قال الصدّيق الأكبر رضي الله عنه: العجز عن

دَرْك الإدراك إدراك. نفس الإدراك عبارة عن النسبة الخاصة التي العجز عن إدراكها لازم، لأن صاحب هذا الإدراك مغلوب لا يعلم إدراكه وغيره لا يعلم حاله كما مرّ.

ومنها كان شخص ممن يتلبّس بلباس الصوفية مُبْتلًى بالبدعة الاعتقادية، وكان لي تردّد في حقّه، فرأيت اتّفاقًا أنّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلّهم مجتمعون وكلّهم يقولون بلسانٍ واحد في حقّه إنه ليس منّا، فخطر في خاطري في تلك الأثناء أن استفسرهم عن حال شخص آخر كان لي تردّد فيه أيضًا، فقالوا في حقّه: كان منّا نعوذ بالله سبحانه من سوء الاعتقاد ومِنْ طعن أنبيائه الأمجاد.

ومنها قد أظهروا لهذا الفقير أن ألفاظ القرب والمَعِيّة والإحاطة الإلـٰهيّة الواقعة في القرآن من جملة المتشابهات القرآنية كاليد والوجه، وكذلك لفظ الأول والآخر والظاهر والباطن وأمثالها، فنقول: إن الحق سبحانه قريب، ولكن لا ندري معنى قربه أنه ما هو، وكذلك نقول: إنه الأول، ولكن لا نعلم أن المراد بالأوّل ما هو، ومعنى القرب والأوليّة الذي يحصل في حيطة علمنا وفهمنا، فهو سبحانه مُنَزّه ومُبَرّأ منه، وما يظهر في كشفنا وشهودنا فهو تعالى متعالٍ عنه، والقرب والمعيّة اللذان وجدهما بعض المتصوّفة بطريق الكشف، واعتقد الحقّ سبحانه قريبًا ومعًا بذلك المعنى الكشفي، فليس ذلك بمستحسن وله قدم في مذهب المجسّمة، وما قاله بعض العلماء في تأويله بالقرب العلمي فهو مثل تأويل اليد بالقدرة والوجه بالذات، فهو مجوّز عند مجوّزي التأويل، ونحن لا نُجَوّز التأويل، بل نحيل علمه على الله تعالى العلم عند الله سبحانه، والسلام على من اتّبع الهدى.

ومنها كنت أؤدي صلاة الوتر أحيانًا في أوّل الليل وأحيانًا في آخره، فأُريت في ليلة من الليالي أن الإنسان إذا نام بنيّة أداء الوتر في آخر الليل تكتب له الحسنات في جميع الليل إلى أن يُصلّي الوتر، فكلما يؤخّر الوتر يكون أحسن وأنفع، ومع ذلك ليس منظور الفقير في تأخير الوتر وتعجيله سوى متابعة النبيّ ﷺ، ولا أعدل شيئًا من الفضيلة بمتابعته ﷺ، وكان ﷺ يصلّي الوتر في أوّل الليل أحيانًا وفي آخره أخرى، وأرى سعادتي في التشبّه به ﷺ في جميع

الأمور، وأن ذلك التشبّه بحسب الصورة فقط، وبعض الناس يجعلون لبعض السنن دخلاً في إحياء الليالي وأمثالها، والعجب من قصور فهمهم، وأنا لا أشتري الوفا من إحياء الليالي بنصف متابعة، ولما أردت الاعتكاف في العشر الأخير من رمضان جمعت أصحابي وقلت لهم: لا تنووا شيئًا غير اتّباع السنّة، ماذا يكون تبتلنا وانقطاعنا نقبل مائة من التعلق بمتابعة واحدة، ولا نقبل ألفًا من التبتّل والانقطاع بلا توسّل متابعة. شعر:

مَن كان في قصره الحسناء قد فرغا　　　من التلذّذ بالبستان والخضر

رزقنا الله سبحانه كمال متابعته عليه الصّلاة والسلام.

ومنها كان جمع من الدراويش ذات يوم قاعدين عندي، قال هذا الفقير: من كمال محبّته به ﷺ أن محبّته ﷺ قد استولت على نهج حبّ الله سبحانه لكونه ربّ محمّد ﷺ، فتحيّر الحاضرون من هذا الكلام، ولكن لم يكن فيهم مجال للإنكار والمخالفة، وهذا الكلام نقيض كلام رابعة حيث قالت: قلت له ﷺ في المنام: إن محبة الحقّ سبحانه قد استولت على نهج لم يبقَ محلٌ لمحبّتك، وهذان الكلامان وإن كانا يُنْبِئان عن السُّكر، ولكن في كلامي أصالة. وقالت هي في عين السكر وأنا في ابتداء الصَّحْو، وكلامها في مرتبة الصفات وكلامي بعد الرجوع من مرتبة الذات، فإنه لا مجال في مرتبة الذات لمثل هذا الكلام، فإن جميع النِّسَب قاصرة عن تلك المرتبة. هناك كلّه حيرة وجهل، بل هناك نفي المحبّة بالذَّوْق لا يرى السالك نفسه لا بقاء بالمحبّة هناك، والمحبة إنما هي في مرتبة الصّفات فقط، وما يقال من المحبّة الذاتية ليس المراد بها الذات الأحديّة، بل الذات مع بعض اعتباراتها، فمحبة رابعة إنما هي في مرتبة الصّفات، والله سبحانه المُلهم للصواب، والصلاة والسلام على سيّد البشر وآله الأطهار.

ومنها أن شَرَافة العلم على مقدار شرافة المعلوم، فكلّما يكون المعلوم أشرف يكون العلم به أعلى، فيكون علم الباطن الذي امتاز به الصوفية أشرف من علم الظاهر الذي هو نصيب علماء الظواهر على قياس شرافة علم الظاهر بالنسبة إلى علم الحِجامة والحياكة، فيكون رعاية آداب الشيخ الذي أخذ عنه علم الباطن أَزْيَد من أضعاف رعاية آداب الأستاذ الذي استفاد منه علم الظاهر،

وكذلك رعاية آداب الأستاذ في علم الظاهر يكون أَزْيَد من أضعاف رعاية آداب أستاذ الحجامة والحياكة، وهذا التفاوت جارٍ أيضًا فيما بين أصناف العلوم الظاهرية، فإن أستاذ علم الكلام والفقه أَوْلى وأقْدم من أستاذ عِلْم النّحو والصَّرْف، والأستاذ فيهما أَوْلى من أُستاذ العلوم الفلسفية، مع أن الفلسفة ليست بداخلة في العلوم المُعتبرة، فإن أكثر مسائلها لا طائل فيها ولا حاصل، وأقلّ مسائلها الذي أخذوها عن الكتب الإسلامية وتصرّفوا فيه ليس بخالية عن الجهل المُرَكّب، فإنه لا مجال للعقل في ذلك الموطن، فإن طَوْر النبوّة وراء طَوْر العقل النظري.

ينبغي أن يُعلم أن حقوق الشيخ فوق حقوق جميع أرباب الحقوق، بل لا نسبة بين حقوق الشيخ وبين سائر الحقوق بعد إنعامات الحقّ سبحانه وإحسانات رسوله عليه الصلاة والسلام، بل الشيخ الحقيقي للكلّ هو رسول الله ﷺ، والولادة الصُورية وإنْ كانت من الوالدين، ولكن الولادة المعنوية مخصوصة بالشيخ، والولادة الصُورية منشأ لحياة أيّام معدودة. وأما الولاية المعنوية، فهي مستلزمة لحياة أبديّة، والذي يكنس نجاسة المريد المعنوية بقلبه وروحه ويطهر كرشه هو الشيخ، وقد يحسّ في التوجّهات إلى بعض المريدين والمسترشدين لتطهير نجاساتهم الباطنية وأن التلوّث يسري أيضًا لصاحب التوجّه ويجعله مكدّرًا إلى مدّة، والشيخ هو الذي يُوصل بتوسّله إلى الله عزّ وجلّ الذي هو فوق جميع السعادات الدنيويّة والأُخرويّة، والشيخ هو الذي بوسيلته تتزكّى النفس الأمّارة التي هي خبيثة بالذات وتطهر وتتخلّص من الأمّارية وتنقلب مطمئنّة، ويخرج من الكفر الجبلي ويتشرّف بالإسلام الحقيقي. [وهذا] يطول إذا بيّنت تفصيل شرحه.

فينبغي للسالك أن يعتقد سعادته في قبول شيخه وشقاوته في ردّه نعوذ بالله سبحانه من ذلك، وقد جعل رضا الحقّ سبحانه تحت حُجُب رضا المرشد، وما لم يجعل المريد نفسه فانيًا في رضا المُرْشد لا ينال نصيبًا من مرضيّاته سبحانه وتعالى، وآفة المريد في أذِيّة شيخه، وكل زَلّة يمكن تداركها إلّا زلّة أذيّة المرشد، فإنه لا يمكن تداركها بشيءٍ من الأشياء، وأذيّة المرشد أصل شقاوة المريد وعرقها عياذًا بالله سبحانه من ذلك والخلل الطارىء في المعتقدات

الإسلامية والفتور الواقع في إتيان الأحكام الشرعيّة من نتائج تلك الأذيّة وثمراتها، وماذا أقول من الأحوال والمواجيد المتعلقة بالباطن، فإن بقي أثر من الأحوال مع وجود أذيّة المرشد ينبغي أن يُعِدّه من الاستدراج الذي يجرّ أخيرًا إلى الخرابية ولا ينتج شيئًا غير الضُّرر، والسلام على من اتّبع الهدى.

ومنها القلب من عالم الأمر أورد في عالم الخلق وجعل فيه التعشق له، وأعطى له التعلق الخاص بالمضغة التي في جانب اليسار وتعشقه هذا يشبه تعشّق الملك للكناس نزل بسببه إلى منزله، والروح التي هي ألطف من القلب هي من أصحاب اليمين، واللطائف الثلاث الباقية التي هي فوق الروح مشرّفة بشرف خير الأُمور أوسطها، وكل ما يكون ألطف فهو بالوسط نسب، إلّا أن السرّ والخفي على طرفي الأخفى أحدهما على اليمين والآخر على الشمال، والنفس مجاورة للحواس متعلّقة بالدماغ وترقّي القلب مَنُوط بوصوله إلى مقام الروح وإلى ما فوقه، وكذلك ترقّي الروح وما فوقها من اللطائف مربوط بوصولها إلى المقامات الفوقانية، وهذا الوصول في الابتداء بطريق الأحوال، وفي الانتهاء بطريق المقام.

وترقّي النفس بوصولها إلى مقام القلب بطريق الأحوال في الابتداء، وبطريق المقام في الانتهاء، وتصل هذه اللطائف الستّ آخر الأمر إلى مقام الأخفى. وتقصد الكل الطيران إلى عالم القدس بالاتّفاق، وتترك لطيفة القالب خالية، وهذا الطيران أيضًا بطريق الأحوال في الابتداء، وبطريق المقام في الانتهاء، ويحصل الفناء والموت الذي يكون قبل الموت عبارة عن مفارقة اللطائف الستّ: لطيفة القالب وسرّ بقاء الحسّ والحركة في القالب بعد مفارقة تلك اللطائف قد بُيّن في مواضع أُخر ينبغي أن يطلبها منها، وهذا الورق لا يَسَعْ التفصيل، وإنما يُتَكَلّم هنا بالإشارة والرموز، ولا يلزم أن تجتمع جميع اللطائف في مقام واحد ثم تطير منه، بل ربما يتّفق القلب والروح على ذلك، وأحيانًا ثلاث، وآونة أربع، وما ذكر أولاً فهو أتمّ وأكمل ومخصوص بالولاية المحمّدية، وما عداه فهو قسم من أقسام الولاية.

وإذا رجعت تلك اللطائف الستّ إلى القالب بعد مفارقتها عنه ووصولها إلى مقام القدس، وتلوّنها بصبغه، يحصل له تعلّق به سوى التعلّق الحُبّي،

وتأخذ حكم القالب، وبعد الامتزاج يحصل لها أيضًا قسم من الفناء، وتأخذ حكم الميت، ففي هذا الوقت يتجلى لها بتجلٍّ خاص وتحصل لها حياة جديدة، وتتحقق بمقام البقاء بالله وتتحلى بأخلاق الله، فهو إذا أُعيد إلى العالم بعد أن كُسِيَ تلك الخلعة تنجرّ المعاملة من الدنوّ إلى التدلّي، وتبدو مقدّمة التكميل، فإن لم يرجع ولم يحصل التدلّي بعد الدنوّ يكون من أولياء العُزْلة، فلا يمكنه تربية الطالبين وتكميل الناقصين، هذا حديث بداية الطريق ونهايته بطريق الرمز والإشارة، ولكن فهمه بغير قطع المنازل مُحال، والسلام على من اتّبع الهدى والتزم متابعة المصطفى عليه وعلى آله الصّلاة والسلام.

ومنها أن الحق سبحانه مُتَكَلِّم من الأزل إلى الأبد بكلام واحد ليس هو متبعضًا ومتجزئًا، فإن السكوت والخرس مُحال في حقه تعالى. ما العجب إذا كان هناك من الأزل إلى الأبد آنًا واحدًا، إذ لا يجري عليه سبحانه زمان، فكيف يقع في آنٍ واحد غير كلام واحد بسيط، وقد صار هذا الكلام الواحد منشأ لأقسام كثيرة من الكلام باعتبار تعدّد تعلقات شتّى إذا تعلّق بمأمور مثلاً نشأ منه أمر، وإن تعلق بمنهيّ حصل نهي، وإن بإخبار ظهر خبر. غاية ما في الباب أن الإخبار عن الماضي والاستقبال أوقع جمعًا في الإشكال، وتقدم الدال وتأخّره أدّى بهم إلى ملاحظة تقدم المدلول وتأخّره، ولا إشكال في الحقيقة، فإن الماضي والمستقبل من صفات امتداد مخصوصة به حصل ذلك الامتداد باعتبار انبساط ذلك الآن وحيث إن ذلك الآن بحاله في مرتبة المدلول، وليس فيها انبساط أصلاً، لا مجال فيه للماضي والاستقبال. قال أرباب العقول: إن للماهية الواحدة باعتبار الوجود الخارجي لوازمات شتّى، وباعتبار الوجود الذهني لوازمات أخرى، فإذا جاز تباين الصّفات واللوازم في شيء واحد باعتبار تغاير الوجود والهوية جاز ذلك في الدال والمدلول اللذين متغايران في الحقيقة بالطريق الأولى.

وما قيل من أنه من الأزل إلى الأبد آن واحد، فهو من ضيق العبارة، وإلّا لا مجال للآن أيضًا هناك، وإطلاقه أيضًا ثقيل هنا كإطلاق الزمان.

ينبغي أن يُعْلَم أنّ الممكن إذا وضع قدمه في خارج دائرة الإمكان يجد الأزَل متّحدًا بالأبد، وقد وجد النبيّ ﷺ ليلة المعراج في مقامات العروج

يونس عليه السلام في بطن الحوت، وكان طوفان نوح عليه السلام موجودًا، ورأى أهل الجنّة في الجنّة وأهل جهنّم في جهنّم، ورأى عبد الرحمٰن بن عوف الذي هو من أغنياء الصحابة رضي الله عنهم متأخّر الدخول في الجنّة بمقدار خمسمائة سنة نصف يوم من أيام القيامة، وسأله عن سبب تأخّره، وأجاب هو عن عقباته، وكل ذلك صار مشهودًا في مثل آن واحد، ليس فيه سعة للماضي والاستقبال، وقد ظهر لهذا الحقير أيضًا هذه الحالة في بعض الأوقات بصدقة حبيبه عليه الصّلاة والسلام وجد فيها الملائكة في السجود لآدم عليه السلام، ولم يرفعوا رؤوسهم من السجود، ورأى الملائكة العالين ممتازًا عنهم، فإنهم لم يكونوا مأمورين بالسجدة، كما ذكره الشيخ محيي الدين بن عربي، وهم مستهلكون ومستغرقون في مشهودهم والأحوال الموعود بها في الآخرة صارت مشهودة في تلك الآن، وحيث مرّت على هذه الواقعة مدّة لم يبيّن أحوال الآخرة تفصيلاً لعدم اعتماده على حافظته، لكن ينبغي أن يُعلم أن هذه الحالة كانت لروح النبيّ ﷺ وجسده جميعًا ومشهوده كان بالبصر والبصيرة معًا، فإن حصلت هي لغيره يكون طفيليًا وتبعية ومقصورًا على الروح والبصيرة.

ومنها أن التكوين إحدى صفات واجب الوجود الحقيقية، والأشاعرة يرونها من الصفات الإضافية، ويزعمون أن القدرة والإرادة كافيتان في الإيجاد، ولكن الحقّ أنها صفة حقيقية برأسها سوى القدرة والإرادة، وبيان ذلك أن القدرة هي صحة الفعل والتّرْك، والإرادة تخصيص أحد هذين الطرفين، فتكون رتبة القدرة مقدّمة على رتبة الإرادة، والتكوين الذي نُعِدُّه من الصّفات الحقيقية رتبته بعد رتبة القدرة والإرادة، وحكمه إيجاد الطرف المخصّص بالإرادة، فالقدرة مُصَحِّحة للفعل، والإرادة مُخَصِّصة له، والتكوين موجده، فلا بدّ من التكوين وهو بمثابة الاستطاعة الكائنة مع الفعل التي أثبتها علماء أهل السنّة في العبادة، ولا شكّ أن هذه الاستطاعة بعد ثبوت القدرة، بل بعد تعلّق الإرادة وتحقّق الإيجاد مربوط بهذه الاستطاعة، بل هي موجب للفعل، وطرف الترك غير مُتَصَوَّر هنا، وحال صفة التكوين هو هذا، يعني الإيجاد به بطريق الإيجاب، وهذا الإيجاب لا يضرّ في تحقّق الاختيار في الواجب تعالى، فإن

ثبوته بعد تحقق القدرة التي هي بمعنى صحة الفعل والترك بعد تعلق الإرادة بخلاف ما قال به الفلاسفة، فإنهم زعموا أن الشرطية الأولى - يعني إن شاء - فعلَ واجب الصدق، وأن الشرطية الثانية ممتنع الصدق، وينفون الإرادة، فإنه صريح في الإيجاب تعالى الله سبحانه عن ذلك علوًّا كبيرًا، والإيجاب الحاصل بعد تعلّق الإرادة وتخصيص أحد المقدورين مستلزم للاختيار، ومؤكّد له ليس بنافٍ له، وقد وقع كشف صاحب الفتوحات أيضًا موافقًا لرأي الفلاسفة، حيث يعتقد الشرطية الأولى في القدرة واجبة الصدق، والثانية ممتنعة الصدق، وهذا قول بالإيجاب، ويلزم على هذا تعطّل صفة الإرادة، فإنّ تخصيص أحد المتساويين مُنْتَفٍ هنا، فإن أثبت هذا المعنى في التكوين فله مساغ، وهذا الفرق تدقيق قَلَّ من سبق ببيانه، وعلماء الماتريدية وإنْ أثبتوا هذه الصفة، ولكنّهم لم يقتفوا أثر جِدَّة النظر هذه، وقد جعلهم أتباع السُّنة السَّنيّة ممتازين بهذه المعرفة من بين سائر المتكلّمين، وهذا [الفقير] الحقير من مقتطفي أزهارهم ثبّتنا الله سبحانه على معتقداتهم الحَقَّة بحُرْمة سيّد المرسلين عليه وعلى آله أتمّ الصلوات وأكمل التسليمات.

ومنها أن رؤية المؤمنين الحق عزّ وجلّ في الآخرة حقٌّ، وهذه مسألة لم يقل بجوازها أحد من فرق الإسلام والفلاسفة غير أهل السُّنّة والجماعة، والباعث على إنكارهم هو قياس الغائب على الشاهد وهو قياس فاسد، فإنّ المرئيّ إذا كان غير مكيّف تكون الرؤية المُتعلّقة به أيضًا غير مكيّفة ينبغي الإيمان بها وأن لا يشتغل بكيفيّتها، وقد أظهروا هذا السرّ اليوم لخواصّ الأولياء وإن لم تكن رؤية، ولكنّها ليست ببعيدة، كأنك تراه ويراه المؤمنون غدًا كلُّهم بعين رؤوسهم، ولكنهم لا يدركون شيئًا لا تُدركه الأبصار، وإنما يجدون شيئين: العلم اليقيني بالذي يرونه، والالتذاذ المترتّب على الرؤية، وغير هذين من لوازم الرؤية كلّها مفقودة.

وهذه المسألة من أغمض مسائل عِلم الكلام وطور العقل عاجز في إثباتها وتصويرها، وقد أدركها متابعو الأنبياء من العلماء والصوفية بنور الفراسة المقتبس من أنوار النبوّة، وكذلك سائر المسائل الكلامية التي يعجز العقل في إثباتها ويتحيّر، وجدها العلماء بنور الفراسة فقط والصوفية بنور الفراسة والكشف

والشهود، والفَرْق بين الكشف والفراسة كثير، والمسائل التي قال بها أهل السنّة وأنكرها المخالفون بالتزام طور العقل كلُّها من هذا القبيل، أعني أنهم أدركوها بنور الفراسة والكشف الصحيح، فإن أوضحوها بالدلائل فمقصودهم منه التصوير والتنبيه لا إثباتها بالنظر والدليل، فإنّ نظر العاقل عاجز عن إثباتها وتصويرها.

والعجب من العلماء أنهم يقيمون أنفسهم في هذه المسائل في مقام الاستدلال، ويريدون إثباتها بالدلائل، ويُلْزِمون المخالفين الحجّة، وهذا لا يتيسّر ولا يتمّ، ويزعم المخالفون من ذلك أن هذه المسائل أيضًا مُزَيّفة وغير تامّة، مثلاً: إن العلماء أثبتوا الاستطاعة مع الفعل، وهذه المسألة من المسائل الحقّة التي صارت معلومة بنور الفراسة والكشف الصحيح، ولكن أدلّتهم التي أوردوها في إثباتها مُزَيّفة وغير تامّة، وأقوى أدلّتهم في ذلك عدم بقاء الأعراض في زمانين للزوم قيام العرض بالعرض، وهو مُحال، وحيث اعتقد المخالفون هذا الدليل مزيّفًا وغير تامّ تيقّنوا أن هذه المسألة أيضًا غير تامّة، ولم يدروا أن مُقْتداهم ومستندهم في هذه المسألة وأمثالها هو نور الفراسة المُقتبس من أنوار النبوّة، وهذا من تقصيرنا حيث نجعل الحدسيّ والبديهيّ نظريًا في نظر المخالف، ونجتهد في إثباته بالتكلّفات.

غاية ما في الباب أن الحدس والبديهة ليسا بحجّة على المخالف، ولا ضرر لنا في ذلك، فإنه لا يلزمنا شيء سوى الإعلام والتبليغ، فمن كان فيه حسن النشأة الإسلامية يقبلها بلا اختيار، ومن ليس فيه ذلك لا نزيد سوى الإنكار، وما أحسن طريق أصحاب شيخ الإسلام الشيخ أبي منصور الماتريدي حيث إنهم يقتصرون على المقاصد ويُعْرِضون عن التدقيقات الفلسفيّة، وإنما نشأ النظر والاستدلال على طريقة الفلسفي بين علماء أهل السُنّة والجماعة من الشيخ أبي الحسن الأشعري، وأراد هو أن يُتِمّ ويحفظ معتقدات أهل السنّة بالاستدلالات الفلسفية، وهذا عيب ومُوجب لجسارة المخالفين على الطَّعْن في أكابر الدين وترك لطريق السلف، ثبّتنا الله سبحانه على متابعة آراء أهل الحق المُقْتبسة من أنوار النبوّة على صاحبها الصلاة والسلام والتحيّة.

يقول المعرّب عُفِيَ عنه: لقد صدق الإمام قُدِّس سرُّه في قوله: سلكوا مسلك الفلسفة في الاستدلال، وقد كَثُر ذلك في القرن الخامس وبعده، ونضج ذلك في عصر الطوسي، ثم في عصر القاضي عضد والتفتازاني والدواني وعصر محشّيه حتى فَشِيَ ذلك في سائر الأقطار، وتنوسي طريق السلف في أكثر الأمصار، وقد اعترف التفتازاني بذلك في ديباجة شرحه للعقائد النسفية، حيث قال فيها: ثم لمّا نُقِلَت الفلسفة إلى العربية وخاض فيها الإسلاميّون حاولوا الردّ على الفلاسفة فيما خالفوا فيه الشريعة، فخلطوا بالكلام كثيرًا من الفلسفة ليحقّقوا مقاصدها، فيتمكّنوا من إبطالها وهلمّ جرًّا، إلى أن أدرجوا فيه معظم الطبيعيّات والإلـهيّات وخاضوا في الرياضات حتى كاد لا يتميّز عن الفلسفة لولا اشتماله على السمعيّات. اهـ كلام التفتازاني.

قلت: لم يحصل هذا الغرض، فإنه لم يُنْقَل عن أحد اهتداء فلسفي وتركه مذهبه، ولكن عَمَّ ضرره وانتشر شَرّره بين المسلمين، حيث زعموا أن هذا من ضروريّات الدِّين، ومن لم يعرفه لم يُعَدّ من المسلمين، وتركوا ما هو أهمّ لهم في أمر الدين من حفظه من تعرّضات المخالفين الموجودين بالاشتغال بردّ الموهومين، ولما تنبّه على وخامة هذا الأمر بعض أذكياء الفضلاء المتأخّرين رموهم بالضلالة والزَّيغ في الدِّين، ولم يتحاشوا عن تكفيرهم وإخراجهم من الدين، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون. شعر:

إذا كنت لا تدري فتلك مصيبةٌ وإن كنت تدري فالمصيبة أعظمُ

ومجال الكلام في هذا الباب كثير، ولكن خوف الإطناب والإملال يمنعني من ذلك. اهـ ما قاله المعرب عُفِيَ عنه.

ومنها بحكم كريمة: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾ [الضحى: الآية 11] تظهر هذه النعمة العُظمى، قد حصل لهذا الفقير يقين بالمعتقدات الكلامية على وفق آراء أهل الحقّ - يعني أهل السنّة والجماعة - على نهج يكون اليقين الحاصل بالنسبة إلى أجلى البديهيّات في حكم الظنّيّات، بل الوهميّات، مثلاً: إذا وازنت اليقين الحاصل بكلّ واحدٍ من المسائل الكلاميّة باليقين الحاصل بوجود الشمس أغار على إطلاق اسم اليقين على الثاني في جنب اليقين الأوّل يَقبل أرباب العقول هذا المعنى أوّلاً، ولعلّهم لا يقبلونه، فإنه وراء طور نظر العقل، وليس

للعقل الذي نظره مقصور على الظاهر نصيب من هذا المقام سوى الإنكار، وحقيقته هذه المعاملة هي أن اليقين أمرٌ قلبيّ، واليقين الذي يحصل في القلب بوجود الشمس إنّما هو بتوسّط الحواس التي حُكْمها حُكْم الجواسيس، واليقين الذي يحصل فيه بمسألة من المسائل الكلامية ليس هو بتوسّط شيء، وإنما تلقّاه من حضرة الوهّاب جلّ وعلا بطريق الإلهام وأخذه عنه بلا واسطة شيء، فكان اليقين الأول بمثابة علم اليقين، وشتّان ما بينهما.

هل المسموع كالمرئي قط؟

فمتى صارت ساحة صدر الطالب بمحض فضل الحقّ جلّ وعلا خالية عن جميع المرادات ولم يبق فيها مقصود غير الحقّ سبحانه يتيسّر في ذلك الوقت ما هو المقصود من خلقته، ويصير مؤدّيًا حقيقة العبودية، فإذا أُريد إرجاعه بعد ذلك لتربية الناقصين يمنحه الحقّ سبحانه إرادة واختيارًا من لدنه، ويكون مجازًا في التصرّفات القولية والفعلية ومختارًا فيها؛ كالعبد المأذون، وفي هذا المقام الذي هو مقام التخلّق بأخلاق الله كل ما يريده صاحب الإرادة يريده لغيره، ويكون منظوره مصالح غيره لا مصالح نفسه، كما هو حال إرادة الواجب تعالى، بل لله المثل الأعلى، ولا يلزم من ذلك لزوم وقوع كل ما يريده صاحب هذه الإرادة، بل هذا غير جائز، فإنه شركٌ ولا تطيقه العبودية. كيف وقد قال الله سبحانه لحبيبه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: الآية 56]، فإذا وقعت إرادة سيّد البشر في ورطة التوقّف، ماذا يكون غيره، وكيف يكون لهم مجال في ذلك؟ ولا يلزم أيضًا أن يكون جميع مرادات صاحب الإرادة هذا مرضيًا عند الحقّ سبحانه، وإلّا لما نزل من الحقّ سبحانه اعتراض على بعض أفعاله وأقواله ﷺ، كما قال الله سبحانه: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ﴾ [الأنفال: الآية 67] الآية، ولما كان للعفو عنه معنى؛ كما قال الله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبة: الآية 43] الآية، فإن العفو إنما يُتصوّر في التقصيرات على أن جميع مرادات الحقّ سبحانه ليس مرضيًا له تعالى، كالكفر والمعاصي.

ومنها إمامي في هذا الكلام كلام الله ومقتداي في هذا الأمر القرآن المجيد، فلولا هداية القرآن لما انفتح الطريق إلى عبادة المعبود بالحق، وفي

هذا الطريق ينادي كل لطيف وألطف بنداء أنا الله، ويجعل السالك مبتلاً بعبادته، فإن كان كيفيًّا يظهر نفسه في صورة لاكيفيّ، وإن كان تشبيهًا يجلي نفسه بهيئة التنزيه، والإمكان هٰهنا ممتزجٌ بالوجوب والحدوث مختلط بالقدم، فإن كان باطلاً يظهر بصورة الحق، وإنْ كانت ضلالة تنجلي بشكل الهداية والسالك المسكين كالمسافر الأعمى يتوجّه إلى كل واحد منها قائلاً: هذا ربّي، والله سبحانه يمدح نفسه بخالق السمٰوات والأرض، ويقول: إنه ربّ المشرق والمغرب، فإذا عرضت هذه الصفات ـ يعني: خالقية السمٰوات والأرض... الخ ـ على الآلهة المُتَخيلة وقت العروج تأبى عنها بلا اختيار، وتتوجّه على الزوال؛ فلا جرم يُعْرِض السالك عن الكل قائلاً: لا أحب الآفلين، ولا يجعل قبلة توجّهه غير ذات واجب الوجود. الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، لقد جاءت رسل ربنا بالحقّ.

ومنها نحن كنّا أربعة أشخاص في ملازمة شيخنا، وكنا ممتازين من بين الإخوان عند الناس، وكان لكلّ واحدٍ منّا بالنسبة إلى شيخنا اعتقاد على حِدَة ومعاملة خاصة، وعَلِم الفقير يقينًا أن مثل هذه الصحبة والاجتماع وشبه هذه التربية والإرشاد لم يوجد بعد زمانه ﷺ أصلاً، وشكرت الله سبحانه حقّ شكره على هذه النّعمة العظمى حيث إني وإن لم أتشرّف بشرف صحبة خير البشر ﷺ لكن لم أكن محرومًا من سعادة هذه الصحبة، وقال حضرة شيخنا في كلّ واحدٍ من هؤلاء الثلاثة: إن فلانًا يراني صاحب تكميل ولا يراني صاحب إرشاد، وكأن مرتبة الإرشاد عنده فوق مرتبة التكميل، وفلان ليس له شغل بنا، وقال في حق الآخر: إن له إنكارًا فينا، ونال كل واحد منّا نصيبًا على قدر اعتقاده.

ينبغي أن يُعلم أن اعتقاد المريد أفضلية شيخه وأكمليّته من ثمرات المحبّة ونتائج المناسبة التي هي سبب الإفادة والاستفادة، ولكن ينبغي أن لا يُفَضل شيخه على قوم قد تقرّر أفضليّتهم في الشرع، فإنه إفراط في المحبّة وهو مذموم، وقد كانت خرابية الشيعة وضلالتهم من جهة إفراط في محبّة أهل البيت، واعتقد النصارى عيسى عليه السلام إلٰهًا من إفراط محبّتهم إيّاه، ووقعوا في الخسارة الأبدية.

وأما إذا فَضل شيخه على مَنْ سواهم فهو جائز، بل هذا واجب في الطريقة، وهذا التفضيل ليس باختيار المريد، بل لو كان المريد مستعدًا يظهر فيه هذا الاعتقاد بلا اختيار منه، فيكتسب كمالات الشيخ بواسطته، فلو كان هذا التفضيل باختيار المريد وبالتكلّف فهو غير جائز، ولا ينتج شيئًا.

ومنها إن الدرجة العلياء في النفي والإثبات بكلمة طيّبة: لا إلـه إلّا الله هي أن كلّ ما يُدْرَك بالكشف والشهود ينبغي أن يُدخِله تحت كلمة لا، وإن ظهر بوصف التنزيه الصِّرْف، ولا مثليًا محضًا، وفي جانب الإثبات لا يكون نصيب غير التكلّم بالكلمة المستثناة الصادرة بمواطأة القلب. شعر:

هيهات عنقاء أن يصطاده أحد فارْمِ الشِّراك وإلا دام فيه هوا

والسلام على من اتّبع الهدى والتزم متابعة المصطفى عليه وعلى آله الصلوات والتسليمات.

ومنها أن الحقيقة القرآنية وحقيقة الكعبة الربّانية فوق الحقيقة المحمّدية على مُظْهِرها الصلاة والتحيّة، ولهذا صارت الحقيقة القرآنية أمام الحقيقة المحمّدية وحقيقة الكعبة الربّانية مسجود الحقيقة المحمدية، ومع ذلك حقيقة الكعبة الربّانية فوق الحقيقة القرآنية، فإن هنا ـ أي في حقيقة الكعبة الربّانية ـ جميع اللّاصفاتية واللّالونية لا متسّع في ذلك الموطن للشؤون والاعتبارات، ولا مجال في تلك الحضرة للتنزيه والتقديس.

ينبغي أن يُعْلَم أن صورة الكعبة كما أنها مسجود صور الأشياء، كذلك حقيقة الكعبة مسجود حقائق تلك الأشياء، وأقول قولاً عجبًا لم يسمعه أحد، وما أخْبَره مُخْبِر بإعلام الله سبحانه وإلهامه تعالى إيّاي بفضله وكرمه، وهو أنه يجيء زمان بعد مضيّ ألف وكذا سنة من رحلته ﷺ تعرج فيه الحقيقة المحمّدية من مقامها وتتّحد بمقام حقيقة الكعبة، ويُعْرَض للحقيقة المحمدية اسم الحقيقة الأحمدية، وتكون مظهرًا للذات الأحد جلّ سلطانه، ويتحقّق كِلا الاسمين المباركين بمسمّى واحد ويبقى المقام السابق خاليًا من الحقيقة المحمدية إلى أن ينزل عيسى عليه السلام ويعمل بشريعته ﷺ، فتعرج الحقيقة العيسويّة من مقامه وتستقرّ في مقام الحقيقة المحمّدية التي بقيت خالية.

يقول المعرّب: قد استصعب هذا الكلام كثيرٌ من الناس في زمنه واستفسروه عنه، وقد كتب في حله مكاتيب عديدة أوله المكتوب الثامن والمائتان من الجلد الأوّل، وذكره أيضًا في المكاشفة الغيبية، ولكن الذي تقرّر لديه قُدّس سرّه في الآخرة هو أن الحقيقة المحمدية فوق حقيقة الكعبة وفوق سائر الحقائق، كما هو عند الجمهور كذلك، والغلط ربما يقع في الكشوفات، كما قاله قُدّس سرّه.

ومنها لولا الكلمة الطيّبة لا إلٰه إلّا الله لما يرينا شيء طريقًا إلى جناب قدسه تعالى، ولما يكشف شيء النّقاب عن وجه التوحيد، ولما يفتح لنا شيء أبواب الجنّات، وقد يقلع باستعمال معول كلمة «لا» أمثال الجبال من الصّفات البشرية، وينتفي ببركة تكرار هذا النفي عوالم من التعلّقات، ويبطل به تلك الآلهة الباطلة وينبت بها المعبود بالحقّ جلّ شأنه، ويقطع السالك مدارج العالم الإمكاني بمددهما، ويرتقي العارف إلى معارج الفضاء الوجوبي ببركتها، وهي التي تؤدّي من تجلّيات الأفعال إلى تجلّيات الصفات، وتُوصل من تجلّيات الصّفات إلى تجلّيات الذّات. والسلام على من اتّبع الهدى والتزم متابعة المصطفى، عليه وعلى آله أتمّ الصلوات وأكمل التسليمات.

ومنها كتب الشيخ شرف الدين المنيري في بعض مكتوباته: ينبغي أن لا يقرأ المعوّذتين في صلاة الفرض، فإنّ ابن مسعود رضي الله عنه مخالف للجمهور في هاتين السورتين، فلا ينبغي قراءتهما في الفرض القطعيّ، وكان هذا الفقير أيضًا لا يقرأهما حتى أظهروا لهذا الفقير ذات يوم كأن المعوّذتين حاضرتان تشتكيان من المخدوم في باب المنع عن قراءتهما في الفرض وإخراجهما من القرآن، فمن ذاك الوقت امتنعت من تركهما وشرعت في قراءتهما في الفريضة، وكلما أقرأهما في الفريضة أشاهد أحوالاً عجيبة، والحق أنه إذا رجعنا إلى علم الشريعة لا يظهر وجه المنع عن قراءتهما في الفرض، بل هو إلقاء الشُّبْهة في قطعية هذا الحكم المُجْمَع عليه من أن ما بين الدفّتين من القرآن، مع أن ضمّ السورة من الواجبات التي هي ظنّية، فلا وجه لمنع قراءتهما أصلاً، ولو كانتا ظنّيتين، ولو على فرض المحال، فإن قراءتهما على طريق

الضمّ إلى الفاتحة، فالعجب من الشيخ المقتدي مثل هذا الكلام كُلّ العجب، والصلاة والسلام على سيّد البشر وآله الأطهار.

ومنها أن الحظّ الوافر من طريق الصوفية، بل من مِلّة الإسلام إنما هو لشخص تكون فيه الفطرة التقليدية وجبلة المتابعة أزيد، فإن مدار الأمر هنا على التقليد ومناط الأمر في هذا الموطن على المتابعة بوصل تقليد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إلى درجات عليا وتؤدي متابعة الأصفياء إلى معارج عظمى، وحيث كانت هذه الفطرة في أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه أزيد سارع إلى سعادة تصديق النبوّة بلا توقّف، وصار رئيس الصدّيقين، وحيث كان استعداد التقليد والتبعيّة في أبي جهل أقلّ لم يكن مستعدًّا بتلك السعادة، وصار مقتدى الملعونين، وكل ما ينال المريد من الكمال إنما يناله بتقليده شيخه. خطأ الشيخ أفضل من صواب المريد، ومن هٰهنا تمنى أبو بكر رضي الله عنه سهو النبيّ ﷺ حيث قال: يا ليتني سهو محمد، وقال النبيّ ﷺ في شأن بلال رضي الله عنه: «سين بلال عند الله شين»[1]، فإن بلالاً رضي الله عنه لكونه عجميًّا كان يقول في الأذان: أسهد بالسين الهملة، وكان الأسهد منه عند الله تعالى أشهد، فيكون خطأ بلال أفضل من صواب غيره.

وقد سمعت بعض الأعزّة يقول: إن الخطأ الواقع في بعض الأدعية المنقولة عن بعض المشائخ إذا قرأها المتابعون بذلك الخطأ الصادر من المشائخ تكون مؤثرة، وإن قرأها صحيحة لا تكون مؤثرة، ثبّتنا الله سبحانه على تقليد أنبيائه ومتابعة أوليائه بحرمة حبيبه عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وعلى متابعيهم الصلوات والتسليمات.

يقول المعرب: تركت هنا فصلاً واحدًا لكونه قُدّس سرّه رجع عنه كما ذكره في بعض مكتوباته، فلم أستحسن نشر القول المرجوع عنه بالتعريب اهـ.

ومنها أنّ السالك إذا وقع سيره في تفاصيل الأسماء والصفات صار طريق وصوله إلى حضرة الذات جلّ سلطانها مسدودًا، فإنه لا نهاية للأسماء والصفات

(1) أورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (1520) [1/ 564]؛ والهروي في المصنوع [1/ 158].

حتى يمكن الوصول إلى المقصد الأقصى بعد قطعها، وقد أخبر المشائخ من هذا المقام بأنه لا نهاية لمراتب الوصول، فإنه لا نهاية لكمالات المحبوب، والمراد بالوصول هنا الوصول إلى الأسماء والصفات.

والمسعود هو الذي يقع سيره في الأسماء والصفات بطريق الإجمال، وصار واصلاً إلى حضرة الذات بالسرعة، والواصلون إلى الذات يلزمهم الرجوع للدعوة بعد وصولهم إلى نهاية النهايات، وعدم الرجوع غير متصوّر في ذلك الموطن بخلاف المتوسّطين، فإنه لا يلزمهم الرجوع بعد وصولهم إلى نهاية استعدادهم، بل يمكنهم أن يرجعوا، ويمكنهم أيضًا أن لا يرجعوا ويختاروا الإقامة هناك، فمراتب الوصول مُتصوّرة إلى المنتهين بالتمام، بل لازمة.

وأما المتوسطون الذين سلكوا مسلك تفاصيل الأسماء والصفات، فلا نهاية في حقّهم لمراتب الوصول، وهذا العلم من جملة العلوم المخصوصة بالفقير، والعلم عند الله سبحانه.

ومنها أن مقام الرّضا فوق جميع مقامات الولاية، وحصول هذا المقام العالي بعد تمام السلوك والجذبة، فإن قيل: إن الرضا عن ذات الحقّ سبحانه وصفاته وأفعاله تعالى واجب، وفي نفس الإيمان مأخوذ فلا بدّ منه لعامّة المؤمنين، فما يكون معنى حصوله بعد تمام السلوك والجذبة؟

أجيب: إن للرّضا صورة وحقيقة كسائر أركان الإيمان، ففي الأوائل تحقّق الصورة، وفي النهاية تحقق الحقيقة، فما لم يظهر ما ينافي الرضا تحكم الشريعة بحصول الرضا كالتصديق القلبي حيث يحكم بحصوله، يعني ببقائه ودوامه ما لم يوجد ما ينافيه، وما نحن بصدده حصول حقيقة الرّضا لا صورته، والله سبحانه أعلم.

ومنها ينبغي السعي حتى يتيسّر العمل بالسنّة والاجتناب عن البدعة خصوصًا البدعة التي تكون رافعة للسنّة، قال عليه الصّلاة والسلام: **«مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ»**[1]، وأعجب من حال جماعة يُحْدِثون في

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب إذا اصطلحوا على صلح جور...، حديث رقم (2550).

الدين مع وجود إكماله وإتمامه أشياء يطلبون بتلك المحدثات تكميل الدين ولا يبالون بما عسى يكون ذلك المخترع رافعًا للسنّة، مثلاً: إرسال ذنب العمامة بين الكتفين سنّة، وقد اختار جمع إرساله من طرف اليسار، وكان منظورهم في ذلك التشبّه بالموتى، وقد اقتدى بهم جمعٌ كثير في هذا الفعل، ولا يدرون أن هذا العمل رافع للسنّة ومؤدٍّ إلى البدعة ومُوصل إلى الحرمة، أيُّهما أفضل التشبّه بالموتى أو التشبّه بمحمّد رسول الله ﷺ، وهو الذي تشرّف بالموت قبل الموت؟ فإن يطلبوا التشبّه بالميت، فالتشبه به أَوْلَى، والعجب أن نفس العمامة بدعة في كفن الميت، فكيف ذنبها؟ وبعض المتأخّرين استحسن العمامة في كفن الميت إذا كان من العلماء، وعند الفقير الزيادة نسخ، والنسخ عين الرفع، ثبّتنا الله سبحانه على متابعة السُّنّة السَّنِيّة المصطفوية على مُصْدِرِها الصلاة والسلام والتحية، ويرحم الله عبدًا قال آمينًا.

يقول المعرب عُفي عنه: قد شدّد الإمام الربّاني قُدّس سرُّه في البدعة تشديدًا كثيرًا في غير موضع من مكاتيبه، ويحقّ له ذلك، فلولا هذا لاستغرقت ظلمات البدعة جميع بلاد الهند وما وراء النهر، ولا يخالف قوله في ذلك قول العلماء الأسلاف رحمهم الله حيث قسموا البدعة على حَسَنة وسيّئة، وأرادوا بالحسنة ما يكون له أصل في الصدر الأول، ولو إشارة، كبناء المنائر والمدارس والرباطات وتدوين الكتب وترتيب الدلائل ونحو ذلك، والسيّئة ما ليس له أصل فيه أصلاً، فالإمام قُدّس سرُّه لا يطلق اسم البدعة على القسم الأول لوجود أصله في الصدر الأول، فلا يكون مبتدعًا ومُحْدَثًا، بل يخصّه بالقسم الثاني فقط، لكونه مبتدعًا ومحدثًا حقيقة، ولقوله ﷺ: «وكل بدعة ضلالة»[1]، فالنزاع بينهما لفظي، أعني في إطلاق اسم البدعة على القسم الأول، وعدم إطلاقه.

قال سيدي الشيخ محمد مظهر قُدّس سرّه في المقامات السعيدية: وكان والدي رضي الله عنه يقول: البدعة الحسنة عند الإمام الربّاني قُدّس سرّه داخلة

= [2/ 959]؛ ورواه مسلم في صحيحه، باب نقض الأحكام، حديث رقم (1718) [3/ 1343]؛ ورواه غيرهما.

(1) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب العلم، حديث رقم (329) [1/ 174]؛ وابن ماجه في سننه، باب اتّباع سُنّة الخلفاء، حديث رقم (42) [1/ 15]؛ ورواه غيرهما.

في السنّة، ولا يطلق عليها اسم البدعة بموجب: «كل بدعة ضلالة»، والنزاع لفظي بينه وبين العلماء القائلين بوجود الحسن في البدعة، وأثبت هذا بأبلغ الوجوه في رسالة الرابطة. اهـ. وقال في هامشه: قوله لفظي، أي فكلّ بدعة لم تخالف السنّة، وهي البدعة الحسنة عند العلماء داخلة عند الإمام الربّاني في السنّة، وإنما كتب ذلك ردًّا للوهّابية القائلين بعدم الحسن في البدعة أصلاً متمسّكين بقول الإمام الربّاني قُدّس سرّه. اهـ.

قلت: وكون هذا النزاع لفظيًّا إنما هو بينه وبين العلماء المتقدّمين. وأما المتأخّرون الذين وسّعوا ذيل البدعة الحسنة وأدخلوا فيها كثيرًا من البدعة السيّئة خصوصًا في زمنه وفي بلاده قُدّس سره، كما ردّ عليهم أفعالهم المخصوصة التي ليس لها أصل في الصدر الأول، ولم يرد بحسنها نقل من العلماء المتقدّمين المتشرّعين، فالنزاع بينه وبينهم معنوي حقيقي فادر ذلك أيضًا وقد وقع في كثير من مكاتيبه منعه عن قراءة المولد بعلّة البدعة، ولكن هذا المنع من وصف قراءة المولد لا من أصلها، كما فصّل ذلك في المكتوب الثاني والسبعين من الجلد الثالث، فاعرف ذلك أيضًا، وإنما أطنبنا في ذلك لئلا يغترّ بظاهر كلامه الجاهلون. اهـ. كلام المعرب.

ومنها أظهروا لهذا الدرويش ذات يوم أحوال الجنّ، فرأيت أن الجنّ يطوفون في الأزقّة مثل بني آدم، ومع كل جنيٍّ ملك مُوكَل والجنيّ لا يقدر رفع رأسه والنظر إلى يمينه ويساره من خوف ذلك الملك المُوكَل، بحيث صاروا كالمحبوسين والمقيّدين، وليس فيهم مجال المخالفة أصلاً، إلّا أن يشاء ربّي شيئًا، وظهر في ذلك الوقت كأنّ في يد المُوكَل مطرقة من حديد إذا أحسّ قليلاً من مخالفة الجنيّ يكفي أمره بضربة واحدة منه. شعر:

إن الذي خلق السماء والثرى أبدى قويًا فوق كل الأقويا

ومنها أن الوليّ كلّ ما يجده من الكمال، وكلّ ما يصل إليه من الدّرجات إنما هو بطفيل متابعة نبيّه، فلولا متابعة نبيّ لمّا يحصل نفس الإيمان، فكيف يفتح الطريق إلى الدرجات العُلَى؟ فلو حصل لوليٍّ فضلٌ من الفضائل الجزئيّة أو درجةٌ من الدرجات العُلْيَا مما ليس بحاصل لنبيٍّ فَرْضًا، يكون للنبيّ أيضًا نصيبٌ كاملٌ من ذلك الفضل ومن تلك الدّرجة، فإنّ حصول ذلك الكمال للوليّ إنما

هو بواسطة متابعته للنبيّ ونتيجة من نتائج اتّباع سنّته؛ فلا جرم يكون للنبيّ حظٌّ وافر ونصيبٌ تامّ من ذلك الكمال، قال عليه الصّلاة والسلام: «من سَنَّ سُنَّةً حسنة فله أجرها وأجر مَنْ عَمِل بها»[1]، ولكن الوليّ سابقٌ في حصول هذا الكمال، ومُقَدَّم في الوصول إلى تلك الدرجة، وقد جَوَّزوا مثل هذا القسم من الفضل على النبيّ؛ لأنه فضلٌ جزئيٌّ لا يُعارِض الفضل الكُلّي الذي في النبيّ، وما قال صاحب الفصوص من أنّ خاتم الأنبياء يأخذ العلوم والمعارف، يعني المعارف المخصوصة عن خاتم الولاية، راجع إلى هذه المعرفة التي امْتاز بها هذا الفقير، وهي موافقة للشريعة من جميع الوجوه، وقد تكلّف شُرّاح الفصوص في تصحيحه، وقالوا: إن خاتم الولاية خازن خاتم النبوّة، لو أخذ الملك شيئًا من خزينته - يعني بواسطة الخازن - لا يلزم منه نقصٌ أصلاً، وحقيقة الأمر ما حقّقته ومنشأ التكلّف عدم الوصول إلى حقيقة المعاملة، والله سبحانه أعلم بحقائق الأمور كلّها، والصلاة والسلام على سيّد البشر وآله الأطهار.

يقول المعرب: مثال الفضل الجزئي الحاصل لغير النبيّ، كالفضل الحاصل للمجتهدين باستنباط الأحكام الشرعيّة من أدلّتها وتدوينها، وحصول فتوح البلدان ونشر الإيمان والإسلام فيها للخلفاء والسلاطين، فتلك الفضائل ثابتة لهؤلاء أولاً، ثم للنبيّ ﷺ ثانيًا. ومن هذا القبيل ما ذكره الإمام قُدّس سرُّه في المكتوب السادس من الجلد الثاني والرابع والتسعين وغيره من الجلد الثالث، وقد أجاب قُدّس سرّه في بعض مكتوباته بمثل ما نُقِلَ هنا من شُرّاح الفصوص، ولكلٍّ وجهة فتذكّر وتبصّر. اهـ.

ومنها ولاية الوليّ جزئية من أجزاء نبيّه عليه الصّلاة والسلام، والولي وإن حصلت له درجات عُلْيا تكون تلك الدّرجات جزئيّة من أجزاء درجات ذلك النبيّ، والجزء وإنْ حصلت له عظمة لكن لا بدّ له من أن يكون أقلّ من الكلّ،

---

(1) وتتمته: «في حياته وبعد مماته حتى يترك ومَن مات مرابِطًا في سبيل الله أجرى الله له أجْر المرابط في سبيل الله حتى يُبعَث يوم القيامة». رواه الطبراني في مسند الشاميين، (79 ما انتهى إلينا من مسند عمر بن رؤبة التغلبي)، حديث رقم (2560) [3/ 407]؛ والبيهقي في شعب الإيمان، الباب السادس والأربعون...، حديث رقم (7006) [5/ 374].

الكل أعظم من الجزء، قضيّة بديهيّة، والأحمق هو الذي يتخيّل عُظْم الجزء ويزعمه أعظم من الكلّ ولا يدري أنّ الكل عبارة عن ذلك الجزء وعن أجزاء أُخر.

ومنها أن صفات الواجب تعالى وتقدّس ثلاثة أقسام: القسم الأول: الصفات الإضافية؛ كالخالقية والرازقيّة، والقسم الثاني: الصفات الحقيقية، ولكن فيها شائبة الإضافة كالعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام. والقسم الثالث: حقيقية صرْفة كالحياة، فإنها لا مَزْج فيها من الإضافة، ونعني بالإضافة التعلّق بالعالم.

والقسم الثالث أعلى الأقسام الثلاثة وأجمعها، ومن أُمّهات الصّفات وصفة العلم مع وجود الجامعية فيها تابعة لصفة الحياة، وتنتهي دائرة الصفات والشؤونات إلى الحياة، وباب الوصول إلى المطلوب هو هذه الصفة، وحيث كانت صفة الحياة فوق صفة العلم؛ فلا جرم يكون الوصول إلى ذلك الموطن بعد طَيّ مراتب العلم، سواء كان علم الظاهر والباطن، وسواء كان علم الشريعة أو الطريقة، والذي دخل من ذلك الباب أقلّ قليل، وإنما يَرْمُقون بعيونهم من بعيد وهم قليلون، فلئن بيّنت رمزًا من أسرار ذلك المقام قطع البلعوم. شعر:

وَمِنْ بَعْدِ هذا ما يَدُقُّ بَيانُهُ   وما كَتْمُهُ أحْظَى لَدَيَّ وَأَجْمَلُ

والسّلام على من اتّبَع الهُدى والتزم متابعة المصطفى عليه وعلى آله الصلاة والسلام.

ومنها أن الحقّ سبحانه مُنَزّه عن المثل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: الآية 11]، ولكن جوّزوا له تعالى مثالاً ولم يُجَوّزوا له المثل، ولله المثل الأعلى. وأرباب السلوك وأصحاب الكشوف يتسلّون بالمثال ويطمئنون بالخيال يظهرون اللاّكيفيّ بمثال الكيفي، ويجلون الوجوب بصورة الإمكان، والسالك العاجز يظنّ المثال عين ذي المثال، ويزعم الصورة عين ذي الصورة، ومن هٰهنا يُرى صورة إحاطة الحقّ سبحانه وتعالى بالأشياء ويُشاهَد مثال تلك الإحاطة في العالم، فيتخيّل أن المشهود هو حقيقة إحاطة الحقّ سبحانه

وتعالى، وليس كذلك، بل إحاطته سبحانه وتعالى لا مثليّة ولا كيفيّة ومُنَزّهة من أن تكون مشهودة ومكشوفة لأحد، ونحن نُؤمِن أنّ الحقّ سبحانه مُحِيط بكل شيء، ولكن لا نعرف أنّ إحاطته ما هي والتي نعرفها هي شبه تلك الإحاطة ومثالها لا حقيقتها، وعلى هذا القياس قربه ومعيّته تعالى في أن المشهود والمكشوف منهما هو الشّبه والمثال لا حقيقته، فإن حقيقتهما مجهولة الكيفيّة نؤمن أنه تعالى قريب منّا وأنه معنا، ولكن لا نعرف أن حقيقة قُرْبه ومعيّته تعالى ما هي، ويمكن أن يكون المراد بما ورد في الحديث النبويّ من قوله عليه الصّلاة والسّلام: «يتجلّى ربُّنا ضاحكًا»[1] باعتبار الصورة المثالية، فإنّ حصول كمال الرّضا يُرَى في المثال بصورة الضحك، ويمكن أن يكون إطلاق اليد والوجه والقدم والإصبع أيضًا باعتبار الصورة المثالية، هكذا علّمني ربي. والله يختصّ برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم، وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وسلّم وبارك.

ومنها فإنْ فُهِمَ في عبارة الإمام قُدّس سرُه في بيان الأحوال والمواجيد والعلوم والمعارف تناقض وتدافع ينبغي أن يحمله على اختلاف الأوقات وتنوّع الأوضاع، فإنّ لكل وقت أحوالاً ومواجيد على حِدَة، وفي كل وضع علوم ومعارف مستقلّة، فلا يكون في الحقيقة تناقض وتدافع، ومثل هذا مثل الأحكام الناسخة والمنسوخة، حيث تُرى بعد النسخ والتبديل متناقضة، فإذا لوحظ اختلاف الأوقات والأوضاع يرتفع التناقض والتدافع، ولله سبحانه حِكَمٌ ومصالح في ذلك، فلا تكن من المُمْترين، وصلّى الله تعالى على سيّدنا محمد وآله وسلّم وبارك.

قال العبد الضعيف الجامع لهذه النّكات البديعة الرائقة محمد صديق البدخشي الكشمي المُلَقّب بالهداية: قد وقع الفراغ من تسويد هذه المعارف العالية الشريفة المسمّاة بالمبدأ والمعاد في أواخر شهر رمضان المبارك حين الاعتكاف في سنة 1019 ألف وتسعة عشر.

تمّت رسالة المبدأ والمعاد

---

(1) أورده ابن فورك في مشكل الحديث وبيانه، فصل آخر [1/ 465] وتتمته «يوم القيامة».



عطية الوهاب
الفاصلة بين الخطأ والصواب

للشيخ محمد مراد المنزلوي المكي

ضبطه وصححه وعلق عليه
الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي
الحسيني الشاذلي الدرقاوي



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين والعاقبة للمتّقين، والصّلاة والسلام على نبيّنا محمّد صلّى الله تعالى عليه وسلّم وعلى آله وأصحابه وأزواجه أجمعين، وأشهد أن لا إلـه إلّا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، ونؤمن بما جاء به النبيّ ﷺ.

أما بعد، فقد سألني بعض المُحبّين أن أكتب رسالة مشتملة على أجوبة اعتراضات المُعْترضين الذين اعترضوا على الشيخ الأجَلّ والإمام الأكمل والعارف الأمْجد الشيخ أحمد النقشبندي الفاروقي السرهندي رحمه الله تعالى بكلماته التي في مكتوباته لعدم فهمهم مقصوده بها وبمصطلحاته، وغيّروا وحَرّفوا بعض ألفاظه لأن يوقعوا الفساد والجدال والقتال بين الخلق وتابعيه به ويصدُّوا الناس عن الهداية والإرشاد الذي يحصل لهم بصحبة أولاده وأتباعه الذين هم مستقيمون على جادّة الشريعة، ومُوصلون إلى الحقيقة والمعرفة، وأهمّني وأكّد عليّ بذلك وكرّر عليّ السؤال له ليظهر الحقّ ويُبْطِل الباطل ويزول الفساد الذي بين المسلمين، والظنّ السُّوء الذي حصل للناس في حقّ الشيخ وأولاده وأتباعه خصوصًا لأهل الحرمين الشريفين زادهما الله تعالى شرفًا، بسبب الاستفتاء، والسؤال الذي ورد من الهند في أثناء ثلاث وتسعين وألف وإفتاء بعض طَلَبَة العلم في الحرمين الشريفين، فأجبت لدفع هذه المفسدة والإصلاح بين المسلمين وإظهار الحق بينهم، ونفي التُّهمة في حقّ العالم العامل المتّقي؛ ولقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المَائدة: الآية 2]، وبلغني أن الرسالة التي كتبها بعض علماء الحَرَمين الشريفين في إثبات الطَّعْن في الشيخ أحمد رحمه الله تعالى أرسلها مع الاستفتاء بعلامة بعض علماء الحرمين الشريفين بموجب ذلك السؤال والاستفتاء المحرف المعرب من الألفاظ الفارسية على خلاف مُراد الشيخ أحمد رحمه الله، ومقصوده لعدم اطّلاعهم على

حقيقة الأمر إلى الهند واسلامبول وما وراء النهر ليظهر الفساد والخصومة بين توابع الشيخ وغيرهم بسببه؛ لأن في كل هذه البلدان للشيخ أتباعًا ومريدين، وما أرسلها إلّا ليظنّ الناس الظنّ السوء في حقّ الشيخ، لأن فتوى علماء الحرمين الشريفين عندهم معتبرة، فإذا وصلت إليهم الرسالة مع الاستفتاء يظنّون ظنّ السوء في حقّهم البتّة؛ فلدفع هذا الشرّ والعمل بالحديث في السؤال: «**إذا ظهرت الفتن والبدع أو سبّ أصحابي فليظهر العالم علمه، فمَن لم يفعل فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**»[1] انتهى.

ومن أقبح الفتن والبدع ذمّ العالم المتّقي الذي هو صاحب الحال والقال والعارف الربّاني والحِبْر الصَّمَداني وجامع المعقول والمنقول كتبت هذه الرسالة بعون الله تعالى وتوفيقه. اللّهمّ أرِنا الحق حقًّا وارزقنا اتّباعه، وأرِنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه. اللّهمّ إنا نسألك العفو والعافية وحُسْن الخاتمة، وذكرت فيها ألفاظ المكتوبات للشيخ رحمه الله وعباراتها الفارسية بعينها ليظهر للمنصف الصادق دفع المحذورات التي نشأت من عدم فهم المعترضين مصطلحاته ومراده الذي أراد كلامه، ومن تركهم بعض ألفاظها من كلامه ومن تعريب ألفاظها الفارسية على خلاف مقصوده ومراده ودفع قول من يقول ما ذكرته ليس في المكتوبات. والعجب من الطاعن كيف يثبت الإيمان لفرعون، وقد ثبت كفره عند العلماء ويشنع على الشيخ أحمد رحمه الله، وهو من العلماء العاملين العارفين ويرتكب ما لا ينبغي في حقّه، فلنشرع الآن في المقصود بتوفيق الله تعالى وتأييده سبحانه.

الجواب الأول لقول المعترضين في صورة السؤال، وبعد: فما يقول العلماء الذين هم ورثة الأنبياء والفضلاء الذين هم دعاة الخلق إلى الطريق السواء في حقّ أحمد السرهندي الكابلي، الذي قال (أي في رسالة المبدأ والمعاد) بتفضيل حقيقة الكعبة على محمد ﷺ مستدلاً بأن صورة الكعبة مسجود

(1) لفظه كما في الفردوس بمأثور الخطاب للديلمي: «إذا ظهرت البِدَع في أُمتي فليُظهر العالم علمه فإن لم يفعل فعليه لعنة الله». حديث رقم (1271) [1/ 321]. وأورده السيوطي في مفتاح الجنة بلفظ: «إذا ظهرت البِدَع في أمتي وشتم أصحابي فليُظهِر العالِم علمه فإن لم يفعل فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» [1/ 66]؛ وأورده غيرهما.

إليها للصورة المحمدية، فكذلك حقيقة الكعبة مسجود إليها للحقيقة المحمدية ولما ألزمه أهل بلاده بلزوم تفضيل صورة الكعبة أيضًا على صورة محمد ﷺ بعين ذلك الدليل، بل أولى التزمه.

وقال: ينبغي أن يُعلم أن صورة الكعبة ليست عبارة عن الحجر والمَدَر؛ إذ لو فرض عدمها لكانت الكعبة كعبة ومسجودة للخلائق، قال في المكتوب المُوَفّى مائة من الجلد الثالث: الكعبة المسجود إليها للخلق ليست هي الحجر والطين ولا السقف والجدران؛ لأن تلك لو زالت كانت الكعبة مكانها، وإنما الكعبة لها ظهور ولا صورة لها، وهذا من أعجب العجائب، انتهى.

ثم قال في المبدأ والمعاد: بل صورة الكعبة مع كونها من عالم الخلق هي في لون الحقائق الأمرية وأُعجوبة يعجز العقلاء عن تشخيصها، إلى أن قال: نعم إن لم تكن كذلك لم تكن مستحقّة لأن تكون مسجودًا إليها لأفضل الموجودات، انتهى.

وقال: إن المراد بحقيقة الكعبة هي الحقيقة الأحمدية التي هي تعيّنه الإمكاني الأمري، وبالحقيقة المحمدية تعيّنه الإمكاني الخلقي لا تعيّنه الوجوبي، فبعد مُضِيّ ألف سنة تغلب الروحانية التي للأحمدية على البشرية التي كانت للمحمدية، فينصبغ عالم خلقه بصبغ عالم الأمر، فما رجع من خلقه إلى المحمدية يعرج حتى يلتحق بالأحمدية ويتّحدان، لا أنه يعرج عن الوجوب، فإن العُرُوج عن التعيُّن الأوّل الوجوبي لا معنى له، انتهى.

وقال في المكتوب التاسع والمائتين: ينبغي أن يُعْلَم أن حقيقة كل شيء عبارة عن التعيّن الوجوبي الذي تعين ذلك الشخص الإمكاني ظلّ ذلك التعين الوجوبي، وهو اسم من أسماء الله تعالى، كالعليم، ونقل كلام الشيخ ابن العربي؛ قال الشيخ في رسالة القدس: إنّ الأكوان ظِلال الأسماء الإلٰهيّة والأسماء ظلال الشؤون الذاتيّة لذلك الشيء، وهو اسم من الأسماء الإلٰهيّة كالعليم، وذلك الاسم ربّ ذلك الشخص ومبدأ الفُيُوض الوجوديّة له وتوابعها. . . إلى أن قال: فإذا تمهّد هذا، فنقول: إن محمدًا ﷺ مُرَكّب من عالم الخلق والأمر، والإسم الإلٰهيّ الذي هو ربّه شأن العليم، والذي يربي

عالم أمره هو المعنى الذي صار مبدأ لذلك الشأن وحقيقة الكعبة أيضًا ذلك المعنى، وإذا كانت حقائق الأشياء الأسماء الإلـهيّة، وحقيقة الكعبة فوق تلك الأسماء كانت متبوعة لحقائق الأشياء، لزم أن تكون مسجودة للحقيقة المحمدية، انتهى.

اعلم أن الشيخ رحمه الله ما قال إن حقيقة الكعبة أفضل من الحقيقة المحمدية، بل قال في مكتوبه: إن حقيقة الكعبة فوق الحقيقة المحمدية ﷺ، فتوهّم بعض الناس من هذا الكلام أن الكعبة المُعَظَّمة أفضل من النبيّ ﷺ، والحال أنه عليه الصّلاة والسّلام أفضل المخلوقات وأشرف البَرِيّات.

قلنا وبالله العصمة والتوفيق وبيده أزِمّة التحقيق: إن ذلك التوهّم إنما نشأ من حمل لفظ الحقيقة على ذات الشيء وتشخّصه، وهو مبنيّ على الجهل عن اصطلاح هذه الطائفة العَليّة وعدم الاطّلاع على حقيقة كلام شيخنا رضي الله عنه، فإن حقيقة الشيء عندهم اسم إلٰهيّ هو مبدأ لتعيّن ذلك الشيء ووجوده، وذلك الشيء كالظلّ والعكس لذلك الاسم، والاسم واسطة الفيوض بين الحضرة القُدْسيّة وبين ذلك الشيء، كما أن الشأن الذاتي واسطة بين ذلك الاسم المُقَدّس وبين الذات المُنَزّه العليّ على ما جرت عليه العادة الإلـهيّة من توسيط الوسائط ورعاية المناسبة بين المفيض والمستفيض.

قال الشيخ محيي الدين بن العربي قُدّس سرّه في رسالة القدس: إن الأكوان ظلال الأسماء الإلـهيّة، والأسماء ظلال الشؤون الذاتيّة. وعند الشيخ أحمد رحمه الله: لله تعالى باعتبار الظهور مراتب:

مرتبة اللّاتعيّن، وهو مرتبة الذات البحت، وعند الصوفية يُطْلق عليه هذه الأسماء الأحديّة الذاتية والأحدية المطلقة والأحدية الصِّرْفة وعالم اللّاهوت وأزل الأزل وخفاء الخفاء وبطون البطون وغيب الهوية.

والثاني: مرتبة التعيّن الوجودي والحبّي.

والثالث: مرتبة الحياة.

والرابع: مرتبة العلم الجملي، وهي مرتبة الوحدة والشأن التفصيلي، وهو الواحدية والأعيان الثابتة، وهي مرتبة الأسماء عند القوم وعالم الجبروت،

والحقيقة المحمدية عبارة عن اسم العليم عند الشيخ أحمد رحمه الله، وعندهم مرتبة الأسماء مرتبة الوحدة والعلم الجملي أيضًا، وهذه المراتب كلّها قديمة أزليّة تقديم بعضها على البعض بالذات لا بالزمان.

وللعالم مراتب: **الأول**: مرتبة الأرواح، وهو عالم الأمر والملكوت. **والثاني**: مرتبة عالم المثال. **والثالث**: مرتبة عالم الشهادة، وهو عالم الخلق والناسوت.

وعند الشيخ أحمد رحمه الله: محمد ﷺ مُرَكَّب من عالم الأمر والخلق، واسمه ﷺ أحمد باعتبار عالم أمره، ومُحَمّد باعتبار عالم خلقه، واسم الله تعالى الذي هو مربي عالم أمره وهو مُظْهِره يقال له الحقيقة الأحمدية، وهي المُعَبّرة بحقيقة الكعبة واسمه تعالى الذي هو مربى عالم خلقه ﷺ يقال له الحقيقة المحمدية، والمراد بالحقيقة المحمدية التي فوقها حقيقة الكعبة التعيّن الإمكاني النوري، وبحقيقة الكعبة التعين الوجوبي.

وصرّح بذلك في المكتوب التاسع والمائتين من الجلد الأول بقوله: ينبغي أن يُعلم أن حقيقة الشخص عبارة عن التعيّن الوجوبي الذي التعين الإمكاني ظلّ ذلك التعيّن الوجوبي وهو اسم من أسماء الله تعالى كالعليم والقدير، وأقول: إن حقيقة الشخص كما تكون التعين الوجوبي، كذلك تكون التعيّن الإمكاني الذي هو ظلّه، انتهى ملخصاً.

ولفظ الحقيقة لا يُطلق على الله تعالى، بل على اسم من أسماء الله تعالى الذي هو مبدأ تعيّن ذلك الشيء وحقيقته الوجوبية، فلا يرد عليه أن أسماء الله تعالى توقيفية. فإذا تمهّد هذا، فاعلم أن لنبيّنا ﷺ بحسب تقلّبه في أطواره وأنواره كمالات لا تُحْصَى ومقامات لا تُسْتَقْصى، فله عليه الصلاة والسلام باعتبار هذا الوجود العنصري، وإرشاده لهذا العالم الظلماني اسم مبارك هو محمد ﷺ ناشيء من حقيقته وهو اسم إلٰهيّ يناسب تربية هذا العالم السفليّ مسمّى بالحقيقة المحمدية، وله عليه الصّلاة والسلام باعتبار وجوده الروحاني المربّي لعالم الملكوت النوراني اسم آخر هو أحمد ناشيء عن اسم وشأن إلٰهيّ هو مبدأ وأصل للحقيقة المحمدية يناسب تربية ذلك العالم العلويّ مسمّى

بالحقيقة الأحمدية المعبّرة بحقيقة الكعبة الربّانية، أي المربّي للكعبة ومثبّتها وله عليه الصلاة والسّلام وراء هذين التعينين الذين هما كالأحياز الطبيعية له عليه الصّلاة والسلام عروجات لا تُعَدّ، وأسرار لا تنفد وإليها يشير قوله ﷺ: **«لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل»**[1]، وبها يومىء قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝﴾ [النجم: الآية 9] وهو مورد السرّ الاصطفائي والمحبوبية الصّرفة، وهي مناط الفضل ومدار التفوّق، فثبت أن التفوّق إنما هو لبعض كمالاته ومراتبه عليه الصّلاة والسلام على بعض، وأن حقيقة الكعبة الربّانية بعض من حقائقه العالية وجزء من حقيقته الجامعة الشاملة، فبطل توهّم التفوّق واضمحلّ حديث الأفضلية.

وهذا الذي ذكرناه نبذة مما حقّقه شيخنا وإمامنا في جواب مسائل سُئِل عنها في المكتوب التاسع والمائتين من مكتوبات الجلد الأول، وينبغي أن يُعْلم أن فضل الحقيقة على الحقيقة لا يوجب فضل الصورة على الصورة لجواز أن يحصل للصورة مع حقيقتها التي هي ربّها قرب واتّصال لم يتيسّر للصورة الأخرى، وهذا فيما نحن فيه أظهر من أن يُخفى؛ لأن كمال القرب إنما هو بالفناء والبقاء والعروج المخصوص بالبشر وغير الإنسان الكامل له مقام معلوم.

ثم اعلم أن لفظ الحقيقة المحمدية في عبارات شيخنا وإمامنا على معانٍ مختلفة وأنحاء شتّى، فمتى قُوبِلت بالحقيقة الأحمدية والكعبة الربانية يُراد بها ما ذكرناه سابقًا من أنه اسم إلهيّ مناسب لتربية العالم السفليّ، ومتى ذكرت مطلقة يُقْصد بها الحقيقة الجامعة للحقيقة المحمدية والأحمدية والكعبة الربّانية، وهي المُعَبّرة بحقيقة الحقائق وهي الحقيقة التي لا واسطة بينها وبين الذات المقدّس، كما ذكر شيخنا رحمه الله في آخر مكتوب من الجلد الثالث له قُبَيْل وصاله بأيام قليلة: إن الحقيقة المحمدية ظهور أول وحقيقة الحقائق، انتهى.

وفي المكتوب الأول من الجلد الثاني من المكتوبات المعصومية: حقيقة الكعبة ناشئة من مقام المعبودية والمسجودية التي هي ذات الله باعتبار

---

(1) أورده العجلوني في كشف الخفاء برقم (2159) [2/ 226]؛ والهروي في المصنوع [1/ 258].

شأن من شؤوناته واعتبار من الاعتبارات لا الذات المعراة عن النسب والاعتبارات.

حاصله أن النبيّ ﷺ مُرَكّب من عالم الأمر والخلق وله اسمين أحمد ومحمّد، فالأول يطلق عليه ﷺ بالاعتبار الأول، والثاني بالاعتبار الثاني والحقيقة الإجمالية باصطلاح القوم التعين الأول، والحقيقة التفصيلية وهي التعيّن الثاني باصطلاحهم ظلّ التعيّن الأول، وهي أي الحقيقة الإجمالية اسم من أسماء الله تعالى وظلّها عالم أمره عليه الصّلاة والسلام، وظلّ التعين الثاني عالم أمره مع خلقه عليه الصّلاة والسلام والتحية، وفي التعيّن الأول مراتب الشؤونات، وفيه شأن الأحمدية والكعبة، وعند الشيخ رحمه الله فيه شأن فوق شأن وعنده الصفات زائدة على الذات موجودة بوجود زائد وهو مذهب جمهور المتكلّمين.

وفي شرح العقائد لمولانا جلال الدين الدواني: ولكنهم يخالفون في كون الصفات عين ذاته أو غير ذاته أو لا هو ولا غيره، فذهب المعتزلة والفلاسفة إلى الأول، وجمهور المتكلّمين إلى الثاني، والأشعري إلى الثالث، انتهى. ومقامها وراء الصور العلمية التي هي في المراتب العلمية، وليس التعين العلمي الجملي تعيّنًا أول وهو صفة العلم التي هي من الصفات الحقيقة الزائدة ولا التعين الأول لذاته تعالى كما هو عند القوم لأن الصفات عنده غير الذات.

أشار إليه بقوله في المكتوب التاسع والمائتين من الجلد الأول: ولا شكّ أن حصول الشأن، وإن كان مجرّد اعتبار، ولكن يقتضي أن يكون فوقه معنى آخر زائد، انتهى.

فالحقيقة المحمدية هي العين الإمكاني. كما أشار إليه بقوله في ذلك في المكتوب: المراد من الحقيقة المحمدية ههنا تعيّنه الإمكاني الخلقي، انتهى. وفوقها حقيقة الكعبة لا شكّ فيها، وهو الشأن الوجوبي في التعيّن الأول ويتوجّه إليها في الصلاة. فصحّ قوله في المبدأ والمعاد: إن الحقيقة القرآنية والكعبة الربّانية فوق الحقيقة المحمدية على مُظْهرها الصلاة والسلام، انتهى. وليس في المبدأ والمعاد لفظ التفضيل ولا لفظ الأفضل، بل فيه لفظ التفوّق. والجهلة فهموا منه الأفضلية ولقد قال الإمام قُدّس سرّه وغيره أيضًا إن الصفات الإلـهيّة

بعضها فوق بعض، فالحياة فوق الكل ثم العلم ثم القدرة ثم الإرادة ثم التكوين، ولا يلزم من ذلك أفضلية بعضها على بعض لأن الأفضلية بمعنى كثرة الثواب، وهي لا تتصوّر هنا.

وفي شرح المواقف: أن الملائكة وإن كانوا فوق البشر، يعني في بعض الأمور، لكن الأفضلية بمعنى كثرة الثواب للبشر، انتهى. فإذا عرجت الحقيقة المحمدية في السير في الله تكون الشؤونات التي توجّه ﷺ إليها قبل العروج كالظلال هكذا إلى غير النهاية، فإذا سمعت عبارات المكتوبات وحاصلها، فاعلم أنه لا يَصْلُح اعتراض المعترضين على المكتوب المُوَفّى مائة من الجلد الثالث الكعبة المسجود إليها، الخ... وعبارته المعربة هكذا: الكعبة المسجود إليها للخلائق ليست هي عبارة عن الحجر والمَدَرْ والجدران والسُّقف، لأنها لو لم تكن بالفرض والتقدير لا تزال الكعبة كعبة ومسجودًا إليها، فهٰهنا ظهور وليس الصورة فيه، وهذا من أعجب العجائب، انتهى.

فلا يلزم القبح لقائله بقوله الشخص الذي كتبه في آخر دفتر السؤال في جوابه ما نصّه: والقول بأن الكعبة ليست هي البنية، وإنما هي شيء يعجز العقل عن تشخيصه، وأنها في صورة الأمر قبح سادس عشر لأنه رَدٌّ للآيات المتكاثرة والأحاديث المتواترة، انتهى.

كيف يلزم القبح لمن يقول: إن الكعبة ليست هذه البنية مع أن أكثر الفقهاء صرّحوا به وهو مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه؟ وفي شرح الطحاوي: الكعبة اسم للعرصة، فإن الحيطان لو وضعت في موضع آخر وصلّي إليها لا يجوز. وفي التهذيب: المعتبر التوجّه إلى مكان البيت دون البناء حتى لو صلّى فوق الكعبة جاز، وعند الشافعي: البناء معتبر، وفي فتاوى الأوحدي: الكعبة إذا رفعت عن مكانها لزيارة أصحاب الكرامة، ففي تلك الحالة جازت صلاة المتوجهين إلى أرضها، وفي الظهيرية: الكعبة هي العرصة، والهواء إلى عنان السماء عندنا. وفي فتاوى الحجّة: الصّلاة في أبي قبيس والجبال والتلال الشامخة جائزة، وعلى ظهر الكعبة جائزة لأن القبلة من الأرض السابعة إلى السماء السابعة بحذاء الكعبة إلى العرش، انتهى.

وهذه الروايات نُقِلَتْ من كنز العباد، وقال فقهاء الحنفية والمالكية: الكعبة والقبلة عندنا هي البقعة المحدودة إلى السماء دون البناء والبناء تَبَعٌ وعلامة لمعرفة القبلة حتى لو وُضِعَ هذا البناء في موضع آخر لا يجوز تعظيمه، يعني بالسجود إليها، وإلّا فتعظيم حصى الحرم أيضًا مطلوب فضلاً عن بناء الكعبة، ولو انهدم البناء، والعياذ بالله، الكعبة باقية بدليل أن الأنبياء والأولياء استقبلوا وطافوا لهذه البقعة مدّة ألفين ومائتين وأربعين سنة، ولم يكن هناك بناء، وعند الشافعية كذلك إلّا في حقّ من يصلّي في الكعبة أو على سطحها، فإنه فُرِضَ عليه أن يستقبل إلى البناء، وأقلّه قدر ثلثي ذراع حتى لو صلّى داخل الكعبة متوجّهًا إلى الباب المفتوح لا يجوز عندهم إلّا إذا كانت العتبة مرتفعة قدر شبر وزيادة، بدليل أن النبيّ ﷺ صلّى داخل البيت متوجّهًا إلى الباب وأمر بردّه، ولولا أن الكعبة بناء أو شاخص لما أمر بردّ الباب.

وقال بعضهم: قبْلة الداخل البناء، وقبلة الخارج أيضًا البناء، فإذا لم يكن البناء ولا الشاخص يصلّي إلى البقعة ضرورة، والقبلة اسم للبقعة والعرصة، قالوا: هو الصواب كما في البحر، انتهى.

فما يقول العلماء العظام في حق من يقبّح قائل ذلك القول المذكور، وهو قول الحنفية والمالكية ويلزم منه هذه القباحة الشنيعة في حقّهم أيضًا، بيّنوا تُؤْجَروا. ومما يدلّ على أن حقيقة الكعبة غير هذا البناء ما روى الطبراني في الأوسط عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«إن الكعبة لها لسان وشفتان ولقد اشتكت، فقالت: يا ربّ قَلّ عُوّادي، أو قلّ زُوّاري، فأوحى الله عزّ وجلّ: إني خالق بشرًا خُشّعًا سُجّدًا يَحِنُّون إليك كما تحِنُّ الحمامة إلى بيضها»**[1].

وما روى الفاكهي عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: خلق الله تعالى البيت قبل الأرض والسمٰوات بأربعين سنة وكان غثاء على الماء. وما

---

(1) رواه الطبراني في المعجم الأوسط، مَن اسمه محمد، حديث رقم (6606) [6/ 154]؛ وروى نحوه البيهقي في شعب الإيمان، الخامس والعشرين من شعب الإيمان...، حديث رقم (4001) [3/ 440] وهو من كلام كعب الأحبار؛ ورواه غيرهما.

روى الفاكهي أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: الكعبة خُلِقَت قبل الأرض بألفي عام، قيل: وكيف خُلِقت قبل الأرض وهي من الأرض؟ قال: إنها كان عليها ملكان يسبّحان الله تعالى بالّليل والنهار ألفي سنة، فلما أراد الله تعالى أن يخلق الأرض دحاها من تحت الكعبة في وسط الأرض، هكذا في الإعلام بتاريخ بلد الله الحرام، انتهى.

وما أخرج الجندي عن الزهري، قال: إذا كان يوم القيامة رفع الله الكعبة إلى بيت المقدس، فتمرّ بقبر النبيّ ﷺ فتقول: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، فيقول النبيّ ﷺ: **«يا كعبة الله ما حال أمّتي[1]؟ فتقول: يا محمّد أمّا مَنْ وَفِد إليّ فأنا القائمة بشأنه، وأمّا من لم يَفِدْ إليّ من أمّتك فأنت قائم بشأنه، كذا في الدرّ المنثور»**[1]. وعن جابر رضي الله عنه، قال: قال عليه الصّلاة والسلام: **«زُفّت الكعبة إلى قبري فتقول: السلام عليك يا محمد، فأقول: وعليك السلام يا بيت الله ما صنع بك أمّتي؟ فتقول: من أتاني فأنا أكفيه وأكون له شفيعًا، ومن لم يأتني فأنت تكفيه وتكون له شفيعاً»**[1].

وفي التشويق: قال وهب بن الورد: كنت أطوف أنا وسفيان الثوري بالبيت، فانقلب سفيان وبقيت في الطّواف، فدخلت الحجر فصلّيت تحت الميزاب، فبينما أنا ساجد إذ سمعت كلامًا بين أستار الكعبة والحجارة وهو يقول: يا جبريل أشكو إلى الله ثم إليك ما يصنع هؤلاء الطائفون من تفكّههم في الحديث ولغطهم وسهوهم، قال وهب: فعرفت أن البيت شكى إلى جبرائيل عليه السلام.

وقال عليّ بن مُوَفّق: دخلت في الحجر فسمعت البيت يقول: لَئِنْ لم ينته الطائفون حولي عن معاصي الله تعالى لأصرخنّ صرخة أرجع إلى المكان الذي جئت عنه، وفي الإحياء: لأنتفضنّ نفضة، وفيه أيضًا: إن الكعبة تُحشر كالعروس المزفوف وكل من حجّها متعلق بأستارها يسعون معها حتى تدخل الجنّة، فيدخلون معها.

---

(1) أورده السيوطي في الدرّ المنثور، تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ [البقرة: الآية 127] [1/ 329].

ومما يدلّ أن حقيقة الكعبة غير الجدران والسقف والحجر والمدر كلام الشيخ محيي الدين بن العربي في الفتوحات المكّية، حيث قال: وكانت بيني وبينها في زمان مجاورتي بها مراسلات وتوسّلات وقد ذكرت ما كان بيني وبينها من المخاطبات في جزء سمّيته تاج الرسائل ومنهاج الوسائل يحتوي فيما أظنّ على سبع رسائل لكل شوط من الأشواط السبعة رسالة مني إلى الصفة الإلٰهيّة التي تنجلي لي في ذلك الشوط، ولكن ما عملت تلك الرسالة ولا خاطبتها بها إلّا بسبب حادث، وذلك أني كنت عليها أفضل نشأتي، وأجعل مكانها في مجلى الحقائق دون مكانتي وأذكرها من حيث ما هي إلّا نشأة جمادية في أولى درجة من المولدات وأعرض عما خصّها الله به من أعلى الدّرجات، وذلك مني في حقّها لغلبة الحال عليّ، فلا شكّ أن الحقّ أراد أن ينبّهني عما أنا عليه من سكر الحال، فأقامني من مضجعي في ليلة باردة مقمرة فيها رشّ مطر، فتوضأت وخرجت إلى المطاف بانزعاج شديد، فقبّلت الحجر وشرعت في الطواف، فلما جئت إلى الميزاب رأيتها فيما خُيّل لي قد شمّرت أذيالها واستعدّت، فلما وصلت إلى الركن الشامي أرادت أن تدفعني بنفسها وترمي بي عن الطواف بها، وهي تتوعّدني بالكلام أسمعه بأذني، وأظهر الله لي فيها حرجًا شديدًا بحيث لم أقدر على البراح من موضعي ذلك، فتستّرت بالحجر ليقع الضّرب منها عليه، وجعلته كالمجنّ بيني وبينها، وأسمعها والله وهي تقول: كم تضع من قدري وترفع من قدر بني آدم وتفضّل العارفين عليّ، وعزّة من له العزّة لا أتركنّك تطوف بي، فرجعت إلى نفسي وعلمت أن الله تعالى يريد تأنيبي.

وقال: فوجدتها فيما خُيّل لي قد ارتفعت عن الأرض بقواعدها مشمّرة الأذيال كالإنسان إذا أراد أن يثب من مكانه يجمع عليه ثيابه وهي في صورة الجارية الحسناء لم أرَ أحسن منها ولا يتخيل لي أحسن منها، فشكرت الله على ذلك وزال الجزع الذي كنت أجده من الكعبة، فارتجلت أبياتًا في الحال في مدحها أخاطبها بها وأستنزلها عن ذلك الحرج الذي عاينته منها، فما زلت أثني عليها في تلك الأبيات والكعبة تتّسع وتنزل بقواعدها إلى مكانها وتُظْهِر السرور بما أُسمعها من مدحها إلى أن عادت إلى حالها كما كانت وأمّنتني، وأشارت إليّ بالطواف، فرميت بنفسي على المستجار وما فيّ مفصل إلّا وهو يضطرب

من قوّة الحال إلى أن سَرَتْ عني وصالحتها وأودعتها شهادة التوحيد عند تقبيل الحجر، فخرجت الشهادة في صورة ملك وانفتح في الحجر الأسود مثل الطاق حتى نظرت إلى طول الحجر فرأيته نحو ذراع، سألت عنه بعد ذلك من المجاورين فقال لي: رأيته كما ذكرت في طول ذراع الإنسان، ورأيت الشهادة مثل الكَيّة استقرّت في قعر الحجر وانطبق الحجر عليها وانسدّ ذلك الطاق وأنا أنظر إليه، فقالت لي: هذه أمانة عندي أرفعها لك إلى يوم القيامة، فشكرت الكعبة على ذلك.

ومن ذلك الوقت وقع الصلح بيني وبينها وخاطبتها بتلك الرسائل السبع فزادت فرحًا وابتهاجًا حتى جاءتني بشرى منها على لسان رجل صالح، قال: رأيت الكعبة البارحة في النوم وهي تقول: سبحان الله ما في الحرم من يطوف بي إلّا فلان، وسمّتك لي باسمك، وما أدري أين مضى الناس، ثم قمت ودخلت في المطاف وأنت طائف بها وحدك لم أر معك في الطواف أحدًا، قالت: انظر إليه هل ترى طائفًا آخر؟ قلت: لا، والله ولا أراه أنا، فشكرت الله على هذه البشرى من مثل ذلك الرجل، فتذكّرت قول رسول الله ﷺ: **«الرؤيا الصالحة يراها الرجل المسلم أو تُرَى له»**[1] انتهى.

فإذا عرفت أنه ﷺ مُرَكّب من عالم الأمر والخلق فلا يردّ الاعتراض أيضًا على قول الشيخ رحمه الله تعالى في المكتوب السادس والتسعين من الجلد الثالث لما فتر تعيّنه الجسدي، وهو عالم خلقه بالموت قوي تعيّنه الروحي لكن كان لتعيّنه الجسدي بقيّة وهي توجّهه إلى العالم السفلي، فلمّا مضى ألف سنة زالت تلك البقيّة وغلبت روحانيّته ﷺ على بشريّته وعرجت الحقيقة المحمدية إلى الحقيقة الأحمدية وألحقت بها إلى آخره كما سيجيء تفصيله في جواب المكتوب السادس والتسعين إن شاء الله تعالى، بأنه متعلق على قوله فلا يرد فيما سبق.

---

(1) جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود، حديث رقم (479) [1/ 348]؛ ورواه الحاكم في المستدرك، كتاب تعبير الرؤيا، حديث رقم (8179) [4/ 433]؛ ورواه غيرهما.

ثبت في الأحاديث أن جسد النبيّ ﷺ باقٍ لا يَفْنى، لأن مراده بالفناء والزوال للجسد فناء صفاته البشرية وزوالها من الأكل والشرب والنوم والتوجّه إلى العالم السفلي وغير ذلك، لا زوال الجسد بالكلّية، بل صفاته، وأنه صار كالروح. وفي المكتوب الرابع والتسعين من الجلد الثالث أشار بزواله إلى أن معناه زوال توجّهه ﷺ إلى عالم الشهادة وغرقه في بحر مشاهدة جمال ذات الله تعالى، وترقّي درجاته ﷺ بعبادات أُمّته ودعائها له ورجوع ثوابها إليه ﷺ بمقتضى: **«من سَنَّ سُنّة حسنة فله أجرها وأجر من عَمِل بها»**[1]. وفي عمدة المريد بجوهرة التوحيد للشيخ إبراهيم اللقاني قيل: إن الصلاة على النبيّ ﷺ لطلب نيل كمال في وسعة كرم الله تعالى مُعَلّق عليه؛ إذ لا غاية لفضل الله تعالى وإنعامه، فهو ﷺ دائم الترقّي في حضرات القرب وسوابق الفضل، ولا بدع أن يحصل له بصلاة أُمّته زيادات في ذلك لا غاية ولا انتهاء، وقد قال الإمام الغزالي: أما صلاة الله على نبيّه ﷺ وعلى المصلّين عليه فمعناه إفاضة أنواع الكرامات ولطائف النِّعَم عليه.

وأما صلاتنا وصلوات الملائكة عليه ﷺ في الآية فهو سؤال وابتهال في طلب تلك الكرامة ورغبة في إفاضتها عليه ﷺ؛ لأن اجتماع قلوب الجمع الجمّ له تأثير في الإجابة، كما في عرفة والجمعة والاستسقاء وغيرها، انتهى.

وفي كشف الأسرار لابن عباد رحمه الله: قيل لأبي عبد الله محمد النيسابوري أنه قال: أُمرنا بالصلاة والسلام على النبيّ ﷺ، فقيل: إنه ينتفع بدعائنا، قال النيسابوري: ألا ترى إلى قوله ﷺ: **«سلوا لي من الله تعالى الوسيلة»**[2] ليعلم أن الغنيّ بالحقيقة هو الله تعالى. وقال الحليمي: يجوز أن الله

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

(2) جزء من حديث رواه الترمذي في صحيحه، باب في فضل النبي ﷺ، حديث رقم (3614) [5/ 586]؛ وابن حبان في صحيحه، ذكر الخبر المدحض قول مَن زعم أن عبد الرحمٰن بن جبير...، حديث رقم (1692) [4/ 590]؛ ورواه غيرهما ونصه: عن عبد الله بن عمرو أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذّن فقولوا مثل ما يقول المؤذّن ثم صلّوا عليّ، مَن صلّى صلاة ﷺ بها عشرًا ثم سَلُوا لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو، ومَن سأل لي الوسيلة حلّت عليه الشفاعة».

تعالى جعل إعطاءه الوسيلة موقوفًا على دعائنا، وكذلك الشفاعة، انتهى بعبارته. فإذا أراد الله تعالى له ﷺ عزًّا وشرفًا ودرجة وأفاض عليه الفيوض والرحمة فترقّى رتبته يومًا فيومًا حتى مضى بعد رحلته ألف سنة وتمّ الدور الكامل لون عالم خلقه بلون عالم أمره ﷺ، واتّحد به في اللطافة وخصّ الله تعالى عروجه إلى عالم أمره ﷺ بعد ألف سنة لأنه دور كامل مشتمل على مراتب الأعداد، وهي أربعة الآحاد والعشرات والمئات والألوف، ولأنه يكون ظهور سلطنة كل اسم من أسماء الله تعالى إلى ألف سنة، وإذا مضى ألف ظهرت غلبة اسم آخر إلى الألف الآخر، كذا ذكره الحسين بن معين الدين الميبدي في الفواتح ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: الآية 47]، وقال تعالى أيضًا: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝﴾ [السّجدَة: الآية 5]، وليكن هذا أيضًا من ذلك الأمر الذي دبّره في ألف سنة، ولهذا بعث أكثر أولي العزم بالترتيب، وكانت الفاصلة من بعث بعضهم إلى بعث بعض آخر ألف سنة، وروى الواقدي في المنتخب: كان بين آدم ونوح عليهما السلام عشرة قرون والقرن مائة سنة، وبين نوح وإبراهيم عليهما السلام عشرة قرون، وبين إبراهيم وموسى عليهما السلام عشرة قرون. . . الخ.

وهذه الحقائق التي كشفت للشيخ رحمه الله تعالى لا مؤاخذة عليه بحسب الشرع غايتها أنه ما قالها أحد، وفيها اصطلاح جديد، ولا مناقشة في الاصطلاح وفي عين العلم: العلم علمان: علم المكاشفة وهو نورٌ يظهر في القلب فيشاهَد به الغيب وهو متحقّق، فورد: إذا دخل النور في القلب انشرح وعاين الغيب وانفسح، أي احتمل البلاء وحفظ السرّ ولم يصرّح به لفقد الرواية، وورد: أن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله، انتهى. ولفظ: لفقد الرواية يدلّ صريحًا على أن بعض الكشوفات لا تدلّ عليه الرواية، وذكر في آخر الباب الأول في العوارف: ولا مشاحة في الألفاظ، انتهى. فظهر بطلان قول المعترضين.

الجواب الثاني لقولهم: وقال في المكتوب الثامن والثمانين من الجلد الثالث من مكتوباته: لأن أمّة كل نبيّ إنما يصلون إلى الله بوسيلته ووساطته

ونبيّها حائل بينها وبين الله تعالى إلّا فرد من أفراد هذه الأمّة، يعني نفسه، فإن نصيبه من الله تعالى بالأصالة من الذات العَليّة، انتهى.

اعلم أني وجدت في المكتوب المذكور هذه العبارة مع ألفاظ زائدة لا يلزم المحذور منها، وهي: أنه يوجد فرد من أفراد هذه الأمّة له نصيب من حضرة ذات الله تعالى بالأصالة من الولاية بلا حيلولة النبيّ ﷺ مع وجود تبعيّته له ﷺ، واعلم أن السالك إذا فرغ من السير إلى الله وشرع في السير في الله بمتابعته للنبيّ ﷺ ووساطته، فإذا جذبه الله إلي بكمال فضله وكرمه ارتفعت الوسائط كلها بينه تعالى وبين هذا المحبوب السالك حتى سمعه وبصره ورجله وجميع القوى الظاهرة، وهي وسائط وآلات ظاهره، ومع هذا يرفع الله تعالى منه هذه القوى الظاهرة، فإذا وصل العارف إلى هذه المرتبة يأخذ العلم من الله تعالى بلا واسطة، وهو العلم اللّدني، كما كان للخضر عليه السلام ونصيب بعض العارفين بالله تعالى ﴿مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: الآية 65]، ويقال لهذه المرتبة في اصطلاحهم قرب النوافل دلّ عليه ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ عن الله تعالى: «**ولا يزال عبدي المؤمن يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبّه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها**»[1] الحديث، وقوله ﷺ: «**لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل**»[2]، فمن وصل إلى هذه المرتبة يجذبه الله إليه بفضله يأخذ المعارف والأسرار بلا واسطة من الله تعالى، فلا يلزمه شيء بقوله: أخذت العلم من الله بلا واسطة، فمن ينكر هذه المرتبة فهو ينكر الحديث الصحيح وما وقع في الفصوص في فص شيث عليه السلام مع شرحه لمولانا الجامي رحمه الله يدلّ على أخذ العارف الكامل العلم من الله تعالى بلا واسطة.

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب التواضع، حديث رقم (6137) [5/ 2384]؛ وابن حبان في صحيحه، ذكر الإخبار عمّا يجب على المرء من الثقة بالله...، حديث رقم (2/ 58)؛ ورواه غيرهما.

(2) هذا الحديث سبق تخريجه.

عبارة الفصوص مع شرحه: فالمرسلون من كونهم أولياء لا يرون ما ذكرناه من العلم الذي يعطي صاحبه السكوت إلّا من مشكاة خاتم الأولياء، فكيف من دونهم من الأولياء وإن كان خاتم الأولياء تابعًا في الحكم لما جاء به خاتم الرسل من التشريع، فذلك لا يقدح في مقامه ولا يناقض ما ذهبنا إليه من أن المرسلين لا يرون هذا العلم إلّا من مشكاة خاتم الأولياء، فإنه من وجه يكون أنزل مرتبة من الرسول الخاتم من حيث رسالته، كما أنه من وجه يكون أعلى، وقد ظهر في ظاهر شرعنا ما يؤيّد ما ذهبنا إليه من أن الفاضل يجوز أن يكون مفضولاً من وجه في فضل عمر في أسارى بدر بالحكم فيهم وفي تأبير النخل، فما يلزم الكامل أن يكون له التقدم في كل شيء، وساق الكلام إلى أن قال: إنه ـ أي خاتم الأولياء ـ تابع لشرع خاتم الرسل في الظاهر، كما هو أخذ عن الله في السرّ بلا واسطة، انتهى. وسيجيء تفصيله في آخر الجواب الحادي والعشرين.

قال مولانا الجامي قُدّس سرّه في خطبة شرح الفصوص: أما بعد، فاعلم أن الحِكَم الفائضة من الحقّ سبحانه على قلوب جميع عباده وخُلّص عبيده على أنواعٍ منها ما يفيض عليهم بواسطة الملائكة المقرّبين بألفاظ وعبارات محفوظة عن التغيير مُرادة تلاوتها، وهو القرآن المُنزَل على نبيّنا ﷺ بواسطة الروح الأمين، ومنها ما يفيض عليهم بواسطة أو بغير واسطة معاني صرفة أو معبّرة بعبارات غير متلوّة، ومن هذا القبيل الأحاديث القدسيّة، فهي إما ما فاضت عليه ﷺ معاني صرفة لكنه كساها أكسية عباراته الخالصة، أو بعبارات مخصوصة غير مُرادة ضبطها وتلاوتها، وهذا النوع ليس مخصوصًا بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، بل يعمّ الأولياء وصالحي المؤمنين. ومنها: ما يفيض من بعض الكُمّل على بعض، انتهى.

ونقصوا من كلام الشيخ أحمد رحمه الله لفظة بتبعيته بعد قوله: من الذات العليّة، فيصير الكلام معها هكذا، فإن نصيبه من الله تعالى بالأصالة من الذات العليّة بالتبعيّة، أي بتبعيّته للنبيّ ﷺ، انتهى. فحينئذ لا محذور فيه ولا قبح.

الجواب الثالث لقولهم: وقال: إن المطلوب من الدعوة هو المحبوب - يعني النبيّ عليه الصّلاة والسّلام - والباقون مطلوبون بتبعيته وبطفيليته إلّا فرد من أفراد أمّته، فإنه ليس بتبعيّته، بل بمحض كرم الله تعالى.

اعلم أنهم غيّروا قول الشيخ رحمه الله بالزيادة والنقصان، وهو في الأصل هكذا التبعية في فرد الأمّة باعتبار التشريع، فإنه ما لم يتبع شريعة النبيّ ﷺ لم يصل إلى المطلوب وتبعيّة الأنبياء لنبيّنا صلوات الله وسلامه عليه وعليهم باعتبار أن النبيّ المتبوع - يعني محمدًا ﷺ - وصوله إلى تلك الدرجة العُلْيا أولاً وبالذات ووصول الأنبياء سواه إليها ثانياً وبالعرض لأن المطلوب من الدّعوة والضيافة هو المحبوب ويطلب غيره بطفيليّته وتبعيته، لكن كلهم جالسون على سفرة واحدة على تفاوت الدرجات ومستوفون للتلذّذات والتنعّمات عليها وأممهم يحملون الزلّة التي تبقى بعد أكلهم على السفرة، ولا يجلسون مع الأنبياء على السفرة إلّا فرد من أفراد أمّتهم وهو مخصوص، وجليس مجلس الأكابر كما مرّ، ومع ذلك الأمّة أمّة والنبيّ نبيّ، وإن وصل ذلك الفرد العزّ والعلوّ فهو الدولة التي وصلها بتبعيّته للنبيّ ﷺ، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الصّافات: الآيتان 171، 172] الآية، انتهى بألفاظه.

وقوله: إلّا فرد من أفراد أمّتهم مستثنى من قوله: وأممهم يحملون الزلّة، لا من قوله: والباقون مطلوبون بتبعيّته وبطفيليّته كما فهمه المعترضون بسبب تحريفهم عبارة الشيخ رحمه الله، وغرضهم بهذا التحريف إثبات القبح على الشيخ رحمه الله بعدم تبعيّته للنبيّ ﷺ الذي فهموه من العبارة التي غيّروها مع أن الشيخ رحمه الله ينادي بأعلى صوته بقوله: فإن من لم يتبع شريعة النبيّ ﷺ لم يصل إلى المطلوب كرّات ومرّات في أكثر مكتوباته، وهم صمٌّ بكمٌ عميٌ لا يسمعون ولا يُبصرون مكتوباته بالإنصاف، مع أن الشيخ رحمه الله تعالى قيّد أكثر أقواله بتبعية النبيّ ﷺ وبالفرض والتقدير إن وجد قوله في بعض المواضع غير مقيّد بهذا القيد، فعلى المنصف الذكيّ أن يحمله على المقيّد، ولا يجوز تقبيح المسلم، فكيف من كان متّقيًا عالمًا صالحًا زاهدًا وَرِعًا؟

الجواب الرابع لقولهم: قال في المكتوب السابع والثمانين من الجلد الثالث: إن الله لم يجعل في حقي من أسباب التربية غير المعدّات، ولم يجعل العلّة الفاعلية في تربيتي غير فضله، ومن كمال كرمه وغيرته عليّ لم يجوّز في حق أن يكون لفعل الغير مدخل في تربيتي، أو أن أتوجّه فيه إلى غيره تعالى، إني مرباه تعالى ومجتبى كرمه الذي لا يتناهى، انتهى.

اعلم أن الشيخ قُدّس سرُّه أراد من الغير غير النبيّ ﷺ؛ لأنه صرّح بقوله: فإن لم يتبع شريعة النبيّ ﷺ لم يصل إلى المطلوب.

الجواب الخامس لقولهم: وقال في هذا المكتوب: إني مريد الله ومراده وسلسلة إرادتي متّصلة بالله من غير توسّط أحد، ويدي نائب يد الله، وأن سلسلة إرادتي وإن اتّصلت بمحمد رسول الله ﷺ بوسائط كثيرة في الطريقة النقشبندية والجشتية والقادرية إلّا أن إرادتي بالله متّصلة من غير واسطة محمد، فإني مريد لمحمد ورفيقه فإننا أخذنا عن شيخ واحد، انتهى.

اعلم أن لفظ المكتوب بدون التغيير الذي غيّروه بالنقص والزيادة فيه هكذا: إرادتي متّصلة إلى الله تعالى بلا واسطة، أي بلا واسطة غير النبيّ ﷺ، وإرادتي لمحمد ﷺ بوسائط كثيرة في الطريقة النقشبندية إحدى وعشرون، وفي الطريقة القادرية خمسة وعشرون، والجشتية سبعة وعشرون، وإرادتي بالله تعالى لا يرى فيها قبول الوسائط كما مرّ، فأنا أيضًا مريد محمد ﷺ، وأيضًا مرشدي ومرشده واحد ـ يعني الله تعالى ـ وأنا تابعه ﷺ، انتهى. فلا قبح فيه ومرّ جواب بلا واسطة في بيان قرب النوافل، وقولهم: «من غير واسطة محمد» افتراء عليه.

الجواب السادس لقولهم: وقال في هذا المكتوب أيضًا: إن طريقي سبحاني فإن طريقي التنزيه منه دخلت على الذات الأقدس لم ألتفت اسمه وصفته، ولكن قول سبحاني مني ليس كقول من أبي يزيد البسطامي، فإنه لا مساس لقوله بقولنا فإن قوله خرج من دائرة الأنفس، وقولنا وراء الآفاق والأنفس. وقوله كسى لباس التنزيه، وقولنا تنزيه لم يمسه غبار التشبيه، وقوله صدر عن السكر، وقولنا صدر عن عين الصحو، انتهى.

اعلم أن قول الشيخ أحمد رحمه الله تعالى: إن طريقي سبحاني أي منسوب إلى السبحان وهو تنزيه الله تعالى، والياء فيه للنسبة لا ياء المتكلم كما فهمه المعترضون. يا أيها العلماء رضي الله عنكم انظروا إلى هؤلاء المعترضين كيف يعترضون على الرجل العالم العامل المُتّقي وهم ما يُفَرّقون بين ياء المتكلم وياء النسبة؟ مع أنه رحمه الله صرّح بنسبة التقابل والتباين بين لفظ سبحاني الذي صدر عن أبي يزيد البسطامي رحمه الله، وبين لفظ سبحاني الذي في مكتوبه لأنه فيه ياء النسبة، وفي سبحاني أبي يزيد البسطامي ياء المتكلّم، وهذا من قبيل تجنيس التلفيق، وكيف يجوز لهم تقبيحه بهذا العقل والإدراك الذي لا يُفَرّق بين ياء المتكلم وياء النسبة، مع أن عبارته تدلّ على ياء النسبة صريحًا وهي هذه: سلسلتي السلسلة الرحمانية وأنا عبد الرحمٰن وربي أرحم الراحمين فطريقي الطريق السبحاني، وذهبت من سبيل التنزيه وما أردت من الاسم والصفة إلّا الذات الأقدس تعالى. هذا السبحاني ليس كسبحاني الذي قاله أبو يزيد البسطامي؛ لأنه لا مَساس له بهذا السبحاني، لأنه خرج من دائرة الأنفس، وهذا ما وراء الأنفس والآفاق، وسبحاني أبي يزيد تشبيه لَبِسَ لباس التنزيه، وهذا السبحاني تنزيه محض ما وصله غبار التشبيه وذلك السبحاني يفور من منبع السكر، وهذا السبحاني نبع من عين الصحو، انتهى.

الجواب السابع لقولهم: وقال في المكتوب المُوَفّي مائة من الجلد الثالث: وإن كان محمدًا ﷺ لم يكن أحد يشاركه في الدولة الخاصّة به، إلّا أنه بعد تخليقه وتكميله ﷺ بقيت من طينته بقية جعلت خميرة طينتي فجعلوني بتبعيته ووراثته شريك دولته الخاصة، انتهى.

اعلم أنه ما وقع جعلوني بياء المتكلم في مكتوبه وهي محرفة، بل في مكتوبه هذه العبارة: وإن لم يكن أحد شريكه في هذه الدولة الخاصة المحمدية، لكن هذا القدر يدرك أن من دولته الخاصّة به ﷺ بعد تخليقه وتكميله بقيت بقيّة؛ لأن من لوازم أهل الكرم أن تبقى بقيّة في سفرتهم بعد أكلهم، وهي نصيب الخدام وتلك البقيّة أُعطيت لأحد أصحاب الدولة من أُمّته ﷺ وجعلها خميرة طينته فجعل شريك دولته الخاصة عليه وعلى آله الصلوات والتسليمات، انتهى. ولا يلزم منه قبح على قائله، وقد فَهِمَ

المعترضون من هذه العبارة أنه ادّعى ختم النبوّة، كما صرّح به في آخر هذا السؤال في جوابه ونصّه. وقوله: إنه خلق من طينته وأنه شريك دولته الخاصة قبيح ثامن؛ لأن دولته الخاصّة ليست إلّا ختم النبوّة ضرورة أن الرسالة والنبوّة والمحبة والخلّة والولاية غير مختصّة به ﷺ، انتهى.

انظروا يا إخواني كيف فهموا من هذا القول مع أنه صرّح في مكتوباته في مواضع كثيرة بأنه ﷺ خاتم الرسالة والنبوّة ومراده بالدولة الخاصة مرتبة الفناء الأتمّ، وهو مختصّ بالنبيّ ﷺ عند الصوفية بل المراد به التجلّي الدائمي كما صرّح به في كثير من مكاتيبه، ويكون لبعض أمّته بتبعيّته ووراثته للنبيّ ﷺ أيضًا، فحينئذ يكون متخلّقًا بأخلاقه، وهو المراد بالطينة ويعطى له الوجود الوهبي، ويكون مع النبيّ ﷺ في الجنّة بموجب قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [النساء: الآية 69] الآية، وحديث: «المرء مع من أحب»، وهو الشركة في دولته الخاصّة، فمن يشنّع على من يريد بهذه المَعِيّة التي تُفْهَم من الكتاب والسنّة الشركة معه ﷺ، فما حكمه؟ بَيِّنُوا تُؤْجَرُوا. والمراد بالطينة الأخلاق الحميدة الأصلية الحقيقية للنبيّ ﷺ، وإلّا لكان قبره عند قبر النبيّ ﷺ كما كان قبر الشيخين رضي الله عنهما. أخرج الديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبيّ ﷺ: «خُلِقْت أنا وأبو بكر وعمر من طينة واحدة»، وأخرج البخاري في تاريخه وغيره: «أكرموا عمّتكم النخلة فإنها خُلِقت من طينة آدم»، انتهى.

ومن خلقة النخلة التي لا تساوي بني آدم في الفضل والكرامة من طينة آدم عليه السلام لا يلزم النقص في سيّدنا آدم عليه السلام، فكذا في النبيّ ﷺ، فكيف لا يتشرّف فرد من بني آدم بهذه الفضيلة، وهو أشرف من النخلة، ويحتمل أن الشيخ رحمه الله قال هذا باعتبار جدّه؛ لأن سيدنا عمر كان جسده بقيّة طينة النبيّ ﷺ، والشيخ من أولاده، وعلى تقدير التسليم على أن المراد بالطينة الطينة الحقيقية لا المجازية لا يلزم قبح بهذا القول الصادر من الشيخ رحمه الله أيضًا، لا سيما إذا قلنا: إنه لما كان للشيخ رحمه الله تعالى نسبتان جليلتان إحداهما نسبية، والأخرى حسبيّة؛ فالأوّل انتسابه إلى سيدنا عمر رضي الله عنه لأنه فاروقي، والثاني انتسابه إلى طريقة الصدّيق

رضي الله عنه، وهما رضي الله تعالى عنهما قد خُلِقا مع النبيّ ﷺ من طينة واحدة لِمَا جاء في الحديث، فيكون التخلّق الثابت لهما بلا واسطة ثابتًا له بالواسطة، ولذا صُبَّ له الفيض صَبًّا، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

وقوله: وإن لم يكن أحد يشركه فيها صريح بأنه لا يدّعي النبوّة ولا الشركة فيها، كما يفهم المعترضون.

الجواب الثامن لقولهم: وقال في المكتوب الثالث والسبعين ومائة من الجلد الأول: إن كل ما يصح أن يُرى ويُعلم نفي ذلك بكلمة «لا» ضروريّ، فالمطلوب المثبت ما وراء ذلك، ويلزم منه أن كل ما هو مشهود محمد ﷺ مستحقٌّ للنفي، فإنّ محمّدًا ﷺ مع علوّ شأنه كان بَشَرًا، والبشر متّسم بسِمَة الحدوث والإمكان وماذا يدرك البشر من خالق البشر، والممكن من الواجب والحادث من القديم جلّت عظمته، وكيف يحيط ولا يحيطون بشيء من علمه نصٌّ قاطع.

قال في الحديقة الندية: وكان الشيخ أبو إسحق الإسفرائيني يقول: جميع ما قاله المتكلّمون في التوحيد قد جمعه أهل الحقّ في كلمتين: **الأولى**: اعتقاد أن كل ما تصوّر في الأوهام فالله تعالى بخلافه، **والثانية**: اعتقاد أن ذاته سبحانه ليست كالذوات ولا معطّلة عن الصفات. اهـ.

فانظر إلى إنصافه مع جلالة قدره حيث سمّاهم أهل الحقّ واستحسن كلامهم غاية الاستحسان، وهؤلاء الأراذل يمزقون عرض كُمّل أُمّة محمد ﷺ بهذا الكلام الذي استحسنه مثل من سمّي في علم الكلام بالأستاذ الإسفرائيني على الإطلاق، ونقل مثل أوليهما عن باب مدينة العلم كرّم الله وجهه حيث قال: كلّ ما خطر في بالك أو تخيّلته بخيالك فالله وراء ذلك.

وفي هذا المكتوب الذي هو في بيان كلمة لا إله إلّا الله عبارته. سُئِل: إن كل ما يجيء في العلم والبصر نفيه بكلمة «لا» ضروري؛ لأن المطلوب المثبت ما وراء البصيرة والعلم، فيلزم منه أن مشهود محمد ﷺ أيضًا للنفي لائق، والمطلوب المثبت ما وراء ذلك متحقّق يا أخي أن محمّدًا ﷺ مع ذلك

الشأن العليّ بشر وبعلامة الحدوث والإمكان متّسم والبشر أي شيء يدرك من خالق البشر؟ وماذا يدرك الممكن من الواجب؟ وكيف يحيط بالقديم الحادث ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: الآية 110] نصٌّ قاطع في حق جميع الخلائق نبيًّا كان أو غيره، ولهذا قيل: سبحانك ما عرفناك حقّ معرفتك، ولهذه الكلمة معنيان:

أحدهما: في نفي معرفته تعالى بالكنْه، **والثاني**: معنى ذكر لا إلـٰه إلّا الله، والمعنى الأول أن كل ما يصح أن يُرى في بصيرة أحد من البشر أو يُسمع أو يُعلم من المكاشفات والمشاهدات نفي ذلك بكلمة «لا» ضروري، فالمطلوب المثبت وهو ذاته تعالى وراء تلك المعرفة التي جاءت في بصيرته أو علمه؛ لأن الله تعالى وراء الوراء الذي خطر في بال البشر، ولا يعرف أحد كنه ذاته تعالى إلّا هو لأن ذاته وكمالاته غير متناهية، والسير في الله تعالى لا نهاية له، ولهذا قيل: سبحانك ما عرفناك حقّ معرفتك.

والمعنى الثاني: أن كل ما يُرى في بصيرة السالك أو يُعلم من الحوادث الكونية نفي الوجود الأصلي والحقيقي عنه بكلمة لا إلـٰه ضروري، ويثبت هذا الوجود الأصلي الحقيقي لما وراء ذلك الكون، وهو الله تعالى بإلّا الله، وكذا وقع في فصل الخطاب لخواجه محمد پارسا رضي الله عنه بعد الكرّاسين من أوّله في بيان ذكر لا إلـٰه إلّا الله أنه مركب من النفي والإثبات، فالذاكر في طرف النفي ينفي وجود جميع المحدثات الأصلي، وفي طرف الإثبات يثبت وجود القديم جلّ وعلا، انتهى.

فإذا علمت هذا أيّها المحقّق الصادق، فافهم أنه لا يلزم قبح لقائل هذا القول، وكيف يلزمه وهو عين الإيمان، وَجَمْعٌ كثير من الأولياء قائلون بالمعنيين اللذين بَيَّنْتُهما. قال المعترضون: وقوله: إن مشهوده ﷺ واجب النفي بلا مع دعواه أنه وصل إلى كنه الذات البحت هو وولداه قبح سابع عشر، انتهى.

القول بوصوله إلى كنْه الذات تعالت افتراء عليه كما بيَّنته، وما قال الشيخ بهذه العبارة من أن مشهوده ﷺ واجب النفي بلا، ومقصوده رحمه الله تعالى

كما أنه لا يدركها أحد إلّا هو، وفي حق النبيّ أيضًا السير في الله غير متناهٍ وهو أيضًا دائمًا في الترقّي في المشاهدات والتجلّيات والعلوم ليست منحصرة في حقّه أيضًا؛ لأن معلومات الله غير متناهية، كذلك ذاته تعالى وصفاته.

قال الصوفية: كان النبيّ ﷺ يترقّى في كل يوم في معرفة الله تعالى وعلمه به من درجة إلى مائة درجة، ويستزيد فيها ولا ينحصر منها، ويستغفر من الحال الذي هي أدون بالنسبة إلى الحال الذي فوقه وينفيها لسعَة استعداده ﷺ هكذا إلى غير النهاية دليل قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: الآية 114]، ولحديث مسلم عن الأغرّ المزني قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنه ليُغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة»**[1] أي أنه ليغطى بأستار أنوار تجلّيات الله تعالى ومشاهداته على قلبي وإني لأستغفر الله تعالى من أنوار التجلّيات التي هي أدْوَن بالنسبة إلى الأنوار التي هي فوقها وأعلاها إلى غير النهاية. وفي الحديث: **«كل يوم لا أزداد علمًا يقرّبني من الله لا بورك لي في طلوع شمسه»**[2].

وقول المعترضين في بعض رسائلهم: ومن هذا النمط ما رأيته لحفيده من رسالة سمّاها بكشف الغطا، فإنه قال: رأيت النبيّ ﷺ وهو يقول: «كنت في هم أُمّتي يوم القيامة أني إذا شفعت لهم من يجوّزهم الصّراط ويوصلهم إلى الجنّة»، فلمّا رأيت هذا الرجل يشير إلى الشيخ أحمد السرهندي اطمأننت وذلك أني كلّما شفعت في طائفة من العُصاة أسلّمهم إليه فيوصلهم إلى الجنّة ويرجع، وأسلّم إليه طائفة أخرى فيوصلهم ويرجع، وهكذا إلى آخره، انتهى ما وجدته في رسالة كشف الغطاء، وهي موجودة هٰهنا في مكّة المُكَرّمة. هكذا افترى المعترضون على الشيخ رحمه الله تعالى، وأيضًا في هذه الرسالة للمعترض أن أولاد الشيخ أحمد يلقّنون لمريديهم بأنه نبيّ وشريك في نبوّته ﷺ، هذا افتراءٌ عليهم.

---

(1) رواه مسلم في صحيحه، باب استحباب الاستغفار...، حديث رقم (2702) [4/ 2075]؛ والحاكم في المستدرك، كتاب الدعاء...، حديث رقم (1882) [1/ 691]؛ ورواه غيرهما.

(2) أورده الحكيم الترمذي في نوادر الأصول في أخلاق المعرفة [4/ 6] بلفظ: «إن يومًا لا أزداد فيه علمًا يقرّبني إلى الله تعالى لا بُورِكَ لي في طلوع شمسه»؛ ورواه الطبراني في المعجم الأوسط، حديث رقم (6636) [6/ 367] بلفظ: «إذا أتى عليّ يوم لا أزداد فيه علمًا فلا بُورِكَ في طلوع شمس ذلك اليوم». وروى نحوه الديلمي في الفردوس برقم (1255) [1/ 318].

الجواب التاسع لقولهم: وقال في المكتوب التاسع والأربعين من الجلد الثالث: لا يخفى أنه لما حصلت لي النسبة الحضورية بذات الواجب جلّ سلطانه لَزِمَ أن يكشف كنْه ذاته جلّ سلطانه وأن يعلم بكنْه ذاته كما هو، وهذا وإن كان مخالفًا لما هو مقرّر عند العلماء لكنه علمٌ حضوريٌّ متعلق بذات الواجب تعالى، فهو كالرؤية بالنسبة إلى ذاته، فالانكشاف موجود والدَّرْك مفقود.

اعلم أن هذا القول ليس في المكتوب المذكور، وما صرَّح به في المكتوب المُوَفّى مائة من الجلد الثالث يدلّ على خلافه، وهو نعم صاحب الدولة الذي مبدأ تعيّنه الاسم الجامع على سبيل الاعتدال على تفاوت الدرجات، ولو على سبيل الإجمال له من جميع اعتبارات الذات تعالت وتقدّست نصيب ورؤيته بجميعها متعلقة، لكن لما كان ضيق جامعية الإجمال الذي هو نصيبه لازمًا له دائمًا، فالإحاطة والدَّرْك في حقّه أيضًا مفقودة وكريمة: ﴿لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [الأنعام: الآية 103] صادقة، وفيه أيضًا الذي هو معتقد هذا الفقير أن نصيب هذه النشأة الدنيوية إيقان؛ لأن رؤية البصر والمشاهدة التي هي عبارة عن رؤية القلب على تفاوت الدرجات نتيجة وثمرة مربوطة بالآخرة، وفي التعرّف: رؤية الله تعالى في هذه النشأة لا تكون بالبصر ولا بالقلب غير الإيقان، انتهى.

قلت: ما ذكره المعترض مذكور في المكتوب الثامن والأربعين من الجلد المذكور، لكن في قوله تحريف بالزيادة والنقصان، وعبارته الصحيحة أنه قال لما بيّن أن العلم المتعلّق بذات الواجب حضوري لا حصولي لا يخفى أنه إذا ثبت العلم الحضوري بالنسبة إلى ذات الواجب كما مرّ لزم أن يكون كنْه الذات منكشفًا ومعلومًا كما هو، وهو خلاف ما تقرّر عند العلماء. وأقول: هذا العلم الحضوري المتعلّق بالذات من قبيل الرؤية التي يثبتونها بالنسبة إليه تعالى، وهناك الانكشاف موجود والدَّرْك مفقود، وكذا هنا الانكشاف موجود والدَّرْك مفقود... الخ، وليس فيه ذكر نفسه لا بحصول الحضور ولا بغيره، فانظروا كيف بدّلوا وحرّفوا مثل اليهود عليهم ما يستحقّونه اهـ.

وبالفرض والتسليم المتكلّمون قائلون بمعرفة كنْه ذاته تعالى كما ذكر في شرح الطوالع لعبد الله أبي القاسم البيضاوي في معرفة ذات الله تعالى: فذهب الحكماء والغزالي منّا إلى أن الطاقة البشرية لا تفي بمعرفة ذات الله تعالى؛ لأن معرفة ذاته تعالى إمّا بالبداهة أو بالنظر؛ وكل منهما باطل. **أما الأول**، فلأن ذاته تعالى غير متصوّر بالبداهة بالاتّفاق. **وأما الثاني**، فلأن المعرفة المستفادة إما بالحدّ أو بالرسم، وكل منهما باطل. أمّا الحد، فلأنه تعالى بسيط. وأما الرسم، فلأنه لا يفيد الكنْه. وخالف المتكلّمون الحكماء ومنعوا الحصر، فإنا لا نسلم أن طريقة المعرفة منحصرة في البديهة والنظر، فإنه يجوز أن يُعرف بالإلهام وتصفية النفس وتزكيتها عن الصّفات الذميمة وألزمهم المتكلّمون بأنّ حقيقته تعالى هو الوجود المجرّد، وهو معلوم عندهم بالبديهة. والحق أن هذا الإلزام ليس بصواب، فإن حقيقته تعالى عندهم هو الوجود الخاص، والوجود المعلوم هو الوجود المطلق العارض للوجود الخاص، ولا يلزم من العلم بالعارض العلم بالمعروض، انتهى. فإن كانوا قائلين بمعرفة كنْه ذاته تعالى، فلا محذور فيه.

الجواب العاشر لقولهم: قال في الهداية التاسعة عشر من كنز الهدايات مخاطبًا لولديه: لم يزل داعي الوصال ينادي في سرّي: أجب السلطان فإنه يدعوك فطار طير همّتي إلى باب القدس، فوصلت إلى سرادق عال، فقيل لي: السلطان ليس في البيت، فعلمت أن ذلك مقام حقيقة الكعبة الربّانية فأسرعت إلى ما وراء ذلك وعرجت إلى مقامات الصفات الحقيقية الموجودة بوجود زائد، وهي وراء الصور العلمية للصفات في مرتبة التعيّن الحبّي، فعرجت عنه إلى أصول الصفات، وهي الشؤون الذاتية والاعتبارات المحضة في ذاته تعالى، ثم إلى الذات البحت المجرّدة عن النسب والاعتبارات، وأنتما أيها الأخوان ـ يعني ولديه ـ كنتما معي في كل مقام من تلك المقامات، انتهى.

اعلم أن كنز الهدايات ليس من مصنّفات الشيخ رحمه الله تعالى وعلى تقدير التسليم لا يلزم من هذا القول على قائله شيء؛ إذ يظهر للسالك في السير إلى الله، وفي الله المشاهدات والمكاشفات وهي وراء طَوْر العقل، فيعجز الناس عن فهمها وهو يذكر لمريديه ومحبّيه بموجب: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾

[الضحى: الآية 11]، أو بغلبة السكر، وكثير من الأولياء ذكروها من هذا القسم فلا محذور فيه.

الجواب الحادي عشر لقولهم: وقال في المكتوب الخامس والتسعين من الجلد الثالث: ولايتي وإن كانت مرباة الولاية المحمّدية والموسوية ومتطفّلة على ولايتهما لكنها جامعة لهما ومركّبة من نسبتي المحبية والمحبوبية، فإن محمدًا ﷺ رئيس المحبوبين وموسى رئيس المحبّين، لكن في ولايتي أمر آخر ومعاملة على حدة بذلك الأمر مربوطة، بحيث إن أصلها من الولاية الناشئة بالأصالة عن المحبوبية الصرفة وانضمّت إليها ولاية موسى الناشئة عن المحبية الصرفة وانصبغت بلونها أيضًا، وصارت وجودًا آخر وحقيقة أخرى، وأثمرت ثمرة أخرى وأنتجت نتيجة أخرى، انتهى.

اعلم أنه لا يلزم منه أن ولايته أجمع من دائرة ولاية محمد وموسى عليهما الصّلاة والسلام، وليس في قوله لفظ أجمع اسم التفضيل، بل فيه أن ولايتي وإن كانت مرباة الولاية المحمدية ﷺ، وولاية موسى عليه السلام وبطفيلهما ولايتي مركبة من نسبتي المحبوبية والمحبّية ورئيس المحبوبين سيّدنا ومولانا محمد ﷺ، ورئيس المحبّين سيّدنا موسى عليه السلام، ولكن المعاملة مع ولايتي بوسيلة متابعة خاتم الرسل عليه الصلاة والسلام أمر آخر ومعاملة على حدة بها مربوطة، وإن كان أصل هذه الولاية ولاية نبيّ ﷺ، وهي الولاية المحمّدية التي منشأها بالأصالة النسبة المحبوبية الصِّرْفة، ولكن لما انضمّ إليها نشأة الولاية الموسوية التي نشأت بالأصالة عن المحبّية الصرفة وانصبغت بلَوْنها أيضًا صارت وجودًا آخر، بل حقيقة أخرى، وأثمرت ثمرة أخرى، انتهى. يعني لولايته مناسبة بهما ومزج بوجهٍ بهما ونشأت منهما وهما أصلها وهي فرعهما، ولا محذور فيه.

الجواب الثاني عشر لقولهم: وقال في المكتوب الثالث والتسعين من الجلد الثالث بعد ما ذكر نحوًا من ذلك: وهذا المركز أيضًا يُتَصَوَّر بصورة دائرة مركزها المحبوبية الممتزجة مع المحبّية، وهي نصيب فرد من أفراد أُمّته ـ يعني نفسه ـ انتهى.

اعلم أن الذي فيه هذه العبارة ومحيطها المحبوبية الممتزجة مع المحبّية وهي نصيب فرد من أفراد أُمّته بتبعيّته له ﷺ، بل بتبعيّته أيضًا للولاية الموسويّة على نبيّنا وعليه الصّلاة والسلام، فلا قبح فيه. وترك المعترضون لفظ بتبعيّته له ﷺ.

الجواب الثالث عشر لقولهم: ثم قال: وليعلم أن محيط هذه الدائرة له تقدم كثير على الدائرتين وهي أقرب إلى الله بكثير، انتهى.

اعلم أن هذه العبارة ليست في هذا المكتوب، وبالفرض والتسليم لا محذور فيه أيضًا، لأن الدائرة الأولى دائرة العلم والثانية له دائرة الخلة والثالثة دائرة المحبوبية وهي أقرب إلى الله تعالى.

الجواب الرابع عشر لقولهم: وقال في المكتوب التاسع عشر من الجلد الثالث: كانت الأنبياء والمرسلون يفرّون من البلاء وإنّا في عين البلاء في عافية، انتهى.

اعلم أن في المكتوب المذكور هكذا: واجتنبوا عن البلاء ما استطعتم، فإن الفرار مما لا يطاق من سُنن المرسلين عليهم الصلوات والتسليمات، ونحن في عين البلاء مع عافية، فللّه سبحانه الحمد، انتهى بألفاظه. يعني به أن البلاء الذي لا يُطاق الفرار منه سنة. وأما الصبر في البلاء المطاق، فالصابر فيه يُثاب، وأيضًا الصابر في البلاء الذي لا يقدر أن يفرّ منه يُثاب ومن كان في مقام الرّضاء فالبلاء عنده راحة ونِعْمة، قال الله تعالى: ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾ [الأنفال: الآية 17]، ومثل هذه الاعتراضات لا يوردها من له أدنى دراية وديانة، وقِسْ على هذا غيره من الاعتراضات في رد الشيخ رحمه الله بتغيير عباراته.

الجواب الخامس عشر لقولهم: وقال: لا كرامة أجلّ مما بيّنته من الحقائق والمعارف التي تعجز الناس عن بيانها، وهل كانت معجزة الرسول ﷺ إلّا كلامًا معجزًا، انتهى.

اعلم أن هذه العبارة ليست في المكتوب التاسع عشر، وبالفرض والتسليم إن هذا الكلام من الشيخ رحمه الله لا محذور فيه، لأنه ما شبّه

كلامه بالقرآن، بل الحقائق والمعارف في حقّ عدم درك كنهها وشبّهها به ببعض الوجوه والخارق للعادات من الأولياء هو معجزة النبيّ ﷺ، فلا يجوز تشنيعه بهذا القول كما شنّع عليه المعترضون بقولهم في آخر السؤال وهو قوله: هل معجزة محمّد ﷺ إلّا كلام معجز وتشبيه كلامه بالقرآن في الإعجاز قبح رابع عشر.

الجواب السادس والسابع عشر لقولهم: وقال في المكتوب الثاني من الجلد الأول: الصفات السبعة إما ممكنة أو واجبة لا سبيل إلى الأوّل لاستلزام حدوثها وعدم اتّصاف الحقّ بها أزلاً ولا إلى الثاني؛ لأن الواجب الوجود لذاته واحد، ولقولهم: ثم قال: وحلّ هذا الإشكال على ما أظهروه لهذا الفقير، وهو أن الله تعالى موجود بذاته لا بالوجود، لا على أن الوجود عينه، ولا على أنه زائد وصفات الواجب تعالى موجودة بذاته لا مجال للوجود في ذلك الموطن. قال الشيخ علاء الدولة: فوق عالم الوجود عالم المُلْك الودود فلا يُتصوّر نسبة الإمكان والوجوب أيضًا في ذلك الموطن؛ لأن الإمكان والوجوب نسبة بين الماهيّة والوجود، فحيث لا وجود لا إمكان ولا وجوب، وهذه المعرفة وراء طور النظر والفكر، انتهى.

اعلم أنّ هذا القول ليس في هذا المكتوب.

قلت: هذا الكلام في المكتوب الثاني من الجلد الثاني، وقد ذكر في كثير من مكاتيبه أنه تعالى موجود بذاته ولا محذور في كلامه كما بيّنه صاحب الرسالة هذه، وفي المكتوب الثاني والعشرين ومائة من الجلد الثالث ما نصّه: وهو حضرة الحقّ سبحانه موجود بذاته لا بوجود، لأن للوجود بل للوجوب لا مدخل في تلك المرتبة، لأن الوجود والوجوب كلاهما من الاعتبارات، وأول الاعتبارات الذي ظهر لإيجاد العالم هو الحب، والثاني اعتبار الوجود وهو مقدمة الإيجاد؛ لأن حضرة الذات تعالَتْ بلا اعتبار هذا الحب، وبلا اعتبار هذا الوجود له استغناء عن العالم وإيجاده والتعيّن العلمي الجملي ظلّ ذينك التعينين باعتبار أنهما للذات بلا ملاحظة الصفات، وفي هذا التعين العلمي الجملي ملاحظة الصفة وهي كالظل للذات جلّ شأنه، انتهى.

ولذاته تعالى تقدّم ذاتي على صفاته، والوجود العام صفة من صفاته تعالى وموطن الذات مُقَدَّم على موطن الصفات تقدّمًا ذاتيًا، فيصح قول من يقول: الوجود ليس في موطن الذات ولا يُحمل عليها في ذلك الموطن؛ لأن في ذلك الموطن لا يعتبر شيء، لأن مرتبة اللاتعيّن والذات البحت والذات المقتضي - بكسر الضاد - مُقَدَّم على الوجود العام المقتضى - بفتح الضاد - والوجود الذي ينفي عن الذات جلّ شأنه هو من المنتزعات العقلية والمعقولات الثانية، فلا محذور فيه مثلاً ذات الجسم مقدّم على وجود البياض ومقابله، فيصحّ أن يقال: الجسم باعتبار تلك المرتبة السابقة على البياض لا أبيض ولا لا أبيض، فإن قلت: الجسم في الخارج أبيض فكيف يكون في الخارج لا أبيض ولا لا أبيض؟ قلت: هو في الخارج أبيض بعد تحقّق البياض فيه، ولكنه في المرتبة السابقة على البياض لا أبيض ولا لا أبيض، وليس ذلك من ارتفاع النقيضين المستحيل؛ لأن المستحيل ارتفاعهما بحسب نفس الأمر مطلقًا لا بحسب مرتبة من المراتب، فإن الأمور التي ليست بينهما علاقة التقدم والتأخّر، والمعيّة ليس لبعضها في مرتبة الآخر وجود ولا عدم هكذا في الحاشية القديمة.

الجواب الثامن عشر لقولهم: وقال في بعض مكاتيبه في المكتوب 216 من الجلد الأول: إن عبد القادر قُدِّس سرُّه نزوله كان إلى مرتبة الروح فقط، وأنه ينقص في الإرشاد إذ كلما كان النزول أتمّ كان الإرشاد أكمل، انتهى.

اعلم أن هذا كذب وفرية بلا مِرْيَة في أي مكتوب قاله، وبالفرض والتقدير لا يلزم قبح لقائل هذا القول.

الجواب التاسع عشر لقولهم: وقال في المكتوب الرابع والتسعين من الجلد الثالث: وما يقال من أن الأنبياء لا يحتاجون إلى الاستمداد، وأن الكمالات حاصلة لهم بالفعل صريح المكابرة.

اعلم أن هذه العبارة ليست فيه وإن كانت بالفرض والتقدير، فمراده أن الأنبياء والرسل صلوات الله تعالى وسلامه عليهم كلّهم محتاجون إلى رحمة الله وفضله؛ لأن في الحديث الصحيح أن لله مائة رحمة أما واحدة منها فبثها في الدنيا وادّخر تسعة وتسعين للآخرة، وفيه أيضًا: «**سَلُوا لي الوسيلة**»[1].

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

الجواب المُوفي عشرين لقولهم: وقال في المكتوب الثامن والثمانين من الجلد الثالث: وجود العالم ونظامه كلاهما مربوطان بالخلّة، وهي أبرك الأشياء، وبركاتها شاملة للموجود والمعدوم، وهي بالأصالة مخصوصة بإبراهيم عليه السلام، وولايتها ولاية إبراهيمية، وأن الوصول إلى حضرة الذات تعالت وتقدّست بدون توسّط التعين الأوّل الوجودي، وبدون التوسّل بجميع كمالات الولاية الإبراهيمية غير ميسّر لأن أول قُباب المرتبة الحضرة القدسية هي لأنها مرآة غيب، وليس لأحد بدّ من توسّطه، ولهذا أمر خاتم الأنبياء بمتابعته يصل بمتابعته إلى ولاية نفسه، ومنها يتبختر إلى حضرة الذات، انتهى.

اعلم أنهم تركوا منه بعض عبارته وبيانه ودفع إشكاله سيجيء في الجواب الآتي، إن شاء الله تعالى.

الجواب الحادي والعشرون لقولهم: وقال في المكتوب الرابع والتسعين من الجلد الثالث: إن التعيّن الأول وهو التعيّن الوجودي منشأ الولاية الإبراهيمية، وفوق ذلك مرتبة الذات الأقدس التي لا يسعها شيء من التعيّنات، لكن سرّها ودعت في مركز دائرة التعيّن الأول، وهو منشأ الولاية المحمدية وجمال محيط الدائرة يشبه الصباحة، وجمال المركز يشبه الملاحة وهي فوق الصباحة، فالوصول إلى الملاحة إنما يُتَصوّر بعد طيّ مراتب الصباحة، وما لم يتيسّر الوصول إلى جميع المقامات الإبراهيمية لا يمكن الوصول إلى الذروة العُلْيا التي هي الولاية المحمدية ولا يتيسّر ومن هنا أمر النبيّ ﷺ بمتابعة ملّة إبراهيم ليصل إلى ولايته التي عبر عنها بالملاحة بتوسّل الوصول إلى الولاية الإبراهيمية، ولما لم يكن للنبيّ ﷺ مناسبة بالولاية الإبراهيمية لكون مكانه الطبيعي نقطة مركز دائرة الولاية الخليلية وسيره مقصور على رأس مركز تلك الدائرة، فبالضرورة وصوله إلى محيط الدائرة واكتساب كمالات تلك المحيط تعسر عليه؛ لأنه خلاف مقتضى طبعه؛ فلا بدّ من متوسّط من أفراد أُمّته يكون له بتبعيّته مناسبة في عين المركز، وله من طريق آخر مناسبة بمحيط الدائرة ليكتسب ذلك الفرد كمالات تلك المرتبة الحقيقية ويتحقّق بحقيقتها، ثم بتوسّطه يحصل للنبيّ ﷺ تلك الكمالات ويتحقّق بها فيتحقّق بعد ذلك بكمالات نفسه ﷺ بمقتضى «مَن سَنّ سُنّة فله أجرها وأجر

مَن عَمِل بها»[1] فجاء هذا الفرد وناسب محيط الدائرة وحصّل الكمالات الإبراهيمية، وإنما حصلت هذه المرتبة الثانية من الولاية الموسوية، فحصل هذا الفرد الولاية العظمى الجامعة لكمالات المركز والمحيط فحصل للنبيّ ﷺ بتوسّط هذا الفرد كمالات محيط الدائرة وتيسّرت له ولاية الخلّة وحصلت له ولاية المحبوبية وهي ولايته ﷺ قبل دعائه ﷺ بقوله: «اللّهمّ صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صلّيت على إبراهيم» بعد ألف سنة، انتهى

اعلم أنّا نذكر ألفاظه المغلقة ليندفع إشكال المحترفين عليه لعدم فهمهم، ويظهر تحريفهم العبارة من هذا المكتوب: إذا كانت الملاحة فوق الصباحة، فالوصول إلى الملاحة بعد طيّ مراتب الصباحة، ولا يتيسّر الوصول إلى حقيقة هذه الولاية التي هي الذروة العُليا، والولاية المحمدّية على صاحبها الصلاة والسلام والتحيّة حتى يصل إلى جميع مقامات الولاية الإبراهيمية، أي جميع المقامات التي يتوقّف عليها حصول الولاية المحمدية، ومراده بالملاحة الولاية المحمّدية، وبالصباحة الولاية الإبراهيمية على صاحبها الصلاة والسلام والتحية، وبحقيقة هذه الولاية كنهها مع كنه جميع فروعها، والولاية المحمدية هي أصل جميع الولايات ومرجعها ومركزها وفوقها، وكل الولايات لجميع الأنبياء والرُّسل مندرجة فيها ونشأت منها وولاياتهم عليهم الصلاة والسلام أجزاء ولايته ﷺ، ولكل جزء منها مقامات ومراتب وكانت حاصلة لنبيّنا ﷺ بعضها تفصيلاً وبعضها إجمالاً، وكانت جميع مقامات الإبراهيمية حاصلة له ﷺ تفصيلاً إلّا بعض شؤوناتها، وهو كان حاصلاً له ﷺ مجملاً، ونسبة ذلك البعض إلى الولاية المحمدية كنسبة الورقة إلى الشجرة، والشعرة إلى الإنسان، والقطرة إلى البحر، بل أقلّ قليل، فإذا لم تكن تلك الورقة والشعرة والقطرة في الشجر والإنسان والبحر مع أنها أجزاء منها لا تكون ناقصة لا في العقل ولا في النقل، فإن حصلت تلك الورقة والشعرة والقطرة لها بواسطة شيء لا يتصوّر أنه كملها وكانت ناقصة، وكذا لا يقال غير المؤمن لمن لا يرفع الحجر والمدر عن الطريق، مع أن في الحديث الصحيح: «الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة أعلاها قول

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

لا إلـه إلّا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»[1]، والحاصل أن لكل شيء أجزاء مقوّمة وأجزاء غير مقوّمة له، كالشعر للإنسان والورق للشجر، وتمامية دائرة الخلّة بحصول الجزء الغير المقوّم لا بحصول المقوّم، وفي بعض المكاتيب من الجلد الثالث صرّح بأن الحقيقة المحمدية حقيقة الحقائق وغيرها أجزاء لها، انتهى.

والعاقل تكفيه الإشارة، ولهذا أمر خاتم الرسل بمتابعة ملّة إبراهيم ﷺ ليصل ﷺ بوسيلة هذه المتابعة لحقيقة ولايته بمقدار فضله واستعداده ﷺ عند الله تعالى، ومنها إلى حقيقة ولايته التي عبِّر عنها بالملاحة، والمراد بحقيقتها كنهها مع كنه جميع فروعها وشؤونها كما مرّ، ولمّا كان لنبيّنا ﷺ مناسبة ذاتية أتمّ بمركز دائرة ولاية الخلّة الذي هو أقرب إلى حضرة إجمال الذات وبمحيطها الذي هو تفصيل كمالات الذات تعالت، أقول المراد بالمركز الأصل والمرجع والمُقدَّم والمقرّ والحيّز الطبيعي كما مرّ، وولاية كل نبيّ ووليّ جزء ولاية نبيّنا ﷺ، ولكل نبيٍّ ووليٍّ وصلت الولاية منها، وهو ﷺ الكل، وهي لكل وليّ بطريق الظلّية واستهلاك الظلّ بالأصل لا يقال له كماله، وأشار بالمركز إلى الوحدة والبساطة، وبالقرب إلى الأحدية، فما لم يتحقّق بكمالات محيط تلك الدائرة مفصّلاً بقدر فضله واستعداده عند الله تعالى بحصول ذلك الشأن الواحد المجمل كما مرّ، مع أن جميع المقامات والشؤونات كانت حاصلة له ﷺ تفصيلاً بمقدار فضله، إلّا ذلك الشأن الواحد المجمل لا تتمّ ولاية الخلّة تفصيلاً بمقدار فضله واستعداده عند الله تعالى، ولفظ لا تتمّ يدلّ على أن ولاية الخلّة كانت حاصلة له ﷺ مجملاً، ولهذا جاءت في الصلاة المأثورة: **«كما صلّيت على إبراهيم»**[2] أي جاء فيها كما صلّيت الخ، ومعناها: اللّهمّ صلّ على محمد

---

(1) رواه ابن حبّان في صحيحه، ذكر البيان بأن قوله ﷺ: «الإيمان بضع...»، حديث رقم (191) [1/ 420]؛ والطبراني في المعجم الأوسط، مَن اسمه مقدام، حديث رقم (9004) [9/ 20]؛ ورواه غيرهما.

(2) جزء من حديث رواه البخاري في صحيحه في أبواب عدّة منها: باب قوله عزّ وجلّ: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ﴾ [الحجر: الآية 51] ...، حديث رقم (3190) [3/ 1233]؛ والحاكم في المستدرك في بابين أحدهما: باب التأمين، حديث رقم (824) [3/ 24]؛ ورواه غيرهما.

بمقدار فضله واستعداده عندك كما صلّيت على إبراهيم بمقدار فضله واستعداده عندك.

اللّهمّ أعطِ مرتبة خلّتك محمّدًا بمقدار فضله واستعداده عندك كما أعطيتها إبراهيم بمقدار فضله واستعداده عندك حتى تتيسّر كمالات الولاية الإبراهيمية بتمامها أيضًا له ﷺ مفصّلاً بمقدار فضله واستعداده عند الله تعالى، ولفظ بتمامها أيضًا يدلّ على حصولها له ﷺ مجملاً كما كانت حاصلة لصاحبها بمقدار فضله واستعداده عند الله تعالى.

ولمّا كان المكان الطبيعي للولاية المحمدية مركز دائرة الولاية الخليلية وسيره ﷺ أيضًا مقصورًا على السير المركزي لتلك الدائرة تعسّر خروجه ﷺ منه ودخوله فيها لاكتساب كمالاتها، أي اكتساب تفصيلها، وهذه العبارة تدلّ على حصول الولاية المحمدية للنبيّ ﷺ وحصولها يدلّ على حصول الولاية الإبراهيمية للنبيّ ﷺ؛ لأن الولاية الإبراهيمية موقوفٌ عليها حصول الولاية المحمدية وحصول الموقوف يدلّ على حصول الموقوف عليه ووجوده وخروجه منه خلاف مقتضى الطبيعة لأنه الحيّز الطبيعي له ﷺ؛ فلا بدّ أن يكون فرد من أُمّته ﷺ متوسّطًا كائنًا بتبعيّته ﷺ في عين المركز، ومن طريقٍ آخر له مناسبة بمحيط تلك الدائرة أشار بقوله: من طريق آخر الخ، إلى قول الصوفية بأن كل وليّ من أُمّته ﷺ على قلب نبيّ من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين. وفي بحر المعاني قال النبيّ ﷺ: **«إن لله تعالى في الأرض ثلاثمائة وليًا قلوبهم على قلب آدم عليه السلام وله أربعون قلوبهم على قلب موسى عليه السلام، وله سبعة قلوبهم على قلب إبراهيم عليه السلام، وله خمسة قلوبهم مثل قلب جبريل عليه السلام، وثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل عليه السلام، وله واحد قلبه مثل قلب إسرافيل عليه السلام، بهم يرفع الله تعالى البلاء عن هذه الأمّة»**[1] حتى

(1) روى نحوه الديلمي في الفردوس، فصل حديث رقم (703) [1/187] ونصّه: «إن لله عزّ وجلّ ثلثمائة قلوبهم على قلب آدم وله أربعون قلوبهم على قلب موسى وله سبعة قلوبهم على قلب إبراهيم وله خمسة قلوبهم على قلب جبريل وله ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل وله واحد قلبه على قلب إسرافيل فإذا مات الرجل الواحد أبدل الله مكانه من الثلاثة وإذا مات من الثلاثة فبهم يحيي ويُميت ويُمطر ويُنبت ويدفع البلاء». ورواه أبو نعيم الأصبهاني في حلية=

يكتسب كمالات تلك المرتبة التي هي ذلك الشأن المجمل غير المقدم وغير الوقوف عليه الذي نسبته إلى الولاية المحمدية لنسبة القطرة إلى البحر، وهذا الفرد بمنزلة الآلة كالسيف للمجاهد، فالقاطع هو المجاهد ويسند القطع إلى السيف مجازًا، أو كالخادم بالنسبة إلى المخدوم، أو كالخازن بالنسبة إلى الملك، ولا محذور في اكتساب المخدوم والملك شيئًا بواسطة الخادم والخازن ويتحقّق بها، والنبيّ المتبوع بحكم «من سَنّ سُنّة حسنة فله أجرها وأجر من عَمِل بها» بتوسّط وصوله وخدمته وتبعية نبيّه ﷺ إليها يتحقّق بتلك الكمالات، وهي تفصيل الخلّة بمقدار فضله وشرفه ﷺ عند الله تعالى أيضًا، وتتمّ له المرتب الولاية الخليلية مع ذلك الشأن المجمل غير المقدم الذي كانت جميع مقامات الولاية حاصلة له ﷺ سواه.

والأعمال الصالحة للنبيّ ﷺ قسمان: قسم بالمباشرة بها، وقسم غير المباشرة بها وهي الأعمال الصالحة لنبيّ ﷺ بمباشرة أُمّته بها بموجب «من سنّ سُنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها»[1] وكذلك سائر الكمالات والفضائل قسم منها حصل له ﷺ حالَ حياته، وقسم حصل له ﷺ بعد مماته، ولا يزال يحصل إلى يوم القيامة بواسطة أُمّته كفتوح البلدان وإظهار دينه على سائر الأديان وانتشاره إلى أقطار الأرض واستنباط الأحكام وتدوين العلوم إلى غير ذلك ممّا لا يخفى على أحد، وللنبيّ ﷺ يتيسّر كمالات محيط تلك الدائرة بمقدار فضله واستعداده عند الله تعالى بحصول ذلك الشأن المجمل، وإنْ كانت حاصلة له ﷺ مفصّلة غير ذلك الشأن، وتمّت الولاية الخليلية أيضًا له ﷺ بإلحاق ذلك الشأن المجمل غير المقدم الذي يدلّ عليه لفظة تمّت، ونسبته إلى الولاية المحمدية كنسبة القطرة إلى البحر.

= الأولياء، في ترجمة خليفة رسول الله ﷺ سيّدنا أبو بكر الصّدّيق رضي الله عنه [1/8]؛ ورواه غيرهما.

(1) رواه مسلم في صحيحه، باب مَن سَنَّ سُنّة حسنة أو...، حديث رقم (18044) [10/3190]؛ ورواه ابن ماجه في سننه، باب مَن سَنَّ سُنّة حسنة أو...، حديث رقم (203) [1/74]؛ ورواه غيرهما.

ودعاء اللّهمّ صلّ على محمد كما صلّيت على إبراهيم قرن بالإجابة بمقدار فضله واستعداده بعد ألف سنة بدعاء الأمّة لحصول ذلك الشأن المجمل غير المقدّم لا لغيره من الكمالات؛ لأنها كانت حاصلة له ﷺ مفصّلاً، والكمالات حاصلة له ﷺ في السير في الله الآن أيضًا يومًا فيومًا؛ لأن السير في الله غير متناهٍ وكمالاته وفيوضه تعالى لا تُحْصَى ولا تُعَدّ، وبدعاء أمّته له ﷺ أفاض الله عليه التجلّيات الغير المتناهية كما مرّ بيانه من كتاب عمدة المريد للشيخ إبراهيم اللقاني، ومن كشف الأسرار لابن العماد فليراجع إليه في آخر الجواب الأول حتى يظهر الحق، وللنبيّ ﷺ بعد تمام ولاية الخلّة معاملة بالسرّ والنشأة الذي أودع في المركز الذي عبّر بالملاحة وفوّض النبيّ ﷺ حراسة أمّته ومحافظتها إليه لإرشادهم إلى صراط مستقيم في زمانه واستغرق في مشاهدة جمال غيب الغيب واشتغل بالمحبوب، والله أعلم.

حاصله: أن للنبيّ ﷺ عروجًا ونزولاً، فعروجه في حين حياته ﷺ من عالم الشهادة إلى عالم المثال، ومنه إلى عالم الملكوت والأرواح، ومنه إلى مرتبة الواحدية، ومنها إلى الوحدة وهي المسمّاة بالحقيقة المحمدية وعالم الشؤونات وهي مركزه وحقيقته ﷺ وإجمال ذاته تعالى، وهذه المرتبة خاصّة بنبيّنا ﷺ ولبعض أفراد أُمّته نصيب منها بطفيله ﷺ، وهذا العروج من عالم الكثرة إلى الوحدة التي هي أقرب إلى ذاته تعالى ونزوله من الوحدة إلى الكثرة والتفصيل إلى عالم الشهادة لهداية أُمّته، وكان هذان السيران للنبيّ ﷺ دائمين في حين حياته ﷺ وجميع الكمالات الممكنة للبشر في الدنيا حاصلة له ﷺ بعضها بواسطة جبريل عليه السلام وغيره من الملائكة الكرام، قال الله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ۝ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ۝﴾ [النجم: الآيتان 5، 6]، وقال النبيّ ﷺ: «إن روح القدس نفث في روعي»[1]، وبعضها بلا واسطة مع أنه ﷺ أفضل من جبريل عليه السلام، وبعد انتقاله ﷺ إلى عالم القدس والرفيق الأعلى له عروج فقط، ومقرّه في مركز دائرة الخلّة الذي هو الوحدة، وكانت حركته ﷺ

(1) رواه القضاعي في مسند الشهاب، (728 إن روح القدس...)، حديث رقم (1151) [2/ 185]؛ وروى نحوه ابن أبي شيبة في مصنّفه، ما ذُكِر عن نبيّنا ﷺ، حديث رقم (34332) [7/ 79] وروى نحوه غيرهما.

في حين حياته إلى عالم الشهادة قسرية لا طبيعية، وإلى عالم القدس طبيعية، ففوّض حراسة أُمّته ﷺ إلى فرد من أفراد أُمّته، وله هذه المرتبة بطفيله ﷺ كما صرّح الشيخ رحمه الله في المكتوب الثامن عشر ومائة من الجلد الثالث، وقال: لا يظنّ أحد أن السالك لا يحتاج إلى متابعة النبيّ ﷺ لأنه كُفْر وإلحاد وزندقة والدقيقة من الدقائق والمعرفة من المعارف التي لهؤلاء القوم لا تحصل لهم إلّا بتوسّطه ومتابعته وحيلولته ﷺ، سواء كان مبتدئًا أو متوسّطًا أو منتهياً. بيت [شعر بالفارسية]:

محالست سعدى كه راه صفا تواون رفت جز در پي مصطفى

معنى البيت: يا سعدي هذا أمرٌ مستحيل أن يصل أحد إلى الطريق المستقيم بلا تبعيّة النبيّ ﷺ، بل قلّما يخلو مكتوب من مكاتيبه من التأكيد والمبالغة بتلك المتابعة، وما حصل لذلك الفرد من الكمالات فهو له ﷺ، وهو بمنزلة الآلة والخادم، وفي المواهب بيان خصائصه ﷺ.

قال الشافعي رحمه الله: ما من خير يعمله أحد من أُمّته ﷺ إلّا والنبيّ أصل فيه، قال في تحقيق النضرة: فجميع حسنات المسلمين وأعمالهم الصالحة في صحائف نبيّنا ﷺ زيادة على ما له من الأجر مع مضاعفة لا يحصيها إلّا الله تعالى؛ لأن كل مهتدٍ وعامل إلى يوم القيامة يحصل له أجره، إلى أن قال: وبهذا يُجاب عن الاستشكال في دعاء القارىء له ﷺ بزيادة الشرف مع العلم بكماله ﷺ في سائر أنواع الشرف، انتهى.

وأبهم الشيخ أحمد رحمه الله ذلك الفرد من أُمّته ﷺ، وما قال أنا ذلك الفرد، فيمكن أن يكون ذلك الفرد الخضر أو إلياس عليهما السلام أو غيرهما، وفي المواهب في بيان خصائص أُمّته ﷺ. نعم هو - أي عيسى عليه السلام - واحد من هذه الأمّة لما ذكر من وجوب اتّباعه لنبيّنا ﷺ، والحكم بشريعته، وساق الكلام إلى أن قال: وكذلك من يقول من العلماء بنبوّة الخضر عليه السلام، وصحّح في الإصابة أنه نبيّ وأنه باقٍ إلى اليوم، فإنه تابع لأحكام هذه الأمّة، وكذا الياس على ما صحّحه أبو عبد الله القرطبي أنه حيّ أيضًا، وليس في الرُسل من يتبعه رسول إلا نبيّنا ﷺ، وكفى بهذا شرفًا لهذه الأمّة زادها الله شرفًا، انتهى.

وما وقع في الشفاء والفتاوى من أن تنقيص النبيّ ﷺ كفر، فهو بالنسبة إليّ ما هو غير كمالات الله تعالى وصفاته، وتعلم النبيّ ﷺ من جبريل عليه السلام، وهو الذي يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝﴾ [النجم: الآيتان 5، 6]، مع أن جبريل عليه السلام مفضول، والنبيّ أفضل منه، وكذا مسّ الشيطان جميع أولاد آدم وقت تولّدهم إلّا عيسى عليه السلام، وكذا قوله عليه السلام: «أنا أول من يرفع رأسه بعد النفخة، فإذا أنا بموسى آخذًا بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أقام قبلي أو جُوزِيَ بصعقة الطور»، رواه البخاري.

وفي البدور السافرة للسيوطي رحمه الله في بيان الصعقة: وهذه الغشية للأنبياء إلّا موسى، فإنه حصل فيه تردّد، فإن لم يحصل له فيكون قد حُوسب بصعقة يوم الطور، وهذه فضيلة عظيمة في حقّه، ولكن لا توجب أفضليّته على نبيّنا ﷺ لأن الشيء الجزئي لا يُوجب أمرًا كلّيًا، انتهى.

وغيرها من الأمثلة التي تدلّ على تفضيل المفضول على الفاضل ليس كلها قبيل التنقيص المذموم وترقّي الدرجات التي للنبيّ ﷺ يومًا فيومًا في البرزخ لا يدلّ على تنقيصه ﷺ، مع أن كل درجة من الدرجات التي حصلت له ﷺ اليوم أعلى مما قبله إلى غير النهاية، فكيف يقال لمن يقول: كل الدرجات التي حصلت له ﷺ أعلى مما قبله، وهو متّصف بجميع صفات الكمال أنه نقصه ﷺ، والله أعلم.

وليس في كلام الشيخ أحمد رحمه الله ما يدلّ على النقص. وفي الشفاء: قال حبيب بن الربيع: التأويل في لفظ صريح لا يُقْبل، وفي آخر المكتوب الرابع والتسعين من الجلد الثالث في جواب من توهّم من هذا الكلام في بيان الملاحة والخلّة أن ذلك الفرد كمل النبيّ ﷺ صرّح بأن ذلك الفرد خادم وتابع للنبيّ ﷺ، كل ما حصل له فهو من خزائنه ﷺ، فإذا جاء العبد والخادم بهدية إلى المخدوم وقَبِلها منه لا يلزم به نقص، وذكر لدفع هذا الوهم كلامًا كثيرًا يدفعه، فمن أراد الوقوف عليه فليراجع إليه، ولدفع هذا الوهم نمثّل بهذه المسألة المعقولة المكشوفة بالمحسوسة بأن نتصوّر بستانًا عظيمًا حوله سور، وهو بمنزلة دائرة الخلّة وقصرًا مرتفعًا غاية الارتفاع في وسط هذا البستان، وهو

بمنزلة المركز، وقد دخل فيه النبيّ ﷺ ورأى كل ما فيه تفصيلاً إلّا شيئًا قليلاً، ثمّ ارتقى النبيّ ﷺ على ذلك القصر واستغرق في مشاهدة جمال ذاته تعالى فيه لا يتوجّه ولا يلتفت إلى البستان والسور الذي هو أسفل من مكانه العالي ﷺ، وذلك الفرد من الخدّام والعبيد يبلغ حقيقة هذا البستان وسوره إليه ﷺ باعتبار بعض الوجوه الذي هو مجمل كالملائكة السيّاحين في الأرض يبلغونه ﷺ سلام أمّته وصلاتهم ويزيد الله تعالى شرفه ودرجته بواسطة دعائهم وصلاتهم يومًا فيومًا، فليس فيه نقصه ﷺ مع أنه يعلم صلاة كل فرد فرد من الأمّة، ويحصل ثوابها له ﷺ بواسطة الملائكة والأمّة، فافهم.

وروى أحمد والنسائي والحاكم حديث تبليغ الملائكة صلاة الأمّة إليه ﷺ وترقّي الدرجات للنبيّ ﷺ في البرزخ يومًا فيومًا بسبب أعماله بنفسه ﷺ؛ لأن الأعمال الصالحة لأمّته فهي في الحقيقة أعماله ﷺ بمقتضى حديث: «**مَن سنّ سُنّة حسنة فله أجرها وأجر مَن عمل بها**»[1]، وإنْ فرضنا أن هذا المبحث ينجرّ إلى الفضل الجزئي لا يلزم المحذور أيضًا لأنه جائز عند العلماء وإن لم يفهمه الناس، ويدلّ على الفضل الجزئي أحاديث كثيرة، منها ما في رواية الترمذي: قال النبيّ ﷺ يقول الله تعالى: «**المتحابّون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيّون والشهداء**»[2]، وروى أبو داود عن عمر رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**إن من عباد الله لأناسًا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانتهم من الله**»، قالوا: يا رسول الله تخبرنا من هم؟ قال: «**هم قوم تحابّوا بروح الله من غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها**»[3] الحديث. وصدر من المشائخ رحمهم الله أيضًا أقوال تدلّ على الفضل الجزئي وحصول مرتبة الخلّة للنبيّ ﷺ بدعاء أُمّته منها قول الشيخ محيي الدين بن العربي في الفتوحات

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

(2) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب الفتن والملاحم، حديث رقم (8296) [4/ 466]؛ والترمذي في سُننه، باب ما جاء في البرّ والإثم، حديث رقم (2390) [4/ 597]؛ ورواه غيرهما.

(3) وتتمّة الحديث: «فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا هم يحزنون» رواه الطبري في تفسيره، القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝﴾ [يونس: الآية 62] [11/ 131]؛ ورواه أبو داود في سننه، باب في الرهن، حديث رقم (3526) [3/ 288] وروى نحوه غيرهما.

المكّية في الباب التاسع والخمسين وخمسمائة: لا ينال الخلة محمد ﷺ صاحب الوسيلة في جنّته وما نالها إلا بدعاء أُمّته، أين أُمّته من فضيلته! ومع هذا بدعائهم كانت ﷺ الوسيلة والمدعوّ له أرفع من الدّاعي، وفي وضع آخر من هذا الباب قال: نال محمّد ﷺ الوسيلة والخلّة بدعاء أُمّته، ولذلك أمرهم بالصّلاة عليه، كما أنه ﷺ أمرهم أن يسألوا الوسيلة إليه، انتهى.

وفي الفصوص: ويجوز أن يكون الفاضل مفضولاً من وجه كما مرّ بيانه، وهو: فالمرسلون من كونهم أولياء لا يرون ما ذكرناه إلّا من مشكاة خاتم الأولياء، فكيف من دونهم، الخ. أي لا يرون الأنبياء من العلم الذي يعطي صاحبه السكوت إلّا من مشكاة ذلك الوليّ مع أن الأنبياء أفضل منه، انتهى.

قال مولانا جلال الدين الدواني في رسالته في بيان تشبيه: «كما صليت على إبراهيم» أن تفضيل المفضول على الفاضل باعتبار بعض الوجوه جائز؛ إذ في الحديث: «**إن لله عبادًا ليسوا بأنبياء يغبطهم الأنبياء**»[1]، انتهى ملخصًا. وفي البيضاوي في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾ [الكهف: الآية 66]، ولا ينافي نبوّته وكونه صاحب شريعة أن يتعلم من غيره ما لم يكن شرطًا في أبواب الدين، فإن الرسول ينبغي أن يكون أعلم ممن أرسل إليه فيما بعث من أصول الدين وفروعه لا مطلقًا، انتهى.

والخضر عليه السلام نبيّ في قول، وليس بنبيٍّ في قول، وعليه أكثر العلماء؛ كذا في تفسير الجلالين، وفيه أيضًا: روى البخاري حديث أن موسى: «أوحى الله إليه أن لي عبدًا بمجمع البحرين هو أعلم منك». وفي المواهب روى أحمد والدارمي والطبراني عن أبي عبيدة قالوا: يا رسول الله هل أحد خيرٌ منّا، أسلمنا معك وجاهدنا معك؟ قال: «**نعم قومٌ يكونوا من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني**»، وإسناده حسن وصححه الحاكم، انتهى.

وفي المشكاة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أي الخلق أعجب إليكم إيمانًا**»؟ قالوا: الملائكة، قال:

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

«وما لهم لا يؤمنون وهم عند ربّهم»، قالوا: فالنبيّون؟ قال: «وما لهم لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم»! قالوا: فنحن؟ قال: «وما لكم لا تؤمنون وأنا بين أظهركم»! قال: فقال رسول الله ﷺ: «إن أعجب الخلق إليّ إيمانًا لقومٌ يكونون من بعدي يجدون صحفًا فيها كتاب يؤمنون بما فيها». وعن بريدة قال: أصبح رسول الله ﷺ فدعى بلالاً فقال: «بِمَ سبقتني إلى الجنّة، ما دخلت الجنّة قط إلا سمعت خشخشتك أمامي»(1) الحديث. وفي شرح العقائد العضدية للجلال الدواني: فإن أفضل موضوعة للزيادة في معنى المصدر بوجه ما أعم من أن يكون من جميع الوجوه أو بجميع صفات الفضائل من حيث المجموع، والذي وقع الخلاف فيه هٰهنا هو الرجحان بهذا الوجه، أعني من حيث الثواب لا الرجحان من الوجوه الأُخر، فلا ينافي ذلك رجحان الغير في آحاد الفضائل الأُخر، ولا في مجموع الفضائل من حيث المجموع، وتمام تفصيله في الحواشي الجديدة لنا على الشرح الجديد للتجريد، انتهى.

وما صدر من الشيخ أحمد رحمه الله من كشف مقام الخلّة والولاية وغيرهما مثل ما صدر من الأولياء وما أخذ عليهم أحد، وذكر الإمام الشعراني في اليواقيت والجواهر عن بعض العارفين بهذه العبارة: اعلم أن النبوّة لم ترتفع مطلقًا، وإنما ارتفع نبوّة التشريع فقط. وفي الفتوحات المكّيّة في الباب السبعين ومائتين: أن النبوّة وإن انقطعت في هذه الأُمّة بحكم التشريع، فما انقطع الميراث منها، فمنهم من يَرِثُ بنبوّة ومنهم من يرث برسالة، ومنهم من يرث برسالة ونبوّة معًا. قال الشيخ الشعراني في الطبقات عن الشيخ أبي المواهب الشاذلي أنه قال: إن مثل الفقراء والأولياء الصادقين ككنز صاحب الجدار، وقد يعطي الله تعالى من جاء في آخر الزمان ما حجبه عن أهل العصر الأوّل، فإن الله تعالى أعطى لمحمد ﷺ ما لم يُعْط الأنبياء الذين مضوا قبله، ويالله العجب من المتفقّهين الذين ينكرون ما قاله الأولياء ويصدّقون بما وصل إليهم من فقيه

---

(1) رواه الحاكم في المستدرك، من كتاب صلاة التطوّع، حديث رقم (1179) [1/457]؛ ورواه الترمذي في سننه، باب في مناقب عمر...، حديث رقم (3689) [5/620]؛ ورواه غيرهما.

واحد، وربما يكون إسناده في ذلك القول إلى دليل ضعيف، وما ذلك والله إلّا الحرمان، انتهى.

تنبيـــه:

اعلم أن حاصل هذا الكلام للشيخ أحمد رحمه الله في بيان الخلّة ومراده منه أن مرتبة الخلّة أمرٌ كُلّي وله حصص، ولكل نبيّ حصة منها على قدر استعداده وشرفه؛ لأنه أراد بها تفصيل كمالات ذات الله تعالى، ولكلّ نبيٍّ حاصل تفصيل كمالات ذاته تعالى بقدر استعداده وشرفه، وخُصّ إبراهيم عليه السلام بالخلّة لشهرته بها، ولنبيّنا ﷺ خلة على قدر استعداده وشرفه وهي أشرف وأعلى درجة من الخلة التي لغيره ﷺ من الأنبياء عليهم السلام، والمراد بالصلاة في قول: اللّهمّ صلّ على محمد كما صلّيت على إبراهيم الخلة والرحمة معناه: اللّهمّ أعطِ الخلّة والرحمة محمّدًا ﷺ بقدر استعداده وشرفه عندك كما أعطيتها على إبراهيم عليه السلام بقدر استعداده وشرفه عندك، ولنبيّنا ﷺ حصلت حصة الخلّة في حين حياته وهي أشرف وأعلى من حصة الخلّة التي لإبراهيم عليه السلام بأعمال نفسه ﷺ، وهكذا تترقى درجة الخلّة والرحمة لنبيّنا ﷺ يومًا فيومًا في البرزخ أيضًا؛ لأنها غير متناهية بأعماله ﷺ بنفسه لا بغيره، وهي الأعمال الصالحة لأمّته ﷺ بموجب حديث: «من سنّ سُنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها»، والأعمال الصالحة للأمّة كلها سنّة حسنة سَنّها النبيّ ﷺ، والأمّة كالآلة لحصول تلك الأعمال الصالحة للنبيّ ﷺ كالسكين للقاطع، فإسناد كسب كمالات الخلّة إلى فرد من أفراد أُمّته ﷺ إسناد مجازيّ كإسناد القطع إلى السكين، ومقرّ النبيّ ﷺ فوق مرتبة الخلّة وهي الولاية المحمّدية ومرتبة المحبوبية، وهي أشرف وأعلى من الخلة، ودعاء ذلك الفرد والأمّة بقول: اللّهمّ صلّ على محمد كما صلّيت على إبراهيم لإتمام مرتبة الخلة للنبيّ ﷺ بقدر استعداده وشرفه عند الله تعالى قُرن بالاستجابة ودعاؤهم له ﷺ لازدياد شرفه والرحمة والقرب في مرتبة المحبوبية ودرجته عند الله تعالى بقولهم: اللّهمّ صلّ على محمد كما صلّيت على إبراهيم باقٍ إلى يوم القيامة، وهذه المعاني التي ذكرتها يدلّ عليها كلام الشيخ أحمد رحمه الله على بعضها بدلالة لفظه وعبارته وعلى بعضها بإشارته واقتضائه، ولا يخفى فهم هذه المعاني

من كلامه على طالب العلم سليم الطبع المُنْصف الذي استحضر من علم أصول الفقه والمعاني والبيان مبحث دلالة اللفظ وعبارته وإشارته واقتضائه ومنطوقه ومفهومه والحقيقة والمجاز والصريح والكناية، والله أعلم.

وحاصل جميع هذه الأقوال التي اعترض المعترضون بها ينجرّ إلى حصول بعض كمالات الخلّة للنبيّ ﷺ بتوسّط ذلك الفرد الغير المعين وإلى وصول ذلك الفرد إلى بعض العلوم من الله تعالى بلا توسّط، وإلى شركته للنبيّ ﷺ بتبعيّته له ﷺ في بعض المعارف والدرجات، وقد عرفت جواب كلها تفصيلاً وغاية ما فيه من القبح هو الفضل الجزئي، ولا نسلم أنه يفهم من كلام الشيخ رحمه الله بالمعنى الذي بيّنته لكلامه وإن سلم فهو جائز عند جميع العلماء والصوفيّة كما مرّ بيانه، فالفضل الجزئي عبارة عن زيادة شيء قليل مما حسّنه الشرع أعمّ من أن يترتّب عليه الثواب أولاً، كالمباح والفضل الكلّي عبارة عن كثرة الثواب وزيادته وأخذ العلم من الله تعالى بلا توسّط مرشد وشيخ جائز أيضًا، كما يدلّ عليه كلام غوث الثقلين عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه في فتوح الغيب: وقد يكون للمريد سرّ لا يطّلع عليه شيخه، وللشيخ سر لا يطّلع عليه مريده الذي قد دنى سيره على عتبة باب شيخه، فإذا بلغ المريد حالة شيخه أفرد عن الشيخ وقطع عنه فتولّاه الحق عزّ وجلّ فيعظمه عن الخلق جملة، فيكون الشيخ كالداية ولا رضاع بعد الحولين، وفي النفحات قال الشيخ عبد الله التروغيدي: طوبى لمن لم يكن له وسيلة إليه غيره. قال الشيخ الشعراني في الطبقات عن الشيخ تاج الدين بن عطاء الله: وقد يجذب الله العبد فلا يجعل عليه مِنّة للأستاذ، قال مولانا الجامي قُدّس سرّه في خطبة شرح الفصوص.

اعلم أن الحكمة الفائضة من الحقّ سبحانه على قلوب كُمّل عباده وخُلّص عبيده أنواع: منها ما يفيض عليهم بواسطة الملائكة المُقرّبين بألفاظ وعبارات محفوظة عن التغيير والتبديل مرادة تلاوتها وهو القرآن، ومنها ما يفيض عليهم بواسطة أو بغير واسطة معاني صرفة، ومن هذا القبيل الحديث القدسي، وهذا النوع ليس مخصوصًا بالأنبياء عليهم الصلوات والتسليمات، بل يعمّ الأولياء وصالحي المؤمنين، ومنها ما يفيض من بعض الكُمّل على بعض كما يفيض من روح نبيّنا ﷺ على خواص متابعيه، انتهى.

وفي منبع الكمالات حكى الإمام الشعراني عن بعض العارفين أنه كان يقول: إن الرجل لا يكمل عندنا في مقام العلم حتى يكون علمه عن الله عزّ وجلّ بلا واسطة، إلى أن قال: كما أخذه الخضر عليه السلام، وفيه أيضًا عن بعضهم أنه كان يقول: إذا كَمُل العارف في مقام العرفان أورثه الله تعالى علمًا بلا واسطة.

وفي الفتوحات المكّيّة في بيان أحوال الأقطاب: وكل أصناف هذه العلوم عنده ـ أي القطب ـ علوم إلٰهيّة ما أخذها إلّا عن الله سبحانه بلا واسطة. وفي مرصاد العباد: أما التجلّي العلمي فمثمر لظهور حقائق العلوم بلا واسطة، انتهى. ووقع في أقوال المشائخ في مواضع كثيرة ما يدلّ على أخذ العلم عن الله تعالى بلا واسطة، فمن أراد الوقوف عليه، فليراجع إلى كتبهم.

وما يدلّ على أخذ العلم عن الله تعالى بلا واسطة في مكتوب من المكتوبات للشيخ أحمد السرهندي رحمه الله يوافق هذه الأقوال وهو صرّح بأنه لا يصل أحد إلى هذا المقام إلّا بعد متابعته للنبيّ عليه الصّلاة والسلام كما مرّ، والله أعلم.

الجواب الثاني والثالث والعشرون لقولهم: وقال في المكتوب السادس والتسعين من الجلد الثالث: إن الولاية المحمدية وإنْ كانت ناشئة من مقام المحبوبية، إلّا أنه ليس هناك محبوبية صرفة، بل فيها نشأة من المحبّية أيضًا، وهذا المزج وإن لم يكن له بالأصالة، لكنّه يمنع من المحبوبية الصِّرفة، وأن الولاية الأحمدية ناشئة من صرف المحبوبية وليس فيها شائبة المحبّية أصلاً، وهذه الولاية أسبق من الأولى وأقدم بمرحلة، ولقولهم: وقال في المكتوب الرابع والتسعين: إن النبيّ ﷺ اختفى في خلوة غيب الغيب، وردّ هذا الفرد المتوسط من أُمّته لحراسة الأمّة ومحافظتها، وليعلم أن محيط مركز الدائرة الثالثة ـ يعني الحاصلة ـ وإن كان أصغر من محيط التعيّن الأوّل، ولكنه أجمع منه وأقرب إلى حضرة الذات، وكلّ ما كان أقرب إلى حضرة الذات كان أجمع؛ كالإنسان بالنسبة إلى العالم الأكبر، فإنه وإن صَغُر لكنه أجمع وأشرف، انتهى.

اعلم أن جواب القولين بمجموعهما هو أن النبيّ ﷺ قال: «علماء أمّتي كأنبياء بني إسرائيل»[1]، ووجه الشَّبَه فيه أن العلماء العاملين يرشدون أمّته ﷺ إلى الصراط المستقيم ويهدونهم إلى سبيل معرفة الله تعالى العظيم كأنبياء بني إسرائيل، فصحّ حراستهم الأمّة، وهذا الفرد منهم مشهور عند الصوفية رضوان الله عليهم أجمعين. إن قطب الوقت هو الغوث يحرس أمّته ﷺ، وكذلك الأوتاد والأبدال والنجباء والنقباء، والنبيّ ﷺ كان دائمًا مستغرقًا في مشاهدة جمال ذاته تعالى في مقام قاب قوسين أو أدنى خصوصًا بعد انتقاله ﷺ إلى الملأ الأعلى، ويزيد شرفه يومًا فيومًا، فإنه فوّض حراسة أمّته إلى فرد من أمّته، وما توجّه إلى العالم السفلي بموجب: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [النّجم: الآية 17]، فلا قبح فيه حتى يلزم الذم لقائل هذا القول.

وأما قولهم: وقال في المكتوب المُوَفّى مائة من الجلد الثالث: اسمع أن هذه الدولة المحمدية الخاصة به وإنْ لم يكن أحد يشركه فيها إلّا أن بعد تخليق بدنه وتكميله بقيت من طينته بقيّة إلى آخر ما تقدم مكرّر، وقد مرّ جوابه في السؤال السابع.

الجواب الرابع والعشرون: لقولهم: وقال في المكتوب الحادي عشر من الجلد الأول بعد أن ذكر مقامًا قال: مرّ عليه الخلفاء ثم قال: وإليه طريقان أحدهما: رؤية النقص حتى أنه يرى كل من في العالم حتى الكافر الإفرنجي والملحد والزنديق أفضل من نفسه، ويرى نفسه أسوأ منهم، انتهى.

اعلم أن كل المخلوقات من حيث هم مخلوق الله ومصنوعاته عاقبتهم مُبْهَمة عسى أن يؤمن الكافر وعاقبته أيضًا مبهمة عسى أن يكفر باعتبار ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القَمَر: الآية 49]، وهم من حيث كونهم مظهر صفات الجلال يراهم أفضل من نفسه وكلّهم على صراط مستقيم بهذا الاعتبار، كما قال بعض العرفاء في بيان قوله تعالى: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هُود: الآية 56]، قال أبو مدين رحمه الله: شعر:

لا تنكر الباطل في طوره ... فإنه بعض ظهوراته

(1) أورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (1744) [2/ 83]؛ والهروي في المصنوع [1/ 195].

واعلم أن الله تعالى إذا أراد العارف أن لا يحصل له العجب يظهر له الحكمة التي في خلق الكافر وغيره من المخلوقات، ولا تجدها في نفسه فيفضله على نفسه بها، فيصل به إلى الدرجة العليا مما يضيق عن الإحاطة بها نطاق البيان وينكشف له تسبيح كل شيء، قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: الآية 44]، فلا محذور فيه، وقد ورد: فلا تزكوا أنفسكم، ولعل المعترض يحسب نفسه خيرًا من كل شيء، وهذا من ورثة الشيطان نعوذ بالله من ذلك.

الجواب الخامس والعشرون: لقولهم: ثم قال: ليعلم أن الأولياء إذا وصلوا إلى حضرة الذات بتبعيّة نبيّ من الأنبياء لا يكون ذلك النبيّ حائلاً بينهم وبين الذات، ولهم نصيب بالأصالة من حضرة الذات. غاية ما في الباب أن وصولهم إلى تلك الدرجة مربوط بتبعية ذلك النبيّ بخلاف الأمم، فإنهم إذا وصلوا بتوسّل أنبيائهم يكون الأنبياء حائلين إلا فردًا من أفراد هذه الأمّة ـ يعني نفسه ـ فإنه يأخذ بالأصالة من حضرة الذات وله نصيب منها، والحيلولة بينه وبين الذات مفقودة والتبعيّة موجودة، وقليل ما هم بل أقل، انتهى.

اعلم أن هذا القول مكرّر وجوابه مرّ في السؤال الثاني، فليرجع إليه.

الجواب السادس والسابع والثامن والتاسع والعشرون: لقولهم: وقال في المكتوب السادس والتسعين من الجلد الثالث: إن لمحمد ﷺ طوقي عبودية ـ يعني حلقتي الميم ـ وهما إشارتان إلى تعينيه الأول تعيّنه الجسدي وهو بشريّته، والثاني تعيّنه الروحي وهو مَلَكيّته، ولما فتر تعيّنه الجسدي بالموت قوي تعيّنه الروحي، ولكن كان لتعيّنه الجسدي بقيّة، فلما مضى ألف سنة زالت تلك البقيّة ولم يبق لتعينه الجسدي أثر فانقطع طوق عبودية جسده وطرأ عليه الزوال والفناء، فقام ألف الألوهية مقامه فصار محمد أحمد، وانتقلت الولاية المحمدية إلى الولاية الأحمدية، انتهى.

ولقولهم: وقال في المكتوب التاسع والمائتين من الجلد الأول: إن نبوّته ﷺ تتعلق بالنشأة العنصرية باعتبار الحقيقة المحمدية، بل باعتبار الحقيقتين المحمدية والأحمدية، لكن غلبت نشأته العنصرية المحمدية على الملكية

الأحمدية لتحصيل المناسبة بينه وبين الأمّة فتتأتى الإفادة والاستفادة، ولهذا أمر بقوله: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: الآية 110] فأكّد البشرية بمماثلتهم وبعد ارتحاله عن النشأة العنصرية غلب جانب الروحانية ونقص جانب البشرية ونقص نورانية الدعوة وغلب الظلمة، ولما مضى من رحلته ألف سنة غلب جانب الروحانية وعُدِمت البشرية وانصبغت بصبغ عالم الأمر، فبالضرورة رجع عالم خلقه إلى عالم الأمر واتّحدت المحمدية بالأحمدية، انتهى.

ولقولهم: وقال في موضع آخر: إن الحقيقة المحمدية تبقى شاغرة حتى يأتي عيسى عليه السلام فيعرج إليها فينزلها، فكأنه يقول: إنه حينئذ تغلب بشريّته، فتوجد المناسبة بينه وبين الأمّة، فتتأتى الإفادة والاستفادة حينئذ. وأما قبل ذلك، فلا يصح الإشارة لغلبة روحانيّته، فوجب أن يكون ذلك الفرد هو بزعمه، انتهى.

ولقولهم: وقال في المكتوب التاسع والمائتين من الجلد الأول: ومن هنا يعني من أجل أن بعد مضيّ ألف سنة لا يبقى من التعيّن الجسد أثر نقلوا عن الشرائع المتقدمة أن بعد مضيّ ألف سنة من رحلة كل واحد من أُولي العزم من الرُّسل العظام يبعث رسول آخر، انتهى.

اعلم أن إيضاح أجوبة هذه الاعتراضات الأربعة يظهر بأن نذكر اصطلاحات الشيخ أحمد رحمه الله أولاً ليدفع شبهتهم، وذلك أن النبيّ ﷺ مُرَكّب من عالم الخلق، وهو ما يقبل الخرق والتجزّيء والالتئام، ومن عالم الأمر وهو ما لا يقبل الخرق والتجزيء والالتئام، وربّ عالم خلقه ﷺ العلم وربّ عالم أمره شأن العلم ومنشؤه، فالحقيقة المحمدية هٰهنا عبارة عن حقيقته الإمكانية العنصرية والحقيقة الأحمديّة كناية عن حقيقته الإمكانية الأمرية النورية، والنبيّ ﷺ باعتبار عالم أمره يربي عالم ملكوت السمٰوات والأرض، وباعتبار عالم خلقه يرشد العالم العنصري لمناسبة عالم خلقه بالبشرية وبالعالم العنصري، وبعد انتقاله ﷺ من العالم العنصري إلى العالم الروحاني انتقصت هذه المناسبة بسبب انتقاص آثار النشأة العنصرية كالأكل والشرب والنوم والمرض وغير ذلك من الصفات الجسمانية العنصرية، وبقي فيه من الصفات

البشرية التوجّه إلى العالم السفلي لإرشاد أُمّته، وبعد مضيّ الزمان المديد زال هذا التوجه والالتفات إلى العالم العنصري أيضًا، وهو المراد عنده بفناء جسمه ﷺ، لا الهيكل المخصوص الجسدي كما فهمه المعترض من كلامه واستغرق في بحر مشاهدة جمال ذاته تعالى.

وأراد الشيخ أحمد رحمه الله بالفناء ما أراده القاضي عياض رحمه الله في الشفاء في القسم الثالث فيما يجب للنبيّ ﷺ أو يجوز عليه: فظاهرهم وأجسادهم وبنيتهم متّصفة بأوصاف البشر طار عليها ما يطرأ على البشر من الأعراض والأسقام والموت والفناء ونعوت الإنسانية وأرواحهم وبواطنهم متّصفة بأعلى من أوصاف البشر متعلّقة بالملأ الأعلى، انتهى. والأولياء لا يتوجّهون إلى نعمة الجنّة من الأكل والشرب، ومرادهم في الجنّة رضاء الله ولقاؤه تعالى، فكيف يلتفتون إلى النعمة الدنيوية الخسيسة. وغلبت روحانيته ﷺ على جسمانيّته، وقرب جسمانيته إلى الروحانية، وهذا معنى عروج الحقيقة المحمدية ولحاقها بالحقيقة الأحمدية وخلوّ مكانها ﷺ، مع أن جسده الشريف باقٍ على حاله لا يبلى منه شيء، والمراد بعروج سيدنا عيسى عليه السلام بعد نزوله إلى المقام المحمدي قيامه مقامه ﷺ لإرشاد أُمّته وترويج شريعته وتبعيّته له ﷺ، كما كان ﷺ قبل عروج حقيقته يهدي الخلائق ويرشدهم وبعد ارتحاله ﷺ إلى عالم القدس والرفيق الأعلى انتقص نورانية هدايته وإرشاده وظهرت الظلمة، ولهذا قال بعض أصحابه ﷺ: ما فرغت من دفنه ﷺ إلّا قد وجدت قلبي متفاوتًا، كما ورد في رواية الترمذي عن أنس رضي الله عنه: وما نفضنا أيدينا عن التراب وإنا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا[1].

ويدلّ على هذا المراد من زوال الجسد قوله في المكتوب التاسع ومائتين من الجلد الأول: متى مضى ألف سنة غلب جانب روحانيته على بشريته ﷺ، يعني صفات جسده على نهج لون تمام جانب بشريّته بلون نفس الروح، وانصبغ عالم خلقه بلون عالم أمره، انتهى. وما قال: زال عالم خلقه بالكلّية وفنى

(1) رواه ابن حبان في صحيحه، باب وفاته ﷺ، ذكر إنكار الصحابة قلوبهم...، حديث رقم (6634) والترمذي في سننه، باب في فضل النبي ﷺ، حديث رقم (3605) [5/ 583]؛ ورواه غيرهما.

جسده، وفي قول المعترضين ما يدلّ عليه أيضًا، وهو: وانصبغت بصبغ عالم الأمر وبعض كلامه يفسّر بعضه فإن يلاحظ المنصف لا يعترض عليه البتّة، وهو المراد بقول الشيخ أحمد رحمه الله: وواحد من طوقي العبودية انقطع وزال وأشار بقوله: وقام ألف الألوهية التي بمنزلة البقاء بالله مقام الطوق المنقطع إلى أن الحقيقة الأحمدية مظهر اسم الله المستجمع لجميع صفات الكمال ومرتبة هذا القرب من الله تعالى أفضل من التوجه إلى العالم السفلي العنصري.

فإذا عرفت هذا فاعلم أنه لا يصح قول المعترضين فينزلها، فكأنه يقول: إنه حينئذ. . . الخ، لأنه ما قال رحمه الله هذا، ولا يُفْهم من كلامه، فمن أين يفترونه؟ لأن كلامه لا يدلّ على هذا المعنى، ومعرب ألفاظه: وإذا نزل عيسى عليه السلام وتابع شريعة خاتم الرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام، يعرج من مقامه إلى مقام الحقيقة المحمدية ويصل إليه بتبعيّته للنبيّ ﷺ، ويقوى دينه ﷺ.اهـ. والمراد بزوال أثر التعيّن الجسدي بعد مضيّ ألف سنة وانكسار أحد طوقي العبودية، وهو عبارة عن الميم الأول من اسم محمد، وإقامة ألف الألوهية مقامه، والانخلاع من الجسد إلى الروح زوال هذا التوجّه إلى العالم السفلي للإرشاد والتفاته ﷺ إليه لا إبلاء الجسد كما مرّ بيانه، فلا يردّ اعتراض المعترضين عليه بأن جسده ﷺ لا يَفْنى وهو يقول بفنائه، غاية الأمر أن هذه المسألة كشفيّة ما وردت فيها الرواية.

الجواب الثلاثون لقولهم: وقال في المكتوب الحادي عشر من الجلد الأول المقام الذي كنت رأيت نفسي فيه لما لاحظته رأيت الخلفاء الثلاثة قد عبروا عليه إلى أن قال: وفي أثناء ملاحظة ذلك المقام مرة ثانية رأيت مقامات أُخر بعضها فوق بعض، ولما وصلت إلى مقام فوق المقام السابق علمت أنه مقام ذي النورين رضي الله عنه، وقد مرّ عليه بقيّة الخلفاء، وهذا المقام أيضًا مقام التكميل والإرشاد، وهكذا مقامات فوق ذلك سنذكرها، وظهر لي فوق هذا المقام مقام آخر، فلما وصلت إليه علمت أنه مقام الفاروق رضي الله عنه، وقد مرّ عليه بقية الخلفاء وفوقه مقام آخر هو مقام الصديق الأكبر رضي الله عنه، وقد مرّ عليه بقية الخلفاء، وفوقه لا يُعرف مقام إلّا مقام الرسول ﷺ، وظهر لي في محاذاة مقام الصديق مقام آخر أعظم منه وأنوار لم

يقع نظري على مثله قط، وكان أرفع من مقام الصديق ارتفاع الصفة عن وجه الأرض وعلمت أنه مقام المحبوبين، وذلك المقام ملوّن ومنقّش، ورأيت نفسي ملوّنًا ومنقشًا من انعكاس ذلك المكان فيّ، ووجدت نفسي لطيفًا في لون الهواء أو قطعة غيم منتشرة في الآفاق، ورأيت حضرة الشيخ الكبير ـ يعني الخواجه النقشبند ـ في مقام الصدّيق، ورأيت نفسي في ذلك المقام المُحاذي له المذكور، انتهى.

اعلم أن كلام الشيخ رحمه الله هذا لا محذور فيه، ولا يلزم منه فوقيّته على أصحاب النبيّ ﷺ، ومن يقف على مصطلحاته لا يشتبه عليه ما لا محذور فيه.

واعلم أن الوصول إما نظري أو قُدُميّ، فالنظري ما يصل إليه السالك بالنظر، كوصولنا إلى الشمس والقمر، ونحن على وجه الأرض والوصول القُدُميّ ما يصل إليه من المطلوب بالقدم كما يصل أحد إلى الشمس في السماء الرابعة ببدنه أو روحه، وهو قسمان: أحدهما ملكي مسكني بالأصالة، وهو عبارة عن وصوله إلى المرتبة التي هي مسكنه ومأواه وملكه، والثاني غيره وهو عبارة عن وصوله إلى تلك المرتبة بالتبع والعارية، ولا يكون ملكه ولا يقدر أن يسكنها إلّا برضاء صاحب المرتبة أو بخدمته، فإذا فهمت هذا فاعرف أن مراد الشيخ رحمه الله تعالى من الوصول إلى هذه المقامات بالتبع بطريق العارية أو الخدمة أو بالنظر، فلا محذور فيه على أنه رأى ذلك في واقعة في أثناء سلوكه، ومع ذلك أجاب عنه في كثير من مكاتيبه.

الجواب الحادي والثلاثون لقولهم: وقال في الفصل الثالث من الجلد الأول: إن نهاية كمال ولاية أولياء الأمّة الخاصة الغوثيّة ونهاية كمال ولاية أهل ولاية الأنبياء في أولياء الأمّة الإمامة، ونهاية كمال كمالات النبوّة في غير النبيّ الخلافة، وقد ظهر لي سرّ هذا المعنى، ففي الحقيقة خلافة الشيخين رضي الله عنهما استقامت وكانت في غاية القوّة والعدل؛ لأن جانب كمالات النبوّة فيهما كان أكمل وأغلب من جانب كمالات الولاية وشرعت الفتن في خلافة ذي النورين لكونه برزخًا بين ولاية النبيّ ونبوّته عليه الصّلاة والسلام، وكَمُل الخلل

إلى الغاية في خلافة أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه لغلبة جانب الولاية فيه كرّم الله وجهه، لكنه لمّا كان صاحب مرتبة الإمامة الحقيقية وحدها مستقلاً بها لم يُقْتَل في أمر الخلافة وقُتِل ذو النورين فيه لعدم اختصاصه بأحد المرتبتين، وفي نظري أن ولاية عليّ رضي الله عنه أول الشروع في الإمامة المجرّدة، انتهى.

اعلم أن ذلك ظهر له في كشفه رحمه الله وهو لا يخالف الشرع، فما الذي وجده المعترضون فيه مما يلزم به القبح، مع أني ما وجدت هذه العبارة التي أوردها في الجلد الأول ليست هي فيه بل فيه بيان كيفيات ولايات الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين.

الجواب الثاني والثلاثون لقولهم: قال في المكتوب المائتين والستين من الجلد الأول: ليعلم أن منصب النبوّة خُتِمَ بخاتم الرسل، لكن من كمالات ذلك المنصب بطريق التبعيّة لاتّباعه نصيب كامل، وكانت هذه الكمالات في طبقة الصحابة أكثر، وفي التابعين قليل، ثم اسْتُتِرَت وغلبت ولاية الكمالات الظلّيّة، لكن أرجو أنه بعدما مضت ألف سنة تتجدّد تلك الدولة وتظهر الكمالات الأصلية وتستتر الظلّيّة، انتهى.

اعلم أنه متى اسْتُتِرَت الكمالات التي كانت ظاهرة في زمان النبيّ ﷺ وأصحابه والتابعين رضي الله تعالى عنهم أجمعين الذين هم أئمة خير القرون، كما قال النبيّ ﷺ: **«خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»**[1] الحديث، عادت البدعة والظلمة حتى مضى ألف سنة، وبعد ذلك استفاد كثير من الناس من خدمة الشيخ رحمه الله وأولاده وأخذوا الطريقة والذكر منهم وتعلّموا طريق السلوك حتى شاعت طريقتهم في البلدان والأكناف والأطراف، وهو المراد بقوله: لكن أرجو بعد ما مضت ألف سنة الخ، ونحن نتعجّب على اعتراضات المعترضين من هذه الأقسام الواهية

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب لا يشهد على شهادة جور...، حديث رقم (2508) [2/938]؛ ومسلم في صحيحه باب فضل الصحابة...، حديث رقم (2535) [4/1964]؛ وأول رواية البخاري: «خيركم قرني...» الحديث. وروى الحديث غيرهما.

وعلى عقولهم الفاسدة، وكيف يقبل الناس كلامهم ولا يزجرونهم، وهذا آخر ما تصدّيْنا بجوابه.

ثم ذكر المؤلف هنا بعض كلماته الدالّة على شدّة تمسّكه بالشريعة وغاية وَرَعه ونهاية احتياطه ووصيّته بذلك لأولاده وأتباعه، ونحن أسقطناه لإغناء الإصباح عن المصباح. وينبغي للمنصف المُحقّق أن يحمل كلام الأولياء الذي ظاهره لا يوافق الشرع على محمل حسن أو يسكت، والأقوال التي صدرت عن الأولياء من هذا النمط كثيرة منها في كتاب تلبيس إبليس لابن الجوزي، قول أبي طالب المكي: ليس على الخلق أضرّ من الخالق، وقول أبي يزيد البسطامي: لي معراج كما كان للنبيّ ﷺ، وقوله: سبحاني ما أعظم شاني حسبي من نفسي حسبي، قيل لأبي يزيد: إن الخلق كلّهم تحت لواء محمد ﷺ، فقال: لوائي أعظم من لواء محمد، لوائي من نور تحته الجنّ والإنس مع النبيّين، وقوله: أراد موسى أن يرى الله تعالى وأنا ما أردت، بل هو الذي أراد أن يراني سبحاني.

وقول أبي سعيد الخرّاز: أكبر ذنبي إليه معرفتي إيّاه. قال السرّاج: وأنكرت جماعة من العلماء على أبي سعيد أحمد بن عيسى الخرّاز بألفاظ وجدوها في كتاب صنّفه، وهو كتاب السرّ، ومنها قوله: عبد طائع ما أُذِن له، ولزم التعظيم لله فقدّس ربّه روحه، وقول أبي محمد موسى الفرغاني الواسطي: من ذكر افترى ومن صبر اجترى، إياك أن تلاحظ حبيبًا أو كليمًا وأنت تجد إلى ملاحظة الحقّ سبيلاً، فقيل له: أفلا أصلّي عليهم؟ فقال: صلّ عليهم بلا وقار ولا تجعل لها في قلبك من مقدار.

وقد ذكر أبو حامد الغزالي في كتابه الإحياء أن بعضهم قال: للربوبيّة سرّ لو ظهر لبطلت النبوّة، وللنبوّة سرّ لو كُشِف لبَطُل العلم، وللعلماء بالله سرّ لو أظهروه لبَطُلت الأحكام. قال ابن عقيل: وقد حُكِي عن الشبلي أنه قال: إن محمدًا ﷺ ليشفع في أُمّته وأنا أشفع بعده في أهل النار حتى لا يبقى فيها أحد.

وذُكِر في النفحات أن الشيخ أحمد الغزالي رحمه الله يقول: إن الشيخ أبا القاسم الكركاني كان لا يقول لإبليس إبليس، بل إذا أراد أن يذكر اسمه قال:

إنه خواجة خواجكان سرور مهجوران، وقال عين القضاة الهمداني: سمعت من بركة قُدّس سرُّه يقول: سمعت فتحًا قال: قال إبليس: ما في العالم أحد أشقى مني، قال هذا وبكى. وكتب عين القضاة في المكتوب: لكن من هٰهنا قال حسين بن منصور: ما صحّت الفتوة إلّا لأحمد وإبليس، واحسرتا أما تسمع أنه قال: إن الفتوّة مسلمة لاثنين: أحمد وإبليس، يا فتى هذان الاثنان متّصفان بصفات الكمال وغيرهما ليس إلّا أطفال الطريق.

وقال الشيخ عبد الكريم الجيلي في كتاب المناظرة الإلٰهيّة في بيان الفرق بين الغافر والغفور: إن الغافر هو الذي يغفر الذنوب إلّا الشرك، والغفور هو الذي يغفر الشّرك أيضًا، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النّساء: الآية 48] بيان حال الغافر، و﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزُّمَر: الآية 53]، وهذا القول ناظر بعدم خلود الكفار في النار... الخ.

وقول الشيخ عبد القادر الجيلاني قُدّس سرّه: قدمي هذه على رقبة كل وليّ. وقوله حكاية عن الله تعالى يا غوث أنا مكوّن المكان ليس لي مكان سوى سرّ سرّ الإنسان في القلب، وهكذا صدرت كلمات كثيرة من الأولياء، ناهيك هذا القدر؛ فالتأويل لكلام البعض دون البعض خلاف الإنصاف.

وقال الإمام الشعراني قُدّس سرّه في كتاب العهود والمواثيق: إذا بلغك عن القوم أنه يتكلّم بما يخالف الشريعة فاحمل كلامه على سبعين محملاً، فإذا لم تقنع بذلك نفسك فارجع عليها باللّوْم، وقل لها: يحتمل كلام أخيك سبعين محملاً ولا تحملينه على محمل واحد، فأنت مريضة، انتهى.

أخرج أبو داود عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من أصل الإيمان: الكفّ عمّن قال لا إلٰه إلّا الله لا تكفره بذنب ولا تخرجه من الإسلام بعمل، والجهاد ماض». وأخرج البخاري عن أبي ذرّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لا يَرْمي رجل رجلاً بالفسوق ولا يَرْميه بالكفر إلّا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك». وأخرج الترمذي عن واثلة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تظهر الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويبتليك». وفي البحر في الفتاوى الصغرى: الكفر شيء عظيم، فلا أجعل المؤمن كافرًا متى وجدت رواية أنه لا يكفر، انتهى.

وفي الخلاصة وغيرهما: إذا كان في المسألة وجوه توجب الكفر ووجه واحد يمنع الكفر، فعلى المفتي أن يميل إلى الوجه الذي يمنع التكفير تحسينًا للظنّ بالمسلم، انتهى. وفي التتارخانية: لا يكفر بالمحتمل لأن الكفر نهاية في الجناية، فيستدعي نهاية في العقوبة، ومع الاحتمال لا نهاية تحصل، انتهى. وفي الخلاصة: إنكار الكفر توبة، وجحود الكفر إسلام. وفيها أيضًا: لا يكون الكفر كُفْرًا حتى يعتقده القائل، انتهى.

قال العلماء رحمهم الله: التزام الكفر كفر لا لزوم الكفر، كذا في المواقف والفتاوى. وهذه الروايات في حق من صدرت عنه كلمات الكفر صحوًا، وليست في حق من صدرت عنه حالة السكر، لأنه يعفى، فلا يجوز تكفيره. وقد صرّح الشيخ رحمه الله بسكره في المكتوب الثامن عشر ومائة من الجلد الثالث. اللّهمّ أرنا الحقّ حقًّا وارزقنا اتّباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، اللّهمّ إنا نعوذ بك من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، اللّهمّ وفّقنا لما تحبّ وترضى، سبحانك اللّهمّ وبحمدك أشهد أن لا إله إلّا أنت أستغفرك، اللّهمّ وأتوب إليك وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

قال مؤلف هذه الرسالة المباركة: فرغت من تنسيج هذه الرسالة المسمّاة بـ«عطية الوهاب الفاصلة بين الخطأ والصواب» ثاني ربيع الأول في سنة أربع وتسعين وألف، وأفضل الصلاة والسلام على صاحب الشفاعة واللواء المعقود والكرم والجود. تمّ.

إخطـــار:

قد مرّ في أوائل هامش الجلد الأول الردّ منا والتشنيع على من ينكر وجود البشارة بوجود الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه في الحديث النبوي، فتوهّم البعض أني أردت بذلك بعض فضلاء هذا العصر الذي انتشر بعض تآليفه في الأمصار، وليس الأمر كذلك، فإني لم أوفّق بعد لمطالعة تأليفاته، بل عنيت بذلك بعض وهابية الهنود المتمرّدة المُبْغِضة للإمام خصوصًا وسائر الأئمّة عمومًا، خذلهم الله تعالى ولأجل دفع التهمة حرّرنا ذلك.

الحقير محمد مراد



تَرجَمَة أُحوَال الإمَـام الرَّبَّـاني
أُحمَد الفَارُوقي السَّرهِنْدِي

للشَّيخ محمَّد مرَادْ المنْزلوي المكّيّ

ضَبَطه وصَحَحهُ وعَلّق عَلَيه

الشَّيخ الدكتور عَاصِم إبْرَاهِيم الكيَّالي
الحُسَيني الشَّاذلي الدرقاوي



بسم الله الرحمن الرحيم

يا مَنْ لطائف مِنَنِه متواترة، وعوارف نِعَمِه متوافرة، صلِّ على نبيِّك المأمون، وخازن علمك المخزون، وعلى آله الكرام وأصحابه العِظَام وتابعيهم بإحسان إلى قيام الساعة وساعة القيام.

أما بعد؛ لمّا مَنَّ الله سبحانه وتعالى على عبده العاجز هذا بمحض فضله وكرمه بإتمام تعريب مكتوبات الإمام الربّاني المُجدِّد والمُنوِّر للألف الثاني قُدِّس سرّه أردت أن أذكر نبذًا يسيرًا من أحواله الشريفة ومناقبه المنيفة، وما جرى عليه قُدِّس سرّه ممّا جرى على الأنبياء والأولياء والصُّلَحاء من المِحَن والبلايا من الابتلاء بالحَسَدة وتطاول الجهلاء ومجادلة السُّفهاء، وما صدر في نصرته وإعانته ومديحته من الأعزّة الكُمَلاء والأجلّة الفُضَلاء، بِمَن كانوا في عصره وبعده ليكون ذلك كالمقدمة السابقة للتعريب المذكور أو الخاتمة اللاحقة به، فتتمّ بذلك الفائدة ويتوفّر النفع والعائدة بأن يكون عونًا لمن يطالع التعريب المذكور، فإن أحواله قُدِّس سرّه وإن كانت معلومة ظاهرة للمحبّين الذين هم على طريقته، ولكنها لا تستبعد أن تكون مَخْفِيّة على مَنْ سواهم، خصوصًا من قرع سمعه خلافها من طريق حُسّاده، أو مُبْغِضي طريقته، أو مُعادي خلفائه وأولاده، بل لا يستبعد كونها خَفِيّة على كثير من مُنْتسبي طريقته أيضًا لقصور الهِمَم كما هو المُشاهد الآن.

فأقول وبالله التوفيق وبيده أزِمّة التحقيق: لا يخفى أن طرق اطّلاع الخَلْق على أحوال من مضى وسلف من مناقبه ومثالبه وصلاحه وفساده وعلمه وجهله وهدايته وضلاله وعلوّ كعبه في مقامات القُرْب وتسفُّله متعدّدة كثيرة، منها النظر إلى مذهبه وطريقته وسيرته، إن كان صاحب مذهب وطريقة، ومنها مطالعة آثاره وتأليفاته إن كان صاحب أثر وتأليف كما قيل: شعر:

إن آثارنا تدلّ علينا ... فانظروا بعدنا إلى الآثار

ومنها المراجعة إلى أقوال من تكلّموا في حقّه بالجرح والتعديل إذا كان صدور ذلك عنهم بالإنصاف عاريًا عن الأغراض الفاسدة والاعتساف، فأنا بحول الله تعالى وقوّته أذكر كل ذلك على حِدَة بعنوان المنظرة.

فالمنظرة الأولى في ذكر نسبه الشريف إجمالاً وما وقع في حقّه من البشارة قبل ولادته. أما نسبه الشريف، فهو قُدّس سرّه سيّدنا وسندنا وولّيّ نعمتنا الإمام الربّاني المجدّد والمُنوِّر للألف الثاني مولانا الشيخ أحمد بن الشيخ عبد الأحد بن الشيخ زين العابدين بن الشيخ عبد الحي بن الشيخ محمد بن الشيخ حبيب الله بن الإمام رفيع الدين بن الخواجة نور بن الخواجة نصير الدين بن الخواجة سليمان بن الخواجة يوسف بن الخواجة عبد الله بن الخواجة إسحٰق بن الخواجة عبد الله بن الخواجة شُعَيْب بن الخواجة أحمد بن الخواجة يوسف بن الخواجة شهاب الدين المعروف بفرخشاه الكابلي بن الخواجة نصير الدين بن الخواجة محمود بن الخواجة سليمان بن الخواجة مسعود بن الخواجة عبد الله الواعظ الأصغر بن الخواجة عبد الله الواعظ الأكبر بن الخواجة أبي الفتح بن الخواجة إسحٰق بن الخواجة إبراهيم بن الخواجة ناصر ابن سيّدنا عبد الله ابن سيدنا أمير المؤمنين عمر الفاروق رضي الله عنهما وعنهم أجمعين، وكان آباؤه الكِرَام وأجداده العِظَام كلُّهم من أكابر العلماء الأعلام وصُلَحاء فُضلاء الأنام.

وأما البشارة الحاصلة في حقّه قبل وجوده، فاعلم أن أمر البشارة أغلبه مبنيّ على الظن الغالب، فإنها لا تكون بأنّ شخصًا اسمه فلان واسم أبيه فلان وحليته كذا وقبيلته كذا يظهر في زمان كذا وفي مكان كذا، بل يذكر فيها جملة من سيرة المبشر به أو زمانه أو قبيلته، كالبشارة بوجود المهديّ رضي الله عنه، ولذا لا يزال يوجد مَن يدّعي أنه هو المهدي الموعود وليس كلّهم يدّعي ذلك بالكذب والباطل، بل لوجود بعض العلامات الواردة في حقّه فيه، وكالبشارة الواردة في حقّ الأئمّة المجتهدين مثل: «لو كان الدين في الثريّا لتناوله رجال»، وفي رواية: «رجل من أبناء فارس»[1]، ومثل: «يوشك أن يضرب الناس»، وفي

(1) رواه الإمام مسلم في صحيحه بلفظ: «لو كان الدين عند الثريا لذهب به رجل من فارس أو قال من أبناء فارس حتى يتناوله»؛ ورواه أحمد في المسند، حديث رقم (8067) [2/ 308]؛ =

رواية: «يوشك الناس أن يضربوا أكباد الإبل يطلبون العلم فلا يجدون عالمًا أعلم»، وفي رواية: «أفقه من عالِم المدينة»[1]، ومثل: «لا تسبُّوا قريشًا فإن عالمها يملأ طِباق الأرض علمًا»[2]؛ فإن المحقّقين أهل الإنصاف حملوا الأول على البشارة بوجود الإمام الأعظم أبي حنيفة، والثاني على البشارة بوجود إمام دار الهجرة مالك بن أنس، والثالث على البشارة بظهور الإمام الشافعي رضي الله عنهم أجمعين. وكل ذلك بحسب الظنّ الغالب حيث وُجدت الأوصاف المذكورة فيهم، بل لا يُسْتبعد حصول اليقين بذلك للمحبّين والمُنْكِر المُعانِد الشقيّ لا يزيده ذلك إلّا إنكارًا وعنادًا واستكبارًا، كما أننا لا نزال نجد المتعصّبين إلى الآن يُنْكرون حمل الحديث الأوّل على البشارة بالإمام الأعظم رضي الله عنه، بل المتوغّل في الجهالة والمُتَنَكِّص على عقبيه في تيْه الضلالة لا يستنكف من التفوّه بالإنكار على وجود القائل بذلك، وهذا لا يضرّ إلّا نفسه، فإن القائل بذلك ليس من أتباع الإمام الأعظم رضي الله عنه فقط، بل المحقّقون من غيرهم كالسيوطي وابن حجر الهيتمي والشعراني مُصَرِّحون بذلك، فهذا المُنْكِر إن اطّلع على ذلك ومع هذا أنكر وجود القائل به، فهو مُعاند غَوِيّ سابح في بحر العناد والسفاهة، وإن لم يطلع فهو جاهل غبيّ خائض في تيّار الغفلة والجهالة، فحقّه أن يسكت ويأكل ويشرب وينهق مع ما ينهق دون أن ينعق بهذا الكلام ويسلم العلم لأهله، بل نقول: إن من الناس من يُنكر وجود المهدي مع ورود أحاديث كثيرة في حقّه، حتى قيل: إنها بلغت حدّ التواتر المعنوي، ولذا قيل: إن من أنكر المهدي فقد كفر.

وهذا كما أن أهل الكتابين يُنكرون وجود البشارة في كتبهم بوجود النبيّ ﷺ مع كونها ملآنة بها عند المؤمنين بيقين، فإذا عرفت هذا فاعلم أن الأمر في حق الإمام الربّاني رضي الله عنه أيضًا كذلك، فما وافقه قُدّس سرّه

= ورواه غيرهما.

(1) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب العلم، حديث رقم (307) [1/ 168]؛ ورواه الترمذي في سننه (18 باب ما جاء في عالم المدينة) حديث رقم (2680) [5/ 47]؛ ورواه غيرهما.

(2) رواه الطيالسي في مسنده، عن عبد الله بن مسعود، حديث رقم (309) [1/ 39]؛ والشاشي في المسند، ما روى أبو الأحوص، حديث رقم (728) [2/ 169]؛ ورواه غيرهما.

بالقرائن حمله المُحِبّون عليه قُدِّس سرّه بغلبة الظنّ، والمُنْكِر لا يزيده ذلك إلّا إنكارًا وعنادًا واستكبارًا، وتصديق المصدق نفعه راجع إليه، وكذا إنكار المنكر ضرره عائدٌ عليه، ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: الآية 7]، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝﴾ [الزلزلة: الآيتان 7، 8]، والمؤمن يجب عليه حُسْن الظن بأيّ مؤمن كان إذا كان مستور الحال؛ فكيف بالأولياء الأخيار الذين صنّف في مناقبهم مجلّدات كبار، وملؤوا الدنيا بأنواع الآثار، ولم يزل أتباعهم قدوة خير الأمم في جميع الأقطار، ونوّروا الدنيا كلّها بأنوار المعارف كشمس النهار؟ والله الموفّق والمُعِين وهو الآخذ بنواصي الأخيار والأشرار.

البشارة الأولى: قوله ﷺ: «**يكون في أُمّتي رجل يقال له صلة يُدْخِل الجنّة بشفاعته كذا وكذا**»[1]، أورده الإمام السيوطي في جمع الجوامع، ووجه حمل هذا الحديث عليه أنه قُدِّس سرّه لما طَبّق طريقة الصوفية القائلين بوحدة الوجود على الشريعة الغرّاء تطبيقًا شافيًا وبيّنها بيانًا وافيًا في بعض مكاتيبه، قال في آخره: الحمد لله الذي جعلني صلة بين البحرين، ومُصْلِحًا بين الفئتين، واشتهر بهذا اللّقب فيما بين أصحابه، ولهم اطّلاع على الحديث المذكور، ولم يروا أحدًا حمله على أحد على ممرّ الدهور، ورأوا في الإمام رضي الله عنه لياقة بتلك المنقبة الشريفة مع ما سمعوا منه قُدِّس سرّه مرارًا بأن النبيّ ﷺ بشّره في بعض الحضرات والوقائع بشفاعة كذا وكذا، فحملوا الحديث المذكور عليه قُدِّس سرّه، وأي استبعاد في ذلك وأيّ محذور فيما هنالك، بل هذا الوصف أظهر فيه قُدِّس سرّه من الشمس وأبْيَن من الأمس، فإن صحّ هذا الحمل فيها وإلّا فلا يُلام أحد على حسن ظنٍّ بوليٍّ من الأولياء العِظام رضي الله عنهم أجمعين. شعر:

زعم المُنجّم والطبيب كلاهما ... لا تُحشر الأجساد قلت إليكما

إن صحّ قولكما فلست بخاسرٍ ... أو صحّ قولي فالخسار عليكما

(1) رواه ابن المبارك في الزهد، حديث رقم (864) [1/ 297]؛ والذهبي في سِيَر أعلام النبلاء، ترجمة (ابن أشيم) [3/ 495]؛ ورواه غيرهما.

قال شيخنا قُدِّس سره في هامش المناقب الأحمدية بعد ذكر الحديث المذكور: قد راجعت النسخ القديمة من جمع الجوامع للسيوطي وتبويبه كنز العمّال لعلي المتقي، فوجدت الحديث فيها كذلك مطلقًا، ثم اطّلعت على الخصائص الكبرى للسيوطي فوجدته هناك بلفظ صلة بن أشيم مقيّدًا، فإن كانت هذه الزيادة من الرُواة أو النُسّاخ، فالاحتمال باقٍ، وإن كان من تشعّب طرق الحديث فلا مجال لأحد في الكلام، وهُمْ ـ يعني أصحاب الإمام رضي الله عنه ـ لعدم الاطّلاع عليها غير مَلُومين، وقد وقع مثل ذلك لكثير من الشرّاح فتنبّه. اهـ. بتغيير يسير.

البشارة الثانية: ما نُقِل عن شيخ الإسلام أحمد الجامي روَّح الله روحه ونوَّر ضريحه قال مولانا الجامي قُدِّس سرّه في نفحات الأُنس ما خلاصة معربه: قيل لشيخ الإسلام أحمد الجامي قُدِّس سرّه: إنّا قد اطّلعنا على مقامات المشائخ ووقفنا على ما صدر عنهم من الحالات والكرامات ولا نعرف واحدًا منهم ظهر منه مثل ما صدر عنك من الحالات، فقال: ما من رياضة فعلها وليّ من الأولياء إلّا وقد فعلت جميعها وقت الرياضة وزِدْتُ عليها أيضًا، فكل حال من الأحوال، وكل كيفية من الكيفيات أعطاها الحقّ سبحانه أولياءه متفرّقة أعطاها أحمد ـ يعني نفسه ـ بفضله وكرمه مجتمعة، وإذا ظهر في كل أربعمائة سنة شخص اسمه أحمد يكون آثار عناياته تعالى في حقّه أيضًا مثل ذلك يراه جميع الخَلْق. اهـ.

وبَيْن وفاة الشيخ أحمد الجامي وولادة الإمام الربّاني قُدِّس سرّهما أربعمائة وخمس وثلاثون سنة، وحيث لم يظهر بينهما من الأولياء أحد بهذا الاسم وبتلك الأوصاف حملوا كلام الشيخ على الإمام رضي الله عنهما بموجب غَلَبة الظن، وقد تأيّد هذا بما وقع في بعض مقامات شيخ الإسلام أحمد الجامي قُدِّس سرّه، حيث قال فيها: قال ـ يعني الشيخ ـ: يظهر من بعدي سبعة عشر نفرًا مثلي كل منهم يسمّى باسمي وآخرهم يظهر بعد الألف، ويكون هو أكبرهم وأعظمهم، والله سبحانه أعلم.

البشارة الثالثة: ما نُقِل عن الشيخ خليل البدخشي قُدِّس سرّه، نُقِل عنه أنه قال: سيظهر في سلسلة خواجكان قَدَّس الله أسرارهم شخص كامل من الهند يكون عديم النظير في عصره، ويا أسفي على أني لا أدرك زمانه. اهـ.

وحيث إنه لم يظهر في الهند أحد في طريقة خواجكان ظهور الإمام الربّاني حمل عليه بالضرورة، والله سبحانه أعلم. وفي هذا القدر كفاية للمسترشد والله سبحانه الموفق.

المنظرة الثانية في ولادته ونشأته قُدّس سرُه: وُلِد قُدِّس سرّه سنة 971 إحدى وسبعين وتسعمائة في بلدة سهرند ـ بكسر السين المهملة وسكون الهاء وكسر الراء وسكون النون والدال المهملة ـ كذا ضبطه في سبحة المرجان، وقال فيها: إنها بلدة عظيمة بين دهلي ولاهور على الشارع.اهـ.

وقال في الروضة القيُومية: إن محل بلدة سرهند كان أولاً غابة مَهُولة مملوءة بالسباع، وكان اسمها بالهندية سيهرند، يعني غابة الأسود، فإن سيه بالهندية الأسد، ورند الغابة، ولهذا يكتب في ضرب السكة سيهرند، وكان أول بنائها في عهد السلطان فيروز شاه، وأوّل من توطّن بها الإمام رفيع الدين المذكور الجدّ السادس للإمام الربّاني قُدّس سرّه، فسُمّيت البلدة بهذا الاسم واشتهرت به.اهـ.

يعني أن اسمها طابَقها ظاهرًا وباطنًا، فإنها لو كانت أوّلاً غابة الأسود الظاهرة، فقد صارت بعد غابة أسود عالم الحقيقة والمعاني، وأفاد أن استعمال هذا الاسم على الأصل مخصوص بالسكة، وهو كذلك فإنه لا يستعمل إلّا بتقديم الراء على الهاء وإسكانها، أو بحذف الياء وفتح الراء هكذا سهرند، واستخرجوا تاريخ ولادته من لفظ خاشع 971، وعُرِض له قُدّس سره بعد أيام من ولادته ما يعرض على الصبيان من المرض، فجاء به والده شيخه شاه كمال الكيهتلي القادري فقال له شيخه: لا تخف إنه يكون ذا عمر طويل وصاحب أحوال سَنِيّة وأخذه من يده بكمال الجَذْبة وجعل لسانه في فيه، فأفاض عليه وقتئذ فُيُوض النسبة القادرية من لسانه، فنشأ في حجر تربية والده محلى بدُرَر الأدب وأخذ عنه مبادىء كتب العرب وحفظ في صغر سنه القرآن وأسكت بتحبير صوته سواجع البستان، واستظهر عدّة من المُتُون في أنواع العلوم مع إتقان المنطوق منها والمفهوم، ثم رحل إلى سيالكوت فقرأ هناك على مولانا كمال الدين الكشميري بعض كتب المعقولات في غاية التحقيق والتدقيق.

وكان المذكور من فحول علماء عصره صاحب تحقيق وتدقيق متّصفًا بالورع والتقوى، وكان له شرب تامّ من مواجيد القوم أيضًا، وهو أستاذ مولانا عبد الحكيم السيالكوني، وأخذ الحديث عن مولانا يعقوب الكشميري الصرفي، وكان هو من كبار مُحَقّقي زمانه، وقد أخذ الحديث في الحرمين المحترمين من كبار المحدثين؛ كابن حجر المكّي، وعبد الرحمٰن بن فهد المكي، وكان من خلفاء مولانا حسين الخوارزمي الكبروي، قيل: إنه بايعه في السلسلة الكبرويّة وأخذ هذه الطريقة بواسطته وحصل إجازة كتب الحديث والتفسير وبعض كتب الأصول؛ كالتفاسير الثلاثة للواحدي، وأسباب النزول وتفسير البيضاوي وسائر مؤلفاته كمنهاج الوصول والغاية القصوى وغيرهما، وكالجامع الصحيح للبخاري مع جميع مؤلفاته الأُخر، وكالمشكاة وشمائل الترمذي والجامع الصغير للسيوطي وغير ذلك من العالم الربّاني القاضي بهلول البدخشاني، وأخذ عنه أيضًا المسلسل بالأولية: «الراحمون يرحمهم الرحمٰن تبارك وتعالى، ارحموا مَنْ في الأرض يرحمكم مَن في السماء»[1].

وقد أخذ القاضي المذكور الحديث من كبار علماء الحرمين المحترمين؛ كالعلّامة المحدّث عبد الرحمٰن بن فهد المكي، ولم يبلغ من العمر سبعة عشر سنة إلّا وقد فرغ من تحصيل العلوم المدرسية وتحقيقها وتشييد بنيان مولويّته بأحكام المعقول والمنقول والفروع والأصول وتدقيقها، وقد استفاد في أثناء تحصيله الطريقة القادرية والششتية من والده الماجد، فأجازه في هذين الطريقين، وشهد له بحصول أنوار الفريقين، فاشتغل في حياة والده الماجد بدرس العلوم الظاهرية للطالبين وتعليم الطريقة أيضًا للسالكين، وصنّف في تلك الأثناء بعض الرسائل؛ كالرسالة التهليلية ورسالة ردّ الروافض ورسالة إثبات النبوّة، وكان له يدٌ طُولَى في العلوم الأدبية، وكان من الفصاحة والبلاغة وسرعة الاستحضار وشدّة الذكاء والفِطْنة بجانب عظيم ومكان مكين، روي أنه قُدّس سرّه أتى مرة في تلك الأثناء منزل أبي الفيض العلامي الشيعي المتخلص بالفيضي، وكان المذكور وقتئذ مشتغلاً بتصنيف تفسير بكلمات غير منقوطة،

---

(1) رواه الترمذي في سننه، باب ما جاء في رحمة المسلمين، حديث رقم (1924) [4/ 323]؛ وأبو داود في سننه (66 باب في الرحمة) [4/ 285]؛ ورواه غيرهما.

وفي معاونته في الأمر المذكور عدة من العلماء المتبحّرين؛ كمولانا جمال الدين التاوي وغيره، فلمّا رآه الفيضي سُرّ به، وقال: قد سُدّ علينا الآن أبواب الكلام وتعسّر الإتيان بعبارات غير معجمة تفصح عن المرام، والتمس منه أن يحرّر بعض عبارات النوع المذكور يناسب المقام، فأخذ القلم في الحال وشرع في التحرير من غير تفكّر بالبال، وكتب أشياء كثيرة من النوع المذكور بعبارات أنيقة مع كمال البسط في المقال، فتحيّر من كمال فصاحته وبلاغته وسرعة استحضاره وبداهته الفحول من الرجال، واتّفقت كلمتهم على أنه مؤيّد من عند المبدأ الفيّاض المُتعال، فصار الفيضي بعد ذلك كلما استعصاه الكلام في إفادة المرام يستمدّ من بحره الزاخر حتى أنهاه على الوجه المذكور إلى الآخر، وكان ذلك قبل ملاقاته الخواجة محمد الباقي بالله قُدّس سرّه.

المنظرة الثالثة في استفادته الطريقة النقشبندية من شيخه الخواجة محمد الباقي بالله قُدّس سرّه وبلوغه فيها مرتبة الكمال والتكميل ووصوله إلى ما يعجز عن إدراكه العقل العقيل وتنويره بنور الطريقة العالم من العلماء الفضلاء وأرباب التاج والتخت[1] والإكليل.

اعلم أنه قُدّس سرّه مع وجود هذه الكمالات والفضائل كان عطشان القلب خصوصًا للطريقة النقشبندية، وكان قد طالع بعض الرسائل المؤلّفة فيها، وكان كثير الاشتياق لملاقاة واحد من أربابها، ولما توفي والده الماجد عام غز خرج بعد سنة من وفاته من منزله بنيّة أداء الحجّ، ولما دخل بلدة دهلي كرسي سلطنة بلاد الهند، ووصل هناك إلى صحبة شيخه الشيخ محمد الباقي بالله قُدّس سرّه بدلالة بعض أصحابه جذبته جذبات العناية الأزليّة ودلّته إلى الدولة السرمدية وأنشده لسان السعادة الأبدية هذه الأشعار الحُكْمية: أشعار:

يا مَن يروم طواف البيت بالجسد ... والجسم في بلد والروح في بلد
ماذا تروم وماذا أنت فاعله ... مُبَهْرجًا في التُقى للواحد الصَّمد
إن الطواف بلا قلب ولا بصر ... على الحقيقة لا يُشْفي من الكمد

(1) التُّخت: وِعاء تُصان فيه الثياب، فارسي وقد تكلمت به العرب. (لسان العرب). وفي اللهجة العاميّة التخت هو السرير، ولعل هذا المعنى هو المقصود.

آخـــر:

بدل طوافك بالمطاف بلا صفا بطواف حضرة كعبة الآمال

فتنبّه على تلك الدقيقة وانكشف له ما لم ينكشف قبل من الحقيقة، فاستعمل أفكاره الألمعيّة، واستنسب أن يُؤخر ما في قلبه من النيّة حيث لم تكن نيّته على سبيل الفرضية، بل كانت لمجرد الأشواق القلبية، فبايعه بعد يومين من ملاقاته في الطريقة النقشبندية العَليّة ولازم صحبته السَّنِيّة ورجح طلب صاحب البيت على طلب البيت، وترنّم لسان حاله بهذا البيت:

إليك يا منيّتي حجي ومُعْتَمري إن حجّ قوم إلى تُرْبٍ وأحجار

وجدّ في الطلب لمقتضى استعداده العالي ولم يضيّع دقيقة بلعلّ وليت، وتفرّس فيه شيخه المذكور كمال القابلية وعلوّ الفطرة وسموّ الاستعداد، بل وجد فيه جميع الأوصاف التي كان مبشّرًا بوصول الموصوف بها إليه وتحقّق أنه هو هذا الشخص المُبَشّر بلقائه وارث كمالاته والزيادة عليه، فبذل في حقّه أنواع الالتفات وأصناف العنايات وبلغه بقوّة جذبه بفضله سبحانه وتعالى من الكمالات إلى أقصى الغايات، وظهر له ببركة توجّهاته السَّنيّة المصادفة لمحلّها في مدّة يسيرة من الحالات ما لا يظهر لغيره عشر عشيره في عدة من السنوات، فبعد مضيّ شهرين وعدّة أيام على هذا الحال، وحصول غاية السعي وبذل المجهود من الطرفين بهذا المنول أجازه شيخه في الطريقة المذكورة إجازة مُطْلقة تامّة وأمره بالرجوع إلى وطنه وإفاضته الفُيُوضات إلى قلوب العامّة، وأحال تربية كثير من مُريديه عليه وضمّهم وقت انصرافه إلى وطنه إليه، فجلس بعد عوده إلى بلده على مسند الإرشاد ودِسْت[1] الإفادة وشرع في هداية الطالبين وتربية السالكين بكمال النشاط في الإرشاد والإفاضة، فاجتمع لديه كثير من المستعدّين حتى صار شيخه بُعَيْد ذلك يستفيد منه الفيوضات الجديدة كسائر المستفيدين، وليس هذا كلامًا صادرًا على سبيل المبالغة والإطراء، بل أمرٌ واقع مشهور عند أربابه بلا امتراء، وطار صيت إرشاده في أيام قلائل مسير القطا والأمطار

(1) الدَّسْت: الأرض. طلع فيها النبات. والدَّست من الثياب والورق وصدر البيت. (القاموس المحيط).

وانتشرت كمالاته وقوّة إفاضته في سائر الأقطار، فتهافت عليه العلماء والفضلاء والكُمّلاء والأُمراء من جميع الديار لاقتباس الأنوار، فبذل لهم أنواع العنايات حسب الاقتدار وشمّر عن ساق الجدّ في إحياء الشريعة المُحَمّدية وتحزّم في إعادة أنوار السُّنن النبويّة، وانتصب لإقامة شعائر الطريقة الأحمديّة، وكان يُحرّض أصحابه كلُّهم بالتمسك بعروة الشريعة العليّة وإحياء السنة النبوية السَّنِيّة والعمل بما فيها، والاجتناب عن كلّ ما ينافيها، كما هو أساس الطريقة النقشبندية، وكان يحثّ على ذلك أمراء عصره وحُكّام دهره بواسطة مكاتيب عديدة حتى استنارت أقطار الهند وما يليها بنور السُّنَّة وعادت الشريعة المحمدية بعد أن كادت تعوجّ مستقيمة سديدة، وقد نشأ في حجر تربية خلفاء علماء أجلّاء وكُمّلاء فُضلاء أدلّاء، كلٌّ واحدٍ منهم رافع رايات العلوم وألوية الولاية وجامع أشتات الفنون وناصب بنودها رواية ودراية، فقام هؤلاء الكرام، وكذا أولاده العظام بعده بنشر طريقته العليّة وبثّ سيرته السَّنيّة بين الخاص والعام حتى انتشرت أنوار فَيْضه في أسرع الأوقات إلى أطراف العالم وعمّت أسرار فضله مَنْ أدركته العناية الأزليّة من بني آدم، ولا زالت إلى يومنا هذا تتزايد يومًا فيومًا بواسطة خلفاء خلفائه وأولاد أولادهم وهلمّ جرًّا بحيث لم تبقَ مملكة من ممالك الإسلام إلّا وفيها من ينوّرها بطريقته من الأعلام بفضل الله الملك العلّام ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

المنظرة الرابعة: في بيان من أثنى عليه من مُعاصريه وشهد له بأنه مُجَدِّد الألف الثاني، فأول من أثنى عليه شيخه الخواجة محمد الباقي بالله، وقد تقدَّم أنه صار يستفيد منه كبعض المستفيدين، وذلك فإن الإمام قُدِّس سرّه وإن كان استفاد من شيخه المذكور الطريقة النقشبندية، إلّا أن الحق سبحانه منحه أعلى من ذلك وأزيد مما هنالك، كما بيّن ذلك في بعض مكاتيبه، ولهذا سُمّيت الطريقة الخاصة به الطريقة المجدّدية، فكان شيخه يستفيد منه تلك الطريقة الخاصة به، وكان يُعَظِّمه تعظيم المريد شيخه حتى نُقِل: أنه أتى حجرته وقتًا من الأوقات فصادفه في الاستغراق فأراد الخادم إخباره بمجيئه فمنعه وردّ الباب بهينة ورجع يمشي الهُوَيْنا خوفًا من انقطاع استغراقه، وقعد خارج الحجرة إلى أن قام الإمام وسأل: مَن بالباب؟ فقال: الفقير محمد الباقي، فخرج مسرعًا

وقام بكمال الأدب والتواضع وقد بشّره ببشائر كثيرة رآها في وقائعه وكتب يمدحه بعلوّ الاستعداد وكمال القابلية إلى بعض أحبّائه ووصّى جميع مريديه وقت موته باتّباعه.

نُقِل عن المير محمد نعمان الذي هو من أعاظم أصحاب الخواجة محمد الباقي، ومن أكابر السادات: أن الخواجة لما خصّصه بعد التعميم باتّباع الإمام قال له على سبيل التحرّج والاستنكاف من اتّباعه: إن توجه قبلة الفقير ليس إلّا جنابكم، فقال له الخواجة بالخشونة: ما تظنّ أنت في الشيخ أحمد، فإنّ ألوفًا من النجوم أمثالنا تتلاشى وتضمحلّ في أشعة أنوار شمسه.اهـ. فلو لم يوجد في حقّه قُدِّس سرّه إلّا هذه الشهادة الصادقة من شيخه لكَفَتْ دليلاً على فضله الشامخ وقدمه الراسخ، فكيف إذا وُجِد غيرها من شيخه ومن كُمّلاء مشائخ عصره وفُضلاء علماء دهره؟ أمّا ما صدر من شيخه في مدحه، فلنثبت هنا بعضًا منه للاستشهاد:

فمنها ما كتبه إلى بعض أحبّائه من كبار وقته بهذا العنوان في أوائل وصوله إلى صحبته: إن رجلاً من سهرند يُسمّى الشيخ أحمد كثير العلم قويّ العمل، وقد صحبه الفقير أيامًا وشاهد من أحواله عجائب كثيرة يشبه أن يكون شمسًا يتنوّر العالم منه، الحمد لله قد حصل لي اليقين بأحواله الكاملة وله أقرباء وإخوة كلّهم من صُلَحاء الرجال ومن طبقة العلماء، وصحب الداعي عدة منهم ووجدهم من الجواهر العالية، ولهم استعدادات عجيبة، وللشيخ المذكور أولاد وأطفال كلهم أسرار إلهيّة، وبالجملة: إنه شجرة طيّبة أنبته الله نباتًا حسنًا.

ومنها ما بشره به مشافهة مرارًا بأنه قطب الوقت وقطب الأقطاب الذي رآه في المنام عند إجازة شيخه الخواجكي الأمكنكي ووقت نزوله في بلدة سهرند مرارًا كثيرة وهي مشهورة، وفي ذيل تعريب الرشحات لجامع هذه الحروف وغيره أيضًا مسطورة.

ومنها ما قال في حقّه أيضًا: إني قد تشيّخت في هذه السنين الثلاثة أو الأربعة ولعبت أيامًا، الحمد لله لم يكن لعبي هذا وفتحي هذا الدكان بلا فائدة، حيث ظهر مثله في عرصة الوجود.

ومنها ما قال: إني جئت بهذا البذر من بخارى وسمرقند وزرعته في أرض الهند الكثيرة البركة، وكان سعينا واجتهادنا في تربية الطالبين إلى أن تبلغ معاملته إلى انتهائها، ولما فرغت من أمره جررت نفسي من المشيخة وأحلت الطلاب عليه.

ومنها ما كتب إليه يبلغ الله تعالى إلى مرتبة الكمال والإكمال.

وللأرض من كأس الكرام نصيب

لا تَكَلُّف، وما هو حقيقة الحال يُكتب، قال الشيخ الأنصاري: أنا مريد الخرقاني، ولكن لو كان الخرقاني في هذا الوقت لكان مريدًا لي مع كونه شيخي، فإذا كانت صفة هؤلاء الذين تخلّصوا عن الصفة هكذا، فلم لا يبذل أسارى آثار الصفات أرواحهم في لوازم الطلب، ولِمَ لا يتوجّهون إلى مكان وصل منه إلى مشامِّ أرواحهم رائحة المطلوب وتوقّفنا وإهمالنا الآن ليس من جهة الاستغناء وعدم المبالاة، بل ننتظر الإشارة. شعر:

إذا ما أراد الطمع مني منبتي لقلت على رأس القناعة أحجار

هذا هو حقيقة الحال التي تحرّر يهدينا الله سبحانه لما هو المهمّ ويُخَلِّصنا من العجب والغرور وبقيّة المقصود أن جناب معدن السيادة المير صالح النيسابوري سلّمه الله قد أظهر الطلب، وحيث كان الوقت غير مقتضٍ لهذا لم يرَ تضييع أوقاته من مقتضى الإسلامية؛ فلا جرم أرسلناه إلى صحبتكم يصير إن شاء الله تعالى محظوظًا على قدر استعداده ويجد تمام اللطف وكمال التوجّه.

ومنها ما كتبه أيضًا يبلغ الله سبحانه الفقراء والمساكين العاجزين ببركات الأولياء المنتخبين إلى مقاصدهم: منذ مدّة لم يصدر مني عرض الخلوص على ديوان ملجأ الولاية. نعم يمكن أن تجعل هذه الكلمة الواحدة قاصدًا لجناب صادق الحال، الحمد لله بتصوّر هذا القسم وماذا أكتب غيره، فإن تحرير كلمات الدراويش إلى حضرتكم من غاية عدم الحياء وحكاية الأوضاع الصورية لا مناسبة لها أصلاً، والحاصل ينبغي لنا أن نعرف حدّنا وأن نحترز من الفضول والمطلوب الدعاء.

ومنها ما كتبه إليه أيضًا ليكن مسند الأرشد أوسع وأنور: إن مسودّة الرسالة التي في طريقة خواجكان جعلها الخواجة برهان كحل البُسْر[1] للمشتاقين الحمد لله أنها عالية جدًّا ولطيفة، ولكن ربما يخطر في البال التماس تفتيش أحوال حضرة الخواجة أحرار قليلاً لعله يظهر أمور أُخر أيضًا، ولما تشرّفت بمطالعة تلك اللطيفة الغيبية في ذاك اليوم خطر خاطر في أثناء النعاس أن طرف اليسار، أعني عالم الأرواح يتعلق به فلما حضرت حصل التردد من جهة ضعف الحافظة أنه من كان المشار إليه، ولكن الظنّ الغالب أن الإشارة كانت إلى حضرة الخواجة أحرار قُدّس سرّه لا بدّ يرى ذلك في طبقات واحد من الأئمّة يمكن أن يظهر شيء.

وأيضًا يُفْهم من كلماته معنى العصمة.

وأيضًا يظهر في بعض المنامات أنه خُلِق في أصل الخلقة مندرج النهاية في البداية. ما العجب أنه لو كان مخلوقًا في القابلية المطلقة التي هي فوق نقطة العلم وتحت مقام الوحدة نرجو أن تبصر هناك أيضًا.

وأيضًا نرجو أن تنظر إلى مقام الفاروق رضي الله عنه أنه دخل المقام المذكور على طريق النزول أو جاء من طريق آخر، ولعلّ المخلوقية فوق النقطة صارت سببًا لعدم التقرّب من ذاك المقام نرجو التفتيش والعناية والخاطر منتظر جدًّا.

والتماس آخر نرجو التوجه أيضًا في باب فناء البشرية أن له مقامًا في غير مقام الفناء في الله، أو أنه منحصر في الدخول في هذا المقام والجماعة الذين يظهرون أنهم مخلوقون فوق هذا المقام الظاهر أنهم محفوظون هكذا، ولا حاجة لهم إلى تجشم الكسب في ظهور فناء البشرية.

وأيضًا إن الذين فنوا وانمحوا تحت مقام الوحدة وإن ساروا من طريق الجَذْبة قيوميّة أو غيرها أيضًا محفوظون من العود إلى وجود البشرية.

---

(1) البُسْر: أوله طلع، ثم خلال ثم بلح، ثم رطب، ثم تمر، الواحدة بُسْرة والجمع بسرات، وأبْسَر النخل: صار ما عليه بسرًا. (الصحاح للجوهري).

وأيضًا نرجو النظر إلى بيت الجبروت الذي هو مقام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ينبغي أن يكون هناك أيضًا مقام يجعل أمينًا من العود المذكور.

وأيضًا نرجو إجالة النظر في مقام الفناء في الله، لعلّ له طريقًا آخر غير هذا الطريق الظاهر بالتفصيل، ولعلّ بعض الأعزّة دخلوا من ذلك الطريق وبقيّة الأحوال المتفوقة معلومة له كما ينبغي وأسامي مقامات كثيرة وعلاماتها غير معلومة لنا، فكيف يمكن أن نكتب التعبيرات إن شاء الله يكون ما هو المرضي والسلام على محمد صادق وجميع الإخوان والأعزّة. اهـ. وبهذه الفقرة الأخيرة يُعْلَم عُلُوّ المقامات المحمدية الخاصة به.

ومنها ما كتبه في أواخر عرائضه التي كان أرسلها إليه لبيان أحواله وهي مندرجة في أول الجلد الأول من المكتوبات وما ذُكِر من الكشوف طريقة مرضيّ جدًا، وصحيح ومستقيم ومستحسن حيث ينكشف أشياء بلا قول ولسان ولا حاجة إلى بيان جميع الوجوه وما يلزم بيانه بين وقت الملاقاة هذا شهادة شيخ ومدحه.

وأما غيره، فهم كثيرون لا يَعْلم عددهم إلّا الله. وأما الكُبَراء منهم المشار إليهم بالبنان، فكالشيخ فضل الله البرهانفوري ومولانا حسن الغوثي ومولانا عبد الحكيم السيالكوتي ومولانا جمال الدين التاوي ومولانا يعقوب الصرفي شيخه ومولانا حسن القباداني ومولانا ميركشاه ومولانا مير مؤمن البلخيين ومولانا جان محمد اللاهوري ومولانا عبد السلام الديوكي والشيخ عبد الحقّ المحدث الدهلوي في آخر أمره بعد أن ضيع في مخالفته برهة من عمره وغيرهم من فضلاء دهره وكُمَلاء عصره، كل أولئك أثنى عليه بما هو أهله وردّ على مَن أساء الأدب في حقّه، وتكلّم بما لا يليق بشأنه، وكلهم كانوا يتهافتون على معارفه ويستروحون بعوارفه.

أما الشيخ فضل الله البرهانفوري، فقد نُقِل عنه نقلاً صحيحًا أنه كان يبتهج بسماع أوصافه الجميلة ويلتذّ باستماع معارفه الجليلة ويقول: إن كلّ ما يقوله قطب الأقطاب ـ يعني الإمام قُدِّس سرّه ـ ويكتبه من أسرار الحقيقة صحيح وأصيل وهو صادق فيه ومتحقّق به وعلامة صدق المقال وعلوّ الحال هي الاتّباع

على وجه الكمال ولي إخلاص تامّ وحبٌ عام لجنابه من ظهر الغيب، قال ذلك بعد أن ذكر عنده بعض أوصاف الإمام قُدّس سرّه وكمال اتباعه للسنّة السَّنيّة، ولهذا لمّا حُبِس الإمام على ما سيذكر جعل الشيخ المذكور الدعاء بخلاصه وردًا لنفسه بعد أوقات الصلوات الخمس، وكلما أتاه أحد من طرف سهرند للإنابة والاسترشاد كان يقول له: والعجب أنك تسكن في جواره ـ يعني الإمام ـ وتكون مريدًا لمحل آخر وتتركون الشمس وتستضيئون بالنجوم.

وأما الشيخ حسن الغوثي، فقد كان يُثني عليه بما هو أهله ويمدحه بما يليق بعلوّ مقامه.

وأما مولانا عبد الحكيم السيالكوتي، فقد كان يُعَظِّمه تعظيمًا بليغًا يليق بمثله من مثله ويشنع على المنكرين بأشد التشنيع ويقرّ بكونه مجدّد الألف الثاني، ويكتب هذا الوصف في مكاتيبه المرسلة إليه، بل قيل إنه أول من أطلق هذا الوصف عليه ونقل عنه هذه العبارة في ردّ شبهة بعض المخالفين أن القدح في كلام الكُبَراء من غير فهم مرادهم جهل، وليس له نتيجة حسنة فرد كلام ملجأ المشيخة ومعدن العرفان الشيخ أحمد من الجهل وعدم الفهم كتبه الفقير عبد الحكيم، وقد ثبت بنقل الثقات أنه دخل في قيد إرادة الإمام قُدّس سرّه وهو الظنّ به.

أتى سهرند واحد من مريدي الشيخ مير محمد مؤمن البلخي بنيّة الإنابة والتوبة والسلوك على يد الإمام الربّاني قُدّس سرّه، وبلغ سلام كل من شيخه المذكور والسيد ميركشاه والشيخ حسن القباداني وقاضي القضاة تولك، ثم قال: إن شيخي مير محمد مؤمن الكبروي يقول: لو لم يمنعني كبر السنّ وبُعْد المسافة لأوصلت نفسي إلى ملازمته، وأفنيت بقية عمري في خدمته، واقتبست من أنوار أحواله ما لا عينٌ رأت ولا أذن سمعت، وحيث إن هذه الموانع موجودة فالمأمول أن يَعُد هذا المهجور الصوري والحاضر المعنوي من مخلصيه الحاضرين، وأن يكون متوجّهًا إلى أحواله بالتوجّهات الغائبية وإفاضات الأنوار القدسية، وقال: إنه أمرني بمبايعتكم نيابة عنه، فقام وبايعه عنه ثم قال وقت انصرافه: إن الأعزّة هناك يلتمسون أن ترسل إليهم بعض المكاتيب المشتملة على الحقائق العالية، فكتب الإمام قُدّس سرّه المكتوب

التاسع والتسعين وأرسله إليه مع بعض المكاتيب المشتملة للمعارف السامية، ونقل عن بعض الأعزّة الذي جاء الهند من بلخ أنه قال: لما وصل المكتوب المذكور إلى المير المشار إليه وطالعه قام ورقص من كمال البهجة والسرور، وقال: لو كان سلطان العارفين وسيّد الطائفة وأمثالهما أحياء في الوقت لكانوا في خدمته. اهـ.

ونُقِل مثل ذلك عن بعض محقّقي ذلك الوقت الذي كان في صحبته كثير من العُرَفاء والعلماء وكان له اطّلاع تامّ على كلمات القوم وأحوالهم، حيث قال حين سمع خرافات بعض المعاندين عن الحق: إن مزاج أهل الزمان ليس لائقًا لإدراك دقائق حقائق هذا العزيز، فلو كان في أيام السلف لعرفوا قدره ومرتبته ودرجة كلامه ولأورد المتأخرون كلماته في كتبهم للاستدلال بها والاستشهاد وفطرة أرباب العصر في إدراك كلماته كفطرة سائر الجُهَلاء في إدراك حكم الحكماء. اهـ.

وقال واحد من العلماء العاملين المتورعين ومن المُقْتدى بهم في ذلك العصر في بيان تصانيفه: إن كتب القوم ورسائلهم إما تصنيف أو تأليف، والتصنيف أن يُحَرِّر الشخص ما هو حاصله من العلوم والأسرار والنكات والمقامات والتأليف أن يجمع الشخص كلمات غيره بترتيب جيّد، وقد مضت مدّة مديدة من ارتفاع التصنيف من العالم، وإنما بقي التأليف فقط، وأنا وإن لم أكن من مريديه ولكن الحقّ والإنصاف أن مكاتيبه ورسائله الواقعة في هذا الزمان الأخير تصنيفات لا تأليفات، فإني كلّما أمعنت النظر فيها لا أرى فيها نقلاً عن الغير إلّا على الندرة والضرورة وعامتها مكشوفاته ومُلْهِماته الخاصة به وكلّها عالية مقبولة مستحسنة وموافقة للشريعة الغرّاء. اهـ.

وقال واحد من أقضى قضاة العصر المذكور في جواب من سُئِل عنه قُدِّس سرّه: إن الأحوال الباطنية المنسوبة لهذه الطائفة العليّة خارجة عن إدراكنا، ولكن الذي أعرفه أن أطواره وأوضاعه ـ يعني الإمام قُدِّس سرّه ـ قد أورثتنا يقينًا جديدًا صادقًا في طور الأولياء المتقدّمين، فإنا كلما طالعنا في كتب السّلف ما صدر عن كُمّل المتقدمين من الرياضات العجيبة والطاعات الغريبة كان يخطر ببالنا لعل مريديهم كتبوها على سبيل المبالغة، ولما شاهدت أوضاعه وأطواره

زال عني تلك التردّدات كلها، بل ربما يخطر ببالي أن مُحَرّري تلك الأحوال ربما فرّطوا فيها ولم يكتبوها بالتمام. اهـ.

وأما الشيخ عبد الحق المحدّث الدهلوي، فإنه وإن كتب في أوائل أمره بعض الاعتراضات على بعض معارفه بموجب البشرية ولوازم المعاصرة، إلّا أنه أدركته العناية الإلٰهيّة في الآخر فتاب عمّا سلف تاب الله عليه وأظهر رجوعه ذلك في مكتوب كتبه إلى حسام الدين أحمد من خلفاء مولانا الخواجة محمد الباقي بالله قُدِّس سرّه مضمونه أن صفاء باطن الفقير في هذه الأيام في حقّ الشيخ أحمد سلّمه الله تعالى متجاوز عن الحدّ لم يبق حجاب البشرية والغشاوة الجبلية في البَيْن، ولا أدري أن هذا من أين الإنصاف وحكم العقل مع قطع النظر عن رعاية إخوة الطريقة يقتضيان عدم مخالفة أمثال هؤلاء الأكابر، وأن لا يؤذى ويساء أشباه هؤلاء الأعزّة، وقد أحسّ في باطني بطريق الذوق والوجدان شيئًا يَكِلُّ اللسان عن تقريره، والله مُقَلِّب القلوب ومُبَدل الأحوال، ولعلّ أرباب الظاهر يستبعدون ذلك وأنا لا أدري ما الحال، وعلى أيّ مثال ومنوال، أهو كتب أيضًا على أولاده في مكتوب طويل عريض ما مضمونه: أن المسودات التي كتبتها اعتراضًا على كلام الميان الشيخ أحمد سلّمه الله تعالى اغسلوا كلها بالماء، فإنّ الغبار الحاصل في الخاطر بالنسبة إليه قد تبدّل صفاء. اهـ.

ولا يخفى على النبيه من هذا أن اعتراضه أولاً إنما كان بموجب البشرية وهو كذلك، فإن كلام المنكرين كلّه من هذا القبيل إلّا أن الحق سبحانه يختصّ برحمته من يشاء وينجيه من هاوية الإنكار ويؤويه إلى جنّة التصديق بأوليائه، ونِعْم دار القرار ويبقى البعض على ما هو فيه من نار الإنكار وبئس القرار، واخْتُلف في سبب رجوع الشيخ من إنكاره ظاهرًا، قيل: رأى النبيّ ﷺ في المنام وهو يوبّخه على إنكاره وقيل: تفاءل في حقّه بالقرآن العظيم فخرج، ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ۝٣٧﴾ [النور: الآية 37]، وقيل: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم

بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ﴿٢٨﴾ [غافر: الآية 28]، وقيل: إنما كان اعتراضه عليه بحسب مكتوب مجعول عليه من طرف بعض أعدائه، فلما وقف على ذلك رجع وتاب واعتذر للإمام قُدِّس سرّه عمّا صدر فعذر وانقلب إلى الصفاء الكدر ولم يبق منه أثر ولا مانع من اجتماع كل ذلك، وحيث ثبت رجوعه عن ذلك علم أنه ممن أدركته العناية الإلـهيّة بأي طريق كان.

تنبيـــه:

قد تقدّم أنه أمر أولاده بغسل تلك المسوّدات، والظاهر أنهم فعلوا ذلك، ومع ذلك نرى الآن أنه بقي منها بعض النقول حيث وقفنا على رسالة لبعض الفحول بالفارسية ردّها عليه ردًّا بليغًا كلمة كلمة وأجاب عن كل اعتراض بأجوبة شافية جزاه الله سبحانه خير الجزاء، وهو مولانا العلامة الشيخ وكيل أحمد السكندرفوري سلّمه الله سبحانه.

. . . .

وبُح باسم مَن أهوى ودعني مِن الكِنى[1]

وهؤلاء الذين ذكرناهم أكثرهم ممن أدركوا في أواخر عمرهم أوائل ظهور الإمام قُدِّس سرّه. وأما الذين أدركوا زمان كمال ظهوره وبايعوه أو اقتبسوا من أنواره من المحقّقين والمدقّقين فلا يحصي عددهم إلا الله لو حاول شخص ذكرهم لاقتضى مجلدات كثيرة، وقد أُلِّفَ بالفارسية مناقب شتّى، وأما هذه الوريقات فلم نقدر أن نثبت فيها إلا قطرة من تلك البحار، ومن جملة كبار مريديه السيد آدم البنوري والمير محمد نعمان البدخشي والشيخ تاج الدين الهندي صاحب الرسالة التاجية المذكور ترجمته في خلاصة الأثر، فإنه صَحِبَه بعد وفاة الخواجة محمد الباقي بالله قُدِّس سرّه، ثم ابتلي بمرض الإنكار مع من

---

(1) عجز بيت شعر من بيتين للشاعر ابن نباتة المصري (محمد بن محمد بن الحسن الجذامي الفارقي المصري أبو بكر جمال الدين المتوفّى سنة 768 هجرية) والبيتان كاملان هما:

أقول وقد جاء الغلام بصحنِهِ ... عقيب طعام الفطر يا غاية المنى
بعيشك قل لي جاة صحن قطايف ... وبُح باسمِ مَن تهوى ودعني من الكُنى

(الموسوعة الشعرية، المجمع الثقافي، أبو ظبي).

ابتلوا ثم أدركته العناية الإلـهيّة لأسباب يطول شرحها وتاب وأناب وصار باعثًا على رجوع كثير من المنكرين، وقصّته مذكورة في كتب المناقب الربّانية، وللإمام قُدِّس سرّه مكاتيب إليه بعضها مندرج في جملة المكتوبات وبعضها غير مندرج فيها بل مسطور في المناقب تركنا ذكرها خوف الإطالة، فإن فيما ذُكِر من المكاتيب كفاية للمكتفي، والله الهادي.

المنظرة الخامسة في ابتلاء الإمام قُدّس سرّه بحسد الحَسَدة اللّئام وطعن الجهلة كالأنعام واعتراضات المعترضين من العوام الذين يُعِدُّون أنفسهم من فُضلاء الأنام وما أصابه بسبب ذلك من الأذيّة والآلام إلى لقاء الملك العلّام.

لا يخفى على اللّبيب المتدرّب المُجرّب للأمور أن الشهرة بالفضل والكمال مع حسد الأقران وطعن الجهالة كالشخوص مع الظلال لا يفترقان في غالب الأحوال سنّة الله التي قد خَلَتْ في عباده، خذ من أبينا آدم عليه السلام وامرر بنظرك من مضى من الأعلام إلى هذه الأيام، فهل ترى فيهم أحدًا لم يبتل بذلك، كلّا. ولذلك قيل: شعر:

إنْ يَحسدوني فإنّي غيرُ لائمهم
قبلي مِنَ النّاسِ أهلُ الفضلِ قدْ حُسدوا[1]

فالحسد من الجُهّال هو علامة وجود النّعمة في المحسود من الملك المتعال، فإنه لولا النعمة لما وُجِد الحسد، ولذا قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى: واستحقر من لا يُحسد ولا يُقذف، واستقصر من بالكفر والضلال لا يُعزف، ولله درّ القائل: شعر:

وَأسْوَأُ أيامِ الفَتَى يومَ لا يُرى ... له أحد يُزْري عليه ويُنْكِر[2]

---

(1) هذا البيت هو للشاعر المخضرم الكميت الأكبر بن ثعلبة بن نوفل الأسدي، أبو أيوب المتوفّى سنة 60 هجرية (المرجع السابق).

(2) هذا البيت هو للشاعر العباسي عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي المتوفّى سنة 190 هجرية. (المرجع السابق).

وقال الإمام السيوطي رحمه الله تعالى في كتابه «التحدث بنعمة الله»: ومما أنعم الله به علي أن أقام لي عدوًّا يؤذيني ويمزّق في عرضي ليكون لي أسوة بالأنبياء والأولياء، قال رسول الله ﷺ: «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم العلماء ثم الصالحون» رواه الحاكم، وقال كعب الأحبار لأبي موسى الخولاني: كيف تجد قومك لك؟ قال: مكرمين مطيعين، قال: ما صدقتني التوراة إذًا، وأيم الله ما كان رجل حليم في قوم قط إلّا بغوا عليه وحسدوه، رواه البيهقي. ثم قال: واعلم أنه ما كان كبير في عصر قطّ إلّا كان له عدوّ من السّفلة؛ إذ الأشراف لم تزل تُبْتَلى بالأطراف فأعداء الأنبياء معروفة، ثم أخذ يعدّ من ابْتُلِي بشماتة الأعداء من الصحابة ومَن بعدهم، ومختصرنا هذا لا يتحمّل ذكرهم ومن له أدنى إلمام بالتواريخ والتراجم لا يخفى عليه أحوالهم، حتى قيل: لا يكون الصديق صديقًا حتى يشهد سبعون صديق بأنه زنديق.

فإذا تمهد ذلك، فاعلم أن للإمام الربّاني قُدّس سرّه من ذلك حظًّا أوفى ونصيبًا أوفر، كيف لا؛ فإنه مُجدّد الألف الثاني، وهل يتيسّر التجديد بالسهولة بلا تغيير هذا وإنكار ذاك وتقبيح هذا وتوبيخ ذاك، هيهات، فإن التجديد هو تغيير الأوطار والهيئات وإزالة المنكرات والهيئات وتبديل السيّئات بالحسنات مع شيوع أنواع البدع والخرافات وفشوّ أصناف الضلالة والجزافات خصوصًا المقلّدين بأرباب التوحيد الوجودي، فافهم. كانوا انتشروا في جميع الآفاق وخلعوا ربقة الشريعة عن الأعناق، وكانوا ينقلون الكلمات المشعرة بظاهرها بالتوحيد الوجودي عن الجنيد وأبي يزيد البسطامي وإضرابهما من أكابر الصوفية لتأييد مذهبهم الباطل وترويجه بين العوامّ كالأنعام، فكان الإمام الربّاني قُدّس سرّه يردّ عليهم بأشدّ ردّ ويصرّح أنهم الملاحدة والزنادقة حقًّا مقصودهم أبطال الشريعة الغرّاء، ولم يبالِ أيضًا من تخطئة الجنيد وأبي يزيد فيما أعجزه تأويل كلامهما وتوجيهه كما ستطلع عليه في أثناء مكاتيبه.

قال مولانا شاه عبد العزيز بن شاه وليّ الله الدهلوي رحمهما الله سبحانه وتعالى: ولمّا استوت هذه الطريقة ـ يعني معرفة التوحيد ـ ونضجت وسلك بعض ناقصي الفهم طريق الإلحاد في فهم كلمات عرفاء الطريقة بمرور الأزمنة

واتخذوا هذه المعرفة الغامضة وسيلة لإبطال الشريعة وتكليفاتها وشاع مذهب بعض الشيوخ الذي كان بظاهره واضعًا قدمه في وادي الإلحاد شيوعًا تامًّا، وراج بين الناس رواجًا عامًّا أظهرت عناية الحقّ سبحانه حضرة الشيخ أحمد السرهندي قُدّس سرّه في الوجود وألقى إليهِ علومًا غريبة ليكون من قبيل تعديل الحار بالبارد والرطب باليابس حتى تستقرّ وتترشّح الهيئة الاعتدالية في أذهان الناس ويرتفع الباطل الممزوج بالحقّ بالكلّية، وهذا هو مصداق معنى المجدّدية. اهـ. ومن كان شأنه هذا هل يَسْلم من أذيّة الناس وطعنهم فيه وبهتهم إيّاه وافترائهم عليه كما قال الإمام قُدّس سرّه هذا الكلام في بعض مكاتيبه وضمّ إلى ذلك اجتماع الجمّ الغفير من الفضلاء والعلماء والكُمّلاء تاركين طرقهم التي كانوا سالكين إياها قبل ولا حاجة إلى بيان ما يحصل لمشايخهم الأول لذلك من الحقد والحسد والضغينة في حقّ الإمام قُدّس سرّه فيما هنالك واختراع المكائد والحِيَل لإلقائه في المهالك تارة بإغراء الناقصين بأنه يهين كُبَراء المشائخ الكرام؛ كالجنيد وشيخ بسطام وتارة بتنفير القاصرين بأنه يُنكر التوحيد الوجودي الذي هو المتفق عليه بين المتأخرين من المشائخ الأعلام، وتارة بإغفال المخلصين بأنه ينكر مشائخه العظام ويدّعي الأصالة في الوصول إلى الملك العلّام، وتارة بأنه ينوي الخروج عن طاعة الإمام إلى غير ذلك من الافتراءات وأنواع البهتان التي لا تصدر عن فرد من أفراد أهل الإسلام.

أمّا ما تقوّلوا عليه في حقّ المشائخ الكرام فهو افتراء محض في حقّ هذا الإمام، فإنّ من تتبّع كلامه يجده مشحونًا بتعظيمهم غاية التعظيم ويقرّ بفضل الأسلاف العظام، غير أنه لما رأى تشبّث بعض المبطلين ببعض كلمات هؤلاء الكبراء كان يؤوّل كلامهم بتأويل حسن ويوجهه بتوجيه مستحسن، وإذا أعجزه التأويل كان ينسبهم إلى الخطأ في الكشف ويردفه ببيان أنه صدر منهم في أوائل حالهم، وأنهم جاوزوه إلى مراتب كثيرة في نهاية كمالهم، وأنهم معذورون في ذلك الخطأ الكشفي، بل مأجورون كالخطأ الاجتهادي، وهكذا قال أيضًا في مسألة التوحيد الوجودي يعرف ذلك من تتبّع كلامه بالإنصاف وأبعد عن نفسه الاعتساف، فأين الإهانة، وأين الاحتقار، وأين النفي، وأين الإنكار؟! بل إنما فعل ذلك حفظًا لناموس الشريعة الغرّاء وصَوْنًا لساحة هؤلاء الكبراء عمّا كان

ينسبه المبطلون إليهم ويتقوّلونه عليهم ونصحًا لهؤلاء المُبْطلين وغيرهم ممن عساه أن يُقْتَدى بهم في ذلك ويتمذهب بمذهبهم الباطل فيما هنالك، فهل يعدّ هذا من المثالب أو من أعلى المناقب وأسْنى المطالب، ولكن لمّا كان دَيْدن أرباب الأغراض إثارة الفتن والشرور كانوا لا يتحاشون من ارتكاب أنواع البهتان وأقـوال الـزور، ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [النور: الآية 40].

قال بعض الفضلاء: إن أقوى سبب هيجان هذه الفتنة هو إنكار التوحيد الوجودي وإثبات التوحيد الشهودي، فإن أسماع أكثر الناس وأذهانهم كانت مملوءة بمسألة التوحيد الوجودي مذ أربعمائة سنة، يعني من عهد الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي إلى عصره قُدِّس سرّه، وإنكار حضرة المُجَدِّد مسألة وحدة الوجود ليس كإنكار علماء الظاهر، بل هو يصدق المقام الذي يتكلّم فيه الوجودية ويسلمه ويقول: إن المقصود الحقيقي فوق هذا المقام، ويثبت الغيرية بين الحق والخلق على نهجٍ لا يكون مُخِلاًّ لوحدة الوجود الحقيقي المتحقّق في الخارج الحقيقي بخلاف الوجودية، فإنهم يثبتون العينية بين الحق والخلق. اهـ. وهذا الكلام كلام من حقّق كلام الإمام، وظفر بغاية المرام، ومن تتبّع مكتوباته المتعلقة ببيان هذه المسألة مبتدئًا من المكتوب الحادي والثلاثين من الجلد الأول إلى آخر المكتوبات الشريفة يظهر له أحوال الإمام قُدِّس سرّه في هذه المسألة وغيرها ظهور الشمس في برجها.

وأما حديث إنكار مشائخه العظام ودعوى الوصول بلا واسطة أحد إلى الملك العلّام، فهو أيضًا من افتراءات الحسدة اللّئام حاشاه من ذلك، ثم حاشا. نعم قد بيّن في المكتوب السابع والثمانين أسرار المريدية والمرادية، فأخذ بعض أرباب الغرض من بعض عباراته هذا الذي ادّعوه عليه كذبًا وبهتانًا مع إقراره فيه بوجود التوسّط والوسائط في طريقة المريدية كما لا يخفى على الناظر فيه، ومن جملة من كاد يزلّ قدمه فيه الشيخ عبد الحق الدهلوي رحمه الله تعالى، لولا أن تداركه الله سبحانه بلطفه كما قدّمنا، وقد أجاب عنه الإمام قُدِّس سرّه في المكتوب الحادي والعشرين والمائة من الجلد الثالث، فراجعه إن شئت.

وأما مسألة الخروج عن طاعة الإمام فحاشا ثم حاشا من ذلك، فإنه قُدِّس سرّه كان أوّل من ينصح الناس بطاعة الإمام وانقياد الحُكّام والاتفاق والالتئام التام، ويُحَذِّر سوء عواقب المخالفة والمجادلة وإخلال الاستسلام، ولكن لما كان هذا الأمر من آلة العجزة من أخذ الثأر والانتقام وسريع التأثير في بلوغ المرام للحسدة اللّئام صار الأعداء يتشبّثون بأذيال هذا السبب بكل وجه ممكن، ولم يألوا جهدًا في تهييج الخاطر ولو من رجل متمكّن، وقد كان أكثر أركان دولة سلطان الوقت جهانكيرخان حتى حرمه والوزير الأعظم من الرَّفَضة، وكان المفتي أيضًا منهم، وكانت سهام الإمام الرباني قُدِّس سرّه مفوّقة نحوهم دائمًا، وكان لا يخلو من ردّهم وتجهيلهم وتحميقهم وتسفيههم دائمًا كما لا يخفى على من طالع مكتوباته قُدِّس سرّه زيادة على ما صنفه من الرسالة المستقلّة في ردّهم حتى قيل: إنه أرسل هذه الرسالة إلى عبد الله خان الأوزبكي الجنكزي أكبر خوانين الأزبك في بخارى وأشهرهم ليعرضوها على الروافض في بلاد العجم من الصفوية، وكان كبيرهم وقتئذ شاه عباس المشهور، فإن قبلوها فبها ونِعِمّت، وإلّا فيجوز قتالهم وسبي ذراريهم، ففعله عبد الله خان المذكور، وأخذ الهراة وبلاد خراسان منهم بعد أن مضت من استيلائهم عليها قريبًا من مائة سنة، وصار يحاربهم دائمًا، ويسبي ذراريهم، ويوصلهم إضرارًا كلّيًا إلى آخر عمره كما هو مشهور في التواريخ، وكانت ضغائن الروافض وأحقادهم عليه قُدِّس سرّه بهذه الأسباب، مما لا يمكن وصفه، بحيث لو ظفروا به لمزّقوه تمزيقًا، وكانوا ينتهزون الفرصة لذلك، ولمّا بلغهم ما عليه الحَسَدة اللّئام، فرحوا به، واتّفقوا معهم على نصب شراك المكائد والمكاره، ووشوا به إلى السلطان الذي كان قلّما يفيق من السكر بواسطة مقرّبيه من الروافض، قائلين بأنه يدّعي التفوّق على الكلّ حتى على الصديق، وأظهروا له المكتوب الحادي عشر من الجلد الأول من جملة عرائضه على شيخه في بيان ما ظهر له من الوقائع في أثناء سيره تصديقًا لزعمهم في دعواهم، فأرسل إليه السلطان يطلبه عنده مع أولاده وأكبر خلفائه لإهلاكهم، فأرسل إليه شاه جهان، ولد السلطان المذكور، واحدًا من خواصّه مع المفتي عبد الرحمٰن، ومعهما الرواية الفقهية في جواز سجود التحية للسلاطين، قائلاً بأنه لو سجد للسلطان فأنا متكفّل لخلاصه من شرّ السلطان، وكان مخلصًا للإمام الربّاني وخبيرًا بأن الأعداء إنما يظفرون ببلوغ

مناهم من تركه السجود للسلطان، فلم يقبله الإمام قائلاً: بأن هذه رخصة والعزيمة تركه، ولا ملجأ إلى هذه الرخصة خصوصًا لمن يُقتدى به غيره، والموت حق لا منجى منه، فترك أولاده وأكابر أصحابه احتياطًا، وتوجّه بنفسه مع بعض أصحابه، فلما دخلوا على السلطان، سأله عن مضمون المكتوب المذكور، فأجابه جوابًا مقنعًا حيث لم يكن أهلاً لدَرْك الحقائق والأسرار، فطاب وقته وأمره بالانصراف مصحوبًا بالسلامة، فلما رأى الحُسّاد أن قلب السلطان قد طاب، وأنّ سعيهم قد ضاع وخاب، قَلَبوا ظهر المِجَنّ، وقالوا للسلطان: إنه مستحقّ للأذيّة والمِحَن، فإنه كثير الاتّباع وقويّ الشوكة لو تخلّص من هنا لأحدث الاختلال والفتن. أما ترى إلى استكباره عليكم واستخفافه بكم حيث لم يسجد سجود التحية، بل ولا حياكم بالتحية العادية، وكان الإمام على ما قيل لم يسلم عليه وقت دخوله لكونه سكران، فأثر فيه هذه السعاية، وظهر بصفة الغضب والغواية، وسلب عن نفسه حلية الرعاية، وبعد أن جرى الكلام في حقّه بين أهل المجلس، ودار أمر السلطان بحبسه قُدّس سرّه في قلعة كواليار المشهورة بغاية الحصانة والمتانة في تلك الديار، فحُبِس في المحبس المذكور جناب الإمام كما يُحْبَس سواجع الحمام في قفص اللّئام واستترت طلعته البهيّة من الأنام كما يستتر أنوار بدر التمام بحُجُب الغمام، وفي ذلك يقول سحبان الهند السيد غلام علي المتخلص بازاد: شعر:

لقد برع الأقران في الهند ساجع وجدّد فن العشق يا للمفرد
فلا عجب أن صاده متقنص ألم تر في الأسلاف قيد المجدد

وفي هذه المعاملة لله سبحانه حِكَمٌ خفيّة ومصالح جليلة، فهي مِحْنة جليّة ومِنْحة جزيلة.

منها أن الإمام الربّاني قُدّس سرّه أطلع بالكشف الصحيح أن وراء ما بلغه من المقامات مقامات أخرى كثيرة عالية جدًا، وأن الوصول إليها موقوف على التربية الجلالية، وقد كانت تربيتها كلها بطريق الجمال، وأنه أدرك بالكشف أيضًا أنه ينالها بعد أن يتربّى بتلك التربية، فأخبر أصحابه يومًا أنه يصيبه بلاء ومحنة فيما بين الخمسين والستين ليحصل له تلك المنحة، فوقع الأمر كما أخبر ونال من تلك المقامات حظًا أوفر.

ومنها أن ألوفًا من الكفار وألوفًا من الفُسّاق والفُجّار المحبوسين قد تشرّفوا بشرف الإيمان والإسلام والتوبة إلى الله سبحانه من جميع المعاصي والآثام، وصار بعضهم من الفضلاء الأعلام كلُّ ذلك ببركة قدومه قُدّس سرّه في ذاك المحبس الظلام، حتى قيل: إن واحدًا من كبراء أمراء الهنود المجوس الذي كان حاضرًا في مجلس السلطان وقت تشريف صاحب الإيقان أسلم في ذلك المجلس لما رأى من شدّة صلابة الإمام قُدّس سرّه في الدّين وتعرُّضه للموت بعدم المبالاة بشدّة غضب السلطان لتيقّنه أن ذلك لا يكون إلّا من شدّة قوة الإيمان واستيلاء نور الإيقان، وقيل: إن وزير السلطان عيّن لتولية حراسته في الحبس أخاه، وكان من غُلاة الروافض قصدا بذلك إجراء كمال الشدّة بالإمام، فلمّا رأى منه المذكور أنواع الكرامة وعدم الانزعاج وكمال الوقار، بل الابتهاج التامّ في ذاك المحبس تاب إلى الله تعالى ونفض عن نفسه غُبار الرفض وتحلّى بحلية السنية، وصار من جملة المُحبّين والمخلصين، فيا لها من نعمة جزيلة في صورة نقمة جليلة، ولهذا كان الإمام قُدّس سرّه راضيًا من السلطان وممنونًا من معاملته هذا وداعيًا له بالخير، وكان بعض أصحابه يقصدون الإيقاع بالسلطان، وكانوا مقتدرين على ذلك ولكن كان الإمام يمنعهم ممّا هنالك في النوم واليقظة ويأمرهم بالدعاء للسلطان بالخير، حيث صار سببًا لحصول ما كان يتمنّاه طول عمره ويقول: إن إضرار السلطان إضرارٌ بجميع الخلق يعرف صدق ذلك بالمراجعة إلى مكاتيبه التي كتبها من الحبس إلى أولاده وخُلّص أصحابه، وهي مندرجة في الجلد الثالث.

وقد صحّ بنقل الثقات أن شاهجان ولد السلطان جهانكير لما خرج على أبيه بطلب السلطنة، ولم يتيسّر له الفتح والظفر مع كثرة أتباعه وكون أمراء أبيه معه في الباطن شكا حاله إلى واحد من أولياء عصره، فقال: إن الظفر موقوف على اتّفاق أربعة من أقطاب ذلك الوقت عليه، وقد اتّفق ثلاثة منهم عليه دون الرابع، وهو أكبرهم، وهو حضرة الإمام المجدّد قُدّس سرّه، فجاء عنده والتمس منه الدعاء بالفتح والظفر، فمنعه الإمام الربّاني من مخالفة أبيه ونصحه وأمره بالرجوع إلى موافقته وبشّره بصيرورة السلطنة إليه عن قريب بعد موت أبيه، فقبل كلامه ورجع عمّا رامه، فكيف يسند الحَسَدة إليه الخروج عليه قاتلهم

الله أنّى يؤفكون، فلمّا اعتكف الإمام في القلعة المذكورة عدّة من الأعوام، قيل: ثلاثة، وقيل: اثنان ندم السلطان عمّا فعله في هذا الشأن لأسباب يطول شرحها، فأخرجه من الحبس وأكرم وأُحسن إليه بأنواع الإحسان، وصار من جملة المخلصين والإخوان، لكن أمره بالإقامة في معسكره مدة من الزمان، ثم أطلق سراحه وأعاده إلى وطنه محفوفًا بالإجلال والاحترام، فعاد بألوف من الفتوح على ما كان فيه أوّلاً من الأحوال والمقامات التي يعجز عن وصفها ألسنة الأقلام، ولا يدركها إلّا من كان له من الله الألطاف الخفيّة وأنواع الفتوح، فصار يصدر عنه قُدِّس سرّه من الحقائق والدقائق والمعارف والأسرار ما لا يقدر على فهمها ودَرْكها، إلّا أولاده العِظام وخلفاؤه الكبار، فتمّ بها مكاتيبه الشريفة ثلاث مجلدات كبار، ولذلك ترى ما اندرج في الجلد الثالث غير لائق بكل سالك سيّار، بل لا بدّ لإدراكها في الجملة من اكتحال بصر البصيرة بكحل العناية والأنوار، بل لا بدّ له من إمداد روحانيّته قُدِّس سرّه كما أقرّ به المشائخ ذوو الكمالات والاستبصار، والله الهادي إلى سبيل الرشاد ومنه المبدأ وإليه المعاد.

وإنما أطنبنا في بيان كيفية هذه الواقعة لأمرين:

أحدهما: إن بعض المنكرين أشاعوها بوجه آخر مخالف للواقع، فأردنا إظهار حقيقة الحال.

وثانيهما: إعلام أن الأولياء الكبار بل الأنبياء العظام لم يزالوا مُبْتلين بأنواع البَليّة والمصائب ليتأسّى بهم أولياء زماننا وصلحاؤهم ويتسلوا ولئلا يسيء عوام زماننا ظنهم بأولياء عصرهم إذا رأوهم مُبْتلين بأمثال هذه البليّة، وهذا أراه من اللوازم لمن يشتغل بنشر مناقب الصالحين، وأكثر الناس أهملوه، بل كتبوا أوصافهم الملكية دون لوازمهم البشريّة، فظنّ العوامّ أنهم منسلخون منها بالكلية فتعلّقت بهم محبّتهم التامّة، ثم نظروا إلى من اشتهروا في عصرهم بالصلاح والتقوى والولاية، فوجدوهم متلبّسين باللوازم البشرية فساء ظنّهم بهم فتضرّروا ضررًا كليًّا حيث حُرِمُوا من بركاتهم، بل صاروا في مقام الطعن فيهم وقدحهم وذمّهم، ولم يدروا أن الأسلاف أيضًا كانوا كذلك ما داموا في الدنيا، ولم

يشعروا أن هذه اللوازم البشرية هي القُباب الإلـهيّة المذكورة في الحديث القدسي: **«أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري»**[1]، كما قال الإمام الربّاني قُدّس سرّه، ومن هذا القبيل صدور بعض الزلّة من بعض المشهورين بالصلاح والولاية، فإنها ربما تكون في حقّه سببًا لترقّيه كما بسّط هذا الشيخ محيي الدين بن عربي قُدّس سرّه في موضع من فتوحاته، قال في الحكم: معصية أورثت ذُلًّا وافتقارًا خير من طاعة أورثت عزًّا واستكبارًا، فاعلم ذلك وظنّ خيرًا بأولياء الله ولا تسيء الظن بهم بسبب ما صدر عنهم أحيانًا من الزلّة بناء على حكم ومصالح واعتقد أنهم غير معصومين، والله سبحانه يتولّى هداك.

ولما نال الإمام قُدّس سرّه من الله ما أمله وبلغ ما أمّ له وبلغ الكتاب أجله ناداه منادي الحق فأجاب النداء وانضمّ بالرفيق الأعلى والتحق، وكان ذلك يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من صفر سنة أربع وثلاثين وألف، ودُفن في مقبرة سرهند روّح الله تعالى روحه ونوّر ضريحه ونفعنا ببركة أنفاسه الشريفة ومحبّته المُنيفة ورزقنا من شفاعته وحشرنا تحت لوائه مع محبّيهم وجماعتهم، آمين.

المنظرة السادسة في بيان من أنكره بعد فوته ومن مدحه وأثنى عليه:

اعلم أن الناس كما كانوا في حقّه فرقتين في حياته بسبب اختلاف المشارب والأعراض والمقاصد، كذلك افترقوا في حقّه بعد فوته أيضًا على هاتين الفرقتين للأسباب المذكورة، فمن مبغض قادح ومُحبّ مادح، وإن كان بين الفريقين بونًا بعيدًا بأن كان الأوّل شقيًّا، والثاني سعيدًا، فهذا في الجنّة وذاك في السعير.

قال الشيخ وليّ الله الدهلوي: ولقد جَرَتْ على الإمام قُدّس سرّه سُنّة الله تعالى وعادته في أنبيائه من قبل بإيذاء الظَّلَمة والمبتدعين وإنكار الفقهاء المتقشفين وذلك ليزيد الله في درجاته ويلحق به الحسنات من بعد وفاته، إلى أن قال: وبالجملة قد بلغ أمره إلى أن لا يحبه إلا مؤمن تقي، ولا يُبغضه إلّا فاجر شقي، فلا حاجة لنا إلى الذبّ والدفع عن الإمام الهُمام رضي الله عنه،

---

(1) أورده الجرجاني في التعريفات، تعريف رقم (1474) [1/ 295].

ولا إلى إقامة الدلائل العقلية والنقلية على جواز ما ادّعاه.اهـ. بأدنى تغيير، يعني أن حقيقة ما عليه الإمام قُدِّس سرّه ظاهرة وبيّنة وبطلان ما عليه الخصم ولا شيئيته أيضًا جليّة ومستبينة وأنوار معارف الإمام منتشرة ومنبسطة في جميع الآفاق والأقطار لا يقدر الخصم العنيد على سترها بغيوم الجحود والإنكار، بل كان إنكارهم سببًا لشدّة ظهور ذلك النور وزيادة الانتشار، ولله درّ من قال: شعر:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود[1]

فإن المنكر كلّما أظهر شيئًا من سمّ الإنكار والاعتراض على معارفه السامية أظهر المحبّون ترياق أجوبة متعددة واستشهدوا لها بشواهد كثيرة شافية حتى بلغت عدد الرسائل المصنّفة من طرف المحبّين سبعين رسالة، بل زاد على ذلك وأجلّ ما صُنّف في هذا الباب رسالة: «عطيّة الوهاب الفاصلة بين الخطأ والصواب» للشيخ محمد بك الأوزبكي المكي أفاد فيها كل الإفادة، وأجاد غاية الإجادة بحيث إنه هدم بنيان أباطيلهم من الأساس وأرسل إليهم أبابيل الردّ، ولم يترك لهم مجال رفع الرأس صنّفها ردًّا لرسالة بعض المعاندين في ذاك العصر وقرظها أساطين علماء ذلك الدهر حتى انمحى إنكار المنكرين واضمحلّ عناد المعاندين، وأنا تركت إثبات الرسالة المذكورة في هذا المحل، فإن غرضنا الآن ذكر من مدح الإمام ومعارفه لا الجواب وردّ أهل الشنآن، وتركت ذكر أسامي المنكرين ونقل أقوالهم عملاً بقوله ﷺ: «اذكروا محاسن موتاكم وكفّوا عن مساوئهم»، ولعلهم تابوا وأنابوا وتاب الله على من تاب، ومن أصرّ فقد خاب ورجع بخفّي حُنَيْن وآب ومن تصدّى لإظهار الإنكار، فأشبال الإمام المعنوية موجودون في كل غاب حاضرون للانتصار بكمال النشاط والترحاب، إلّا أني أثبت هنا تقاريظ العلماء المذكورين لكونها مشتملة على فوائد جمّة وعوائد مهمة تنكشف بها كل مشكلة مدلهمة ولكون أربابها من فضلاء ذلك العصر وكُمَلاء ذاك الدهر يُوقَف عند أقوالهم ويُقْتَدى بأفعالهم.

---

(1) هذا البيت هو من قصيدة طويلة للشاعر العباسي أبو تمام حبيب بن أوس بن الحارث الطائي المتوفّى سنة 231 هجرية. (الموسوعة الشعرية، المجمع الثقافي، أبو ظبي).

فمنها: تقريظ شيخ الإسلام المفتي ببلد الله الحرام مولانا المرحوم المبرور الإمام العلّامة عبد الله عتاقي زاده رزقه الله الحسنى وزيادة.

قال رحمه الله تعالى: بسم الله الرحمٰن الرحيم، الحمد لله ربّ العالمين، ربّ زدني علمًا، الحمد لله المانح للصواب والموفّق للإصابة في الجواب ونشكره أن برّأنا من الأغراض وطهّر قلوبنا من نكتة الران وأكنّة الأمراض، ونشهد أن لا إله إلّا الله الهادي والمُلْهِم بما يرضيه ونشهد أن سيدنا ومولانا محمدًا ﷺ عبده ورسوله القائل: «من حُسْن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[1]، ونصلّي ونسلّم عليه وعلى آله وأصحابه الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، صلاةً وسلامًا دائمين ما تكرّرت العشايا والبكر.

أما بعد، فقد أخبرني الجمّ الغفير الثقات والبالغون حدّ التواتر مقبولو الروايات بأن أولاد الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي النقشبندي ومريديهم الموجودين الآن سالكون مناهج الشريعة المستقيمة ملازمون الطاعة والجماعة على الطريق الحنفية السهلة القويمة، وأنهم أخذوا الطريقة المذكورة عن والدهم المذكور، وليس فيها ما يخالف الشريعة الغرّاء ويُوقع في محذور، وهذا مما لا مِرْيَة فيه ولا ريب، لأنني أحطتُ علمًا بآداب الطريقة النقشبندية وأخذتها عن جماعة زهّاد أجلّاء عظماء.

وإذا تقرّر هذا فليعلم أن للشيخ أحمد مكتوبات واقعة باللغات الفارسية مبنية على قواعد السادات الصوفيّة باصطلاحاتهم المرضية، بل له رضي الله عنه اصطلاحات خاصة رضِيّة ولا مشاحة فيها، وقد تصدّى بعض مُبْغِضي الطريقة النقشبندية والشيخ المذكور، وعرّب بعض مواضع من المكتوبات وحرّف وغالى بما يوجب القيل والقال وصدره بالسؤال، وطلب مني الكتابة عليه قبل كل فامتنعت تدينًا، وقد ألحّ عليّ مرارًا كثيرة فأجبته بالحديث السابق: «من خير إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[1]، ثم زاد في اللّجاج، وقال: اسأل عمّن سبّ ونقص وذكر كلامًا لا يستطاع ذكره على لسان مسلم

(1) رواه الترمذي في سننه، كتاب الزهد، باب 11، حديث رقم (2317) [558/4]؛ وابن حبان في صحيحه، باب ما جاء في صفات المؤمنين، حديث رقم (229) [466/1]؛ ورواه غيرهما.

ولو حكاية، فحينئذ أجبته شفاهًا باللسان بما هو مقرّر عند أدنى الطلبة، وفي جميع الكتب في باب الردّة، وطلب الكتابة أيضًا من جماعة علماء أتقياء حنفية وشافعية، فلم يوافقوه على ذلك، بل أجابوه بالحق المخالف لهواه وكتب عليه شخص من الفضلاء أخذًا بظاهر ألفاظ التعريب مع إمكان التأويل ووافقه جماعة ممن لا يُعْبأ بهم، وزاد بعض جُهّال في الهذرمة، وطغى بعضهم نقش ما رُسِم له، فحاكاه كالببغا وليته إن كَتَب فَهِمَ، وهل يَفْهم ولو ظفر بكتابة الموافق الجاهل المتعنت لأجرى عليه مقتضى لفظه شرعًا إن لم ينكره، لأنه عرض بالعلماء الأجلاء الذين لا يصلح أن يكون تلميذًا لهم، فعليه من الله ما يستحقّه، وقد اعتذر عنهما بعض العلماء الأجلّاء في تعريضه، ولولا عته وجهل الأول وجهل الثاني لحكمنا بكفرهما، ولكن لما كان لهما نوع عذر باعتبار أن العوام لا يكلّفون إلّا بمعرفة المسائل الجليّة دون المسائل الخفيّة، وهذه المسألة من المسائل التي تخفى على مثلهما من العوامّ عرضنا عن الحكم بذلك، ولكن مثل هذين الجاهلين ينبغي تأديبهما وزجرهما عن الخوض فيما لا وصول لأذهانهما إليه. اهـ.

فما أحسن هذا الاعتذار الدالّ على جهلهما المبين لحالهما، وما للكاتب من الاعتذار، فلله درّه، ومع هذا فقد محوا ما كتباه وأنكراه بغاية الذلّة والاستغفار ويكفيهما ذلك خزيًا وتعزيرًا في سائر الأعصار، قال علماؤنا: إنكار الكفر توبة، وقد ردّ بعض الأفاضل على هذا المعرب المتبّع لهواه المحرف لكلام الشيخ بالتعريب ومزجه بالدسائس وزيف كلامه وكلام من يعدّ فاضلاً، وسرد كلام الشيخ المذكور بلفظه الفارسي وعربه بالواقع فأطال، وحسن التأويل والمقال وقرّظ عليه جماعة علماء أجلاء، والأحرى ترك التعريب المحتاج إلى التأويل؛ لأن لبعض الألفاظ إذا وقعت فارسية حكمًا، وإذا وقعت عربية حكمًا آخر، قاله علماؤنا في أماكن متعددة من كتب الفتاوى ذكرعلامة المذهب قاضيخان في فتاواه المشهورة في الشروط المفسدة للبيع رجل اشترى شيئًا على أن يحمله البائع إلى منزل المشتري إن قال ذلك بالعربية لا يجوز، وإن قاله بالفارسية جاز؛ لأن العربية تفرق بين الحمل والإيفاء والفارسية لا تفرّق، ويكون الحمل بمنزلة الإيفاء. اهـ.

والحاصل أن ألفاظ المكتوبات الصادرة من الشيخ باللغة الفارسية باصطلاح القوم ولسانهم، حيث كانت سالمة عن وصمة قائلها شرعًا ولا محذور فيها، ولو بوجه ضعيف لا يُلْتفت إلى التعريب المُخِلّ المحتاج إلى التأويل، بل يترك كلام المتكلم بلفظه عربيًا أو فارسيًا الخالي عن التعريب لموافقة الشرع الشريف كما أخبرني من تقدّم، ولا نتكلّف لتعريبها وإن لم يتغيّر معناها ومدلولها، فكيف مع التغيير الموقع في محذور لو فرض، ولا يقدح في الشيخ تعريب ذلك المتعنّت مع براءته كما ذكر، وليت شعري أيّ حاجة داعية إلى التعريب لنكفر به مسلمًا ما هذا إلا جرأة وافتراء بلا مراء، فإن تكفير المسلم أمرٌ عظيم. قال في البحر ناقلاً عن الفتاوى الصغرى: الكفر شيء عظيم فلا أجعل المؤمن كافرًا متى وجدت رواية أنه لا يكفّر. اهـ. ثم قال فيه: قال في الخلاصة: إذا كان في المسألة وجوه توجب الكفر ووجه واحد يمنع التكفير، فعلى المفتي أن يميل إلى الوجه الذي يمنع التكفير تحسينًا للظنّ بالمسلم. اهـ.

ثم قال: والذي يحرّر أن لا يفتي بتكفير مسلم أمكن حمل كلامه على محمل حسن، أو كان في كفره اختلاف ولو رواية ضعيفة، وهذا الذي أدين الله به وأعتقده، ثم أن الفقير في شغلٍ شاغل من مثل هذه الخرافات والكتابة عليها والتقريظ والموافقة بالواقعات اليومية المتعيّن على بيانها بأمر الدولة العليّة أدامها الله تعالى وأدام إحسانها على سائر البَرِيّة، وإنما أخبرني من تقدم ذكره أن ما وقع من التعريب والتحريف والكتابة عليه والموافقة لو ظهر وأصغى إليه سمع أهل العناد لأقام الفتنة النائمة الداعية إلى الفساد وتخريب البلاد وإضرار المسلمين والعارفين والعباد والعلماء والزهّاد والمشائخ الأمجاد وطلب مني كتابة ما تيسّر لدفع هذه المضارّ العديدة بألفاظ وجيزة مفيدة، فوجبت عليّ - يعني الكتابة - وسطّرت ما ذكر لحقن الدماء والانتصار للعلماء والصُلَحاء والمشائخ الأتقياء، والله سبحانه نسأل أن يوفّقنا لما يحبّ ويرضاه ويصون لساننا وقلمنا عن إضرار الناس، ولا يجعلنا ممن يطيع هواه، قال ذلك الفقير إلى الله تعالى عبد الله عتاقي زاده الحنفي القائم بخدمة الفتوى بأُمّ القرى مكّة المشرفة عفى عنهما بمنّه وبكرمه حامدًا مصلّيًا مكبّرًا مُهلّلاً، تمّ.

قوله: الأحرى ترك التعريب... الخ.

قلت: هذا إذا كان لغرض نفساني بالتحريف. أما إذا كان لغرضٍ صحيح سالمًا عن التحريف فلا مانع من ذلك، وبه جرت عادة العلماء قديمًا وحديثًا، والله يعلم المفسد من المصلح، وهو أعلم بكلّ شيء.

ومنها تقريظ العلّامة الشيخ حسن ابن الشيخ محمد مراد التونسي المكي، وهو مقدار كراسة سماه بالعرف الندي في نصرة الشيخ أحمد السرهندي قد أدرج فيه عوارف المعارف ضمنه لطائف المِنَن ومِنَن اللطائف، وهو حريّ بأن يقال: إنه من الفتوحات المكيّة أو من الإلهامات الملكية، قال رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه العون، الحمد لله الذي أوضح لأحبابه سُبُل الهدايات، وفتح لهم باب الفهم عنه بسابق العنايات، وعصمهم من طريق الهوى وطروق الغفلات والغوايات، وخصّهم بشريف المكالمات ولطيف الإشارات، والصّلاة والسلام على سيدنا محمد رسول من فطر الأرض والسمٰوات، إلى كافّة الخلق بالدلالات الواضحة والآيات البيّنات.

وبعد، فإني قد كنت وقفت على سؤال ورد من جماعة من الهند مضمونه ما قول العلماء في حقّ أحمد السرهندي الكابلي القائل كذا وكذا بألفاظ كثيرة مسطورة في السؤال مدّعين أنها نُقِلت من كتابه المشهور، وقد كتب عليه إذ ذاك جماعة قائلون بكفره اغترارًا بظاهر بعض الألفاظ ولغير ذلك، فلمّا تأمّلته ظهر لي بحسب ما وصل إليّ وما قُدِّر لي إذ ذاك من الفهم أن بعض عباراته لا يصدر إلّا من مجازف، بل بعضها يؤدّي إلى الكفر لا محالة، فلذلك امتنعت من الكتابة بعد الإلحاح عليّ في طلبها وحمدت الله سبحانه على ذلك إلى أن أراد الله سبحانه وتعالى إظهار الحقّ وإمحاق الباطل، فحرّك لذلك عالمًا يقال له الشيخ محمد بك فكتب رسالة ميّز فيها ألفاظ الشيخ المذكور رحمة الله عليه عن غيرها، وبيّن أن كتابه إنما هو بألفاظ فارسية، وأن فيما عُرِّب منها في السؤال تغييرًا بالزيادة والنقصان، وتبديل بعض الألفاظ بالمكر والطغيان، ونقل عبارات الشيخ بأعيانها من الكتاب المذكور إعانة لمن طلب الوقوف عليها وإظهارًا لما

هو الصواب وتبرّعًا بالجواب عما أشكل ظاهره منها؛ إذ لم يكن ذلك واجبًا عليه ولا مندوبًا، كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى، ثم أرسل بها إليّ لأكتب عليها، وقد كتب عليها وحيد دهره وفريد عصره شيخنا وبركتنا الشيخ أحمد البشبيشي أدام الله تعالى النفع به وفسح لنا في مدّته آمين؛ فاعتذرت إليه مرارًا ورُمْت ذلك فرارًا، فزاد الإلحاح وتقوى الاقتراح، فألزمت نفسي العمل بمقتضى قوله: شعر:

ما لا يكون فلا يكون بحيلة ... أبدًا وما هو كائن سيكون

سبق القضاء بما يكون بعلمه ... سيان منك تحرّك وسكون

فلاحَ الجواب وتيسّرت الأسباب، فشرعت مستعينًا بالملك الوهّاب راجيًا منه الحماية وإصابة الصواب، فقلت وبالله سبحانه التوفيق: قال رسول الله ﷺ: **«قد أجاركم الله من ثلاث خِلال: أن لا يدعو عليكم نبيّكم فتهلكوا جميعًا، وأن لا يظهر أهل الباطل على أهل الحقّ، وأن لا تجتمعوا على ضلالة»**، رواه أبو داود.

ثم قلت: النفوس مفطورة على حبّ الحق، فهو مقصدها في جميع أنحائها لا تسكن إلّا لديه ولا تركن إلّا إليه، وله تفيض الأعين وتتحرك القلوب والألسن، ولولا ما يحول بينه وبينها من آثار الرعونات وشدّة ميلها إلى الشهوات لما انفكّت عنه وقتًا من الأوقات، فلذلك قوي الرجاء في الرجوع إليه ووقوع الاتفاق عليه، وحينئذ فلا يخفى على كل لبيب يقظ أن الشيخ أحمد السرهندي الكابلي وليٌّ من أولياء الله تعالى وله قَدَمٌ راسخ بمحافظته على الشريعة ومناظرته أهل الحقيقة، والدليل على ذلك إما محافظته، فلما شاع وذاع من شُهرة علمه بانتشار تلامذته وتلامذة تلامذته وأولاده.

وحَفَدته كلّهم علماء، ومنهم مَن بلغ درجة الأكابر حتى عَزَّ له النظير في غالب البلاد كإسلامبول وما وراء النهر ومصر وغيرها، وقد وفد منهم جماعة إلى الحرمين الشريفين ممن بلغ مكّة.

منهم العلم المشهور الشيخ فرخ قد كثر متابع له بها إلى الآن، فإنه كان المرجع بها.

ومنهم قطب أوانه وأنموذج زمانه شيخنا وبركتنا الشيخ محمد قاسم اللاهوري قُدِّس سرّه وروّح ضريحه آمين، قرأت أنا ورفيق لي عليه في المطول وأخبرنا أنه ختمه تدريسًا نيّفًا وستين مرة.

ومنهم الشيخ المتفنّن محمد النقشبند نزيل عين الزمان مددنا وبركتنا شيخنا الشيخ محمد بن سليمان كان يُعظّمه ويُكرمه غاية الإكرام، وما ذاك إلّا رعاية لمقام الشيخ أحمد رحمه الله بإكرام كل من ينتسب إليه لما عنده من زيادة العلم بكمال فضله وتحقق مقامه بمقتضى لا يعرف الفضل إلا ذووه.

ومنهم العلّامة الشيخ محمد مراد، ذكر أنه الآن بإسلامبول يُدَرِّس بها وأنه ذو أتباع.

ومنهم الشيخ المُحَقِّق العارف بالله تعالى الشيخ بدر الدين.

ومنهم العلّامة الشيخ يوسف الدين، ومنهم الوليّ العارف بالله تعالى الشيخ محمد معصوم، ذكر لي بعض الإخوان من مُدَرِّسي مكة المُشرّفة من أبناء الروم أنه اجتمع بهؤلاء الثلاثة، وكان كثيرًا ما يذكر الشيخ بدر الدين ويقول: ما رأيت في زماننا هذا مثله في كثرة علمه وعمله ومداومته على الذكر.

وأما الدليل على مناظرته لأهل الحقيقة، أن مَنْ له أدنى فهم يُدْرك أن عبارات كتابه أهّلَنا الله سبحانه وتعالى بفهمها وجعلنا من طلّابه ليست جارية على اصطلاح الفقهاء لأنها لا تصدر إلّا عن أرباب الأحوال، فهي دالّة على أنه من أهل الحقيقة عند من بصّره الله تعالى؛ لأن الكلام صفة المتكلّم وقد قالوا: اعرف الرجال بالحق ولا تعرف الحق بالرجال.

وقال الشيخ زروق رحمه الله تعالى في شرحه لحزب الشاذلي رحمه الله تعالى: واعلم أن الكلام صفة المتكلم وما فيك ظهر على فيك، إلى أن قال: وبالجملة إن أحزاب المشائخ صفة أحوالهم ونكتة مقالهم وميراث علومهم وأعمالهم وبذلك جروا في كل أُمورهم لا بالهوى، يعني أن جميع أقوالهم وأفعالهم ليست مقصودة لهم بنوع تكلّف أو نوع تصرّف؛ كما يدلّ عليه كلام الشيخ القشيري الآتي، بل جميع ما يقع منهم من الحركات والسكنات تصدر عنهم بحسب أحوالهم، فهي آثارها الدالّة عليها لا محالة، فظهر بهذا لمن ثبّته

الله تعالى ونوّر بصيرته أن سيدي الشيخ أحمد رحمه الله تعالى ثابت القدم فيما تقدم على أن جماعة منهم لم يصنّفوا كتابًا حرصًا على امتثال ما كُلّفوا به من كتمان هذه العلوم، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

قال ابن عطاء رحمه الله تعالى في لطائف المِنن: كان أبو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى لم يصنع كتابًا، وكذلك شيخنا أبو العباس رحمه الله لم يصنع في هذا الشأن شيئًا، والسبب في ذلك أن علوم هذه الطريقة علوم التحقيق وهي لا تتحمّلها عقول عموم الخلق، ولقد سمعت شيخنا أبا العباس يقول: جميع ما في كتب القوم عبارات في سواحل من بحر التحقيق، انتهى المراد.

قوله: في سواحل... الخ، كناية عن بعدها عن أفهام أهل الظاهر لما يقصدونه من استعمال ألفاظ خاصّة بهم مُجْمَلة، والمعاني لمشكلة الظواهر تحاميًا عن الظهور الموجب لوقوع الخلاف منهم، فلهذا يجد من صنّف منهم كتابًا بالغ في كتمان معانيه بحيث لا يستعمل شيئًا مما استعمله غيره من المعاني إلّا على طريق الاتفاق، وحينئذ التمييز بين اصطلاح الفقهاء واصطلاحهم لا يكاد يخفى على أحد، فنعلم حينئذ أن كتاب العارف بالله تعالى الشيخ أحمد رحمه الله تعالى وأمَدّنا بمدده إنما هو في علوم الحقيقة، وأنه جارٍ على اصطلاح القوم ودالّ على كمال أحواله وعلوّ مقامه بلا ريب، هذا وإني أدين الله سبحانه وتعالى بذلك وبما عن شيخنا الشيخ محمد بن سليمان نفعنا الله تعالى به من أن الشيخ أحمد رحمه الله تعالى مجدد طريق القوم، وكفى بهذا الاستشهاد لمن وفّقه الله تعالى للتسليم وحسن الاعتقاد، وحيث ثبت ما له من المقام فلا يلتفت لمن أراد نفيه عنه.

قال الشيخ زرّوق رحمه الله تعالى في الشرح: فإن قلت: قد تكلم بعض الناس في الشيخ ابن سبعين كلامًا فاحشًا يوجب عدم اعتباره، فكيف يلتفت إلى علومه وأذكاره؟ قلت: لا يُقْبَل قول إلّا ببرهان، ولا يؤخذ شيء إلا بتبيان، وقد ثبت كونه من أهل العلم والعرفان ونقل كونه من أصحاب الحقائق والأحوال، بل حقق ذلك جماعة ممن أتى بعده من الرجال، فلا يُلتفت إلى إنكار المنكر في إسقاط مرتبته، وكذا من كان على طريقه، فلَئِنْ كان للعلم حرمة فللعلماء

أيضًا حرمة، والموفق يلتمس المعاذير، والمنافق يتبع العيوب، بل يحدث بها بغير حق، ولا أجهل ممن يتعصب بالباطل ومنكر لما هو به جاهل، فانظر وفّقك الله تعالى وتأمّل في عبارة الشيخ زروق رحمه الله وما فيها من الفوائد النورانية، حيث ردّ قول المجرح بعدم البيان، ثم عارضه بمجرّد ثبوت صفة العلم له، ثم ثبت له كونه من أصحاب الحقائق والأحوال بمجرّد النقل، ثم حقّق له ذلك بمن بعده من الرجال حيث ذكروه بذلك من غير تعرّض لطول المدّة وقصرها، ثم أكّد الرد بقوله: فلا يلتفت الخ، ثم أشار إلى حكمه على مقتضى الشرع، وأنه لا خصوصية له بقوله: وكذا من كان على طريقته، ثم التفت إلى تعظيم جانب العلماء بمجرّد كونهم علماء للتحريض على ذلك، كما قابل ذلك بذمّ المنكر والتشديد عليه بجعله كالمنافق ومقابلة فعله بفعله الموفق، ثم ذمّ التعصّب ووصف صاحبه وذا الجهل المركب بكونهما لا أجهل منهما، فإذا علمت هذا فتأمّل أيضًا في اكتفاء الشيخ رحمه الله في الرد بمجرد ثبوت صفة العلم، فكيف بمن منحه الله تعالى فضيلة انتشاره في البلاد زيادة على ذلك، ثم في التفاته رحمه الله لثبوت كونه من أصحاب الحقائق والأحوال بمجرّد النقل، فكيف بمن كُتِبَت في مناقبه المجلّدات، وأثبتت له فيها أنواع الكرامات، وشهد له بذلك انتشار الآثار الدالّة على اتّصافه بذلك أي الانتشار، فإني قد رأيت مناقبه في مجلد ضخم، وأخبرت بثانية منها للشيخ محمد هاشم الكشمي، وقد كتب سيد علماء الهند جامع المعقول والمنقول المُلّا عبد الحكيم السيالكوتي ما لفظه:

إن التكلم على كلام الوارث للطريقة المحمّدية الشيخ أحمد السرهندي جهل وسفه ودلالة على عدم الوقوف على اصطلاحات الصوفية إلى آخر ما أطاله رحمه الله تعالى، وقد وضع على هذا الخطّ ختمه، وهو الآن بيد أولاد الشيخ رحمه الله تعالى، والذي نعلم الآن من نسخ كتابه المشهور في الحرمين الشريفين ثلاث نسخ: نسخة تامّة ثلاث مجلدات بالمدينة المُنوّرة، ونسختان محزومتان بمكّة المُشرّفة، ثم في اكتفائه رحمه الله بمجرد ذكر جماعة بعده، فكيف بمن مضى عليه زمان طويل بعد ذلك؟ فإن عمر الشيخ أحمد نوّر الله ضريحه نيّف وستون سنة، ومذ توفي إلى الآن نحو ستين سنة، فهذه نحو مائة

وخمس عشرة سنة باعتبار إسقاط مدّة بدايته على أن كثيرًا من أولياء الله محفوظون من وقت الرضاع في بطون أمّهاتهم فعليه، فهي نحو مائة وعشرين سنة، فكيف فيه التجريح بعد هذه المدة وبعد ما ثبت له من الاشتهار المتّصل بمن ذكر من كتابه وأولاده وتلامذته إلى يومنا هذا؟ فهل يخفى على أحد أن هذا إلّا باب إظهار الفساد؟ نسأل الله العظيم في ذرّيّه ورد كيد قاصده في نحره، ثم هل هذا السؤال إلا مزلّة ومغلطة لأهل الحرمين الشريفين حيث لم يذكروا فيه الشيخ رحمه الله معرّفًا بأوصافه، بل ذكروه مجهولاً خصوصًا مع ما أحدثوا فيه من التغيير والزيادة والنقصان، وهل هذا إلّا هوى للنفس واتّباع للشيطان؟ أما يخشى فاعلوه من تعجيل عقوبة الله تعالى غيرة منه عليه؟ أما يعتقدون الموقف والفضيحة بين يديه، وما أحسن ما قيل: شعر:

تذكّر يوم تأتي الله فردًا ... وقد نُصِبَتْ موازين القضاء
وهُتِكَتْ السُّتور عن المعاصي ... وجاء الذنب مكشوف الغطاء

وأحسن منه وأبلغ منه وأسرع رشقًا في النحور قول: من يجمع الناس ليوم لا ريب فيه وإليه النشور، يعلم ما في السمٰوات وما في الأرض ويعلم ما تُسِرُّون وما تُعْلِنون، والله عليم بذات الصدور، لعمر الله أنهم لفي أمر لا ينادى وليده ولا يُفارق عتيده، وكأني بهم وقد انعكس عليهم الأمر، أفأمنوا مكر الله وصروف الدّهر؟ كيف وهو كما قيل: شعر

سرور الدهر مقرون بحزن ... فكُنْ منه على وجلٍ شديد
ففي يُمناه كأسٌ من لُجَيْن ... وفي يُسْراه قيدٌ من حديد

نعوذ بالله من مكر الله، نعوذ بالله من مقت الله، نعوذ بالله من سخط الله؛ ولا يخفى أن كلام الشيخ أحمد أسكنه الله تعالى في حظيرة قدسه ومتّعه بموارد أنسه ليس جاريًا على ظاهره كما تقدم، ولا يجوز له استعمال الألفاظ الظاهرة المعاني، حيث كان في هذا العلم لوجوب كتمانه. قال في روضة المريدين: قال جعفر بن محمد الصادق رضي الله تعالى عنهما: نُهينا عن إظهار هذا العلم لغير أهله، كما نُهينا عن الزّنا ولا إقامة لدين الله تعالى إلّا بهذا العلم، وقال: إن الله عزّ وجلّ فضح من باح بسرّه وعلمه إلى غير أهله. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: حَفِظْت عن رسول الله ﷺ وعائين فأما أحدهما فبثثته فيكم،

وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم[1]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: إني لأعلم في قوله تعالى: ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطَّلَاق: الآية 12] لو قلت لكفرتموني[2]. وعن عليّ رضي الله عنه قال: إن بين جنبيّ علمًا لو قلته لخضبتم هذه من هذه[2]، أرادوا رضي الله عنهم بذلك العلوم علوم الحقيقة، كما صرّح بذلك؛ فأهل التمكين لا يُظْهِرون معاني ألفاظهم، لأن جميعها متعلق بالله تعالى، فهي أسرار بينهم وبينه، ولهذا كان خطأ الحلاج وإباحة دمه من حيث إظهاره ما يكتم وإعلانه بما يسّر كما في حل الرموز، وفيه ما كل قلب يصلح للسر ولا كل صدف ينطبق على الدرّ، وقيل لأبي يزيد رحمه الله: ما لنا لا نفهم كثيرًا ما تقول؟ قال: لأن كلام الأخرس لا يفهمه غير أمه.

قال الشيخ القشيري رحمه الله في الرسالة: وهذه الطائفة يستعملون ألفاظًا فيما بينهم قصدوا بها الكشف عن معانيهم لأنفسهم بعضهم من بعض، والإجمال والستر على من باينهم في طريقتهم لتكون معاني ألفاظهم مشتبهة على الأجانب غيرةً منهم على أسرارهم أن تشيع في غير أهلها؛ إذ ليست حقائقهم مجموعة بنوع تكلّف أو مجلوبة بضرب تصرّف، بل هي معاني أودعها الله تعالى في قلوب قوم واستخلص لحقائقها أسرار قوم، ويقولون: الأسرار معتقة عن رقّ الأغيار، ويُطلق السرّ على ما يكون مَصُونًا بين العبد والحقّ سبحانه وتعالى من الأحوال، وعليه يُحمل قول من قال: أسرارنا بكر لم يفتضهن وَهْمُ واهِم، انتهى ملخّصًا. فمن علم أن قصدهم كتمان السرّ والإجمال والستر، وأن ظاهر اللفظ غير مراد لم لا يعترضهم قطعًا، فالمعترض على وليّ الله سبحانه وتعالى الشيخ أحمد رحمه الله باعتياده مرتكب ما لا يحلّ غير عالم بمقاصدهم.

هذا وقد تلقّت العلماء رضي الله عنهم ونفعنا بهم خلفًا عن سلف أقوال هذه الطائفة من غير التفات منهم إلى أشكال ظواهرها، مع علمهم بحقائقها وما تقتضيه من الاتّحاد والحلول والتجسيم وغيرها، لعلمهم باستحالة كون شيء من

(1) رواه البخاري في صحيحه بلفظ: «حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين فأما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم».

(2) هذا القول لم أجده فيما لديّ من مصادر ومراجع.

ذلك مقصودًا لهم، وهو معنى قول الشيخ زرّوق رحمه الله، فلذلك قُبِل كلامهم، أي على ما هو عليه، وإن كان مشكلاً، فإذا النظر إلى كمال أحوالهم، لا إلى ظواهر أقوالهم، وهذا كتاب كمال أهل الطريقة ومعدن الحقيقة الشيخ عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي قُدّس سرّه ونوّر ضريحه المُسمّى بالإنسان الكامل وسائر مؤلفاته ومؤلفات العارف بالله تعالى الشيخ محيي الدين بن عربي الحاتمي الطائي قُدّس سرّه، وسائر كتب القوم إلى يومنا هذا تُشْترى بأغلى الثمن، وتُسْتَكْتب ويُتْعَب في تحصيلها ومقابلتها مع العلم بما فيها من الإشكالات المتكاثرة، منها في الإنسان الكامل قوله: بانقضاء عذاب جهنّم وذهاب أثرها وعود إبليس لعنه الله إلى ما كان عليه من مكان القرب إلى الله تعالى، ومنها ما في عينيّته قوله: إن السبع الطّباق تحت قوائمي ورجلي على الكرسي وسقف بيتي العرش. ومنها ما في مواقع النجوم لابن عربي رحمه الله: إن لله سبحانه لسانًا يتكلّم به وأذنًا يسمع بها. وأما مشكلات الفتوحات، فأشهر من أن تُذْكَر.

فلو نظر العلماء رحمهم الله إلى ظواهر هذه الكتب لما توقّف أحد منهم في الحكم بتكفير مؤلّفيها، لكنهم لما عَلِمُوا أحوالهم لم يلتفتوا إلى المشكل من أقوالهم، وقد شاع هذا والحمد لله حيث لا يكاد عالم يجهله الآن حتى أنسيت إشكالاتهم وكأنها لم تكن، وأقبل الناس عليها لذلك بالإقبال التامّ حتى صار العلماء يتبرّكون ويعتنون بمطالعتها، بل وتدريسها حتى لا يكاد يخلو عالم من بعضها ومن الاطّلاع عليها، فإن قلت: إذا كان عدم التعرّض لا يكاد يجهل، فكيف قلت في أول الرسالة: وقد كتب عليه جماعة قائلين بكفره اغتراراً بظاهر بعض الألفاظ؟ وهل هذا إلّا تعرُّض منهم؟

قلت: قد مرّ قريبًا بأن أهل السؤال دلّسوا ولبسوا وأنهم متّبعون أغراضًا فاسدة، وأنهم لم يعرفوا الشيخ رحمه الله، بل ولم يذكروا من نسبه شيئًا لعلمهم لما فيه من صريح مناقضتهم، فإن والد الشيخ وجده رحمهم الله قد ثبتت لهما الولاية ونسبه يتّصل بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد أخذ الطريقة عن والده وجدّه بالسند المتّصل إلى سيد العارفين بالله تعالى الشيخ عبد القادر الكيلاني، كما في مناقبه قُدِّس سرّه لتلميذه العارف بالله الشيخ

بدر الدين غير المتقدم، فلمّا لم يذكروا شيئًا من هذا، بل حذفوه، وقولنا: حذفوه لغوي تجهيلاً لتتميم غرضهم بزعمهم اقتضى ذلك تكفيره لا محالة؛ لأنه على هذا التقدير ليس ممّن لا يتعرّض لهم، بل هو فردٌ من أفراد الناس، فلو ذُكِر موصوفًا بأوصافه التي اشتهر بها أو بعض النسب، ولَوْ الفاروقي فقط، ونُقِلت ألفاظه بعينها من غير تغيير لما تعرض له أحد، وما كفره أحد منهم قطعًا.

ألَا ترى أنا لو سُئِلنا عمّا في مواقع النجوم بصورة ما يقول علماء الدين رضي الله عنهم في حقّ محمد بن عربي القائل بأن لله سبحانه لسانًا يتكلّم به، وله أذن يسمع بها، أو عن مقالة الشيخ عبد القادر رحمه الله: رأيت ربّي بعين رأسي بصورة ما يقول العلماء رضي الله عنهم في حقّ عبد القادر ولد أمّ الخير القائل: رأيت ربي بعين رأسي، فهل يتوقف أحد في تكفير المسؤول عنه على ما فرض جهالته بخلاف ما لو قيل في الأول في حقّ الوليّ العارف بالله تعالى الشيخ الأكبر محيي الدين بن محمد بن عليّ بن محمد علي بن العربي قُدّس سرّه ونوّر ضريحه، وفي الثاني في حقّ سيّد العارفين وقُبْلة الوافدين الشيخ محي الدين عبد القادر الجيلاني جعلنا الله سبحانه في بركاته وإمداده حيث لم يتعرّض له أحد من العلماء كما تقدم، وفيما نحن بصدده كذلك لما كان السؤال بصورة ما يقول العلماء رضي الله عنهم في حق أحمد السرهندي الكابلي لم يتوقف أحد في تكفيره، وما توقف إلّا من كان له علم بشهرته أو بطرف منها أو كان له معرفة باصطلاح القوم، فاستدلّ ببعض عبارات السؤال على مقامه بخلاف ما لو كان بصورة الشيخ العالم العارف بالله تعالى مسلك المريدين ومُوصل السالكين الجامع بين الطريق والحقيقة من ملأ علمه الآفاق شيخ وقته على الإطلاق الشيخ أحمد السرهندي الكابلي الفاروقي النقشبندي ابن العارف بالله تعالى الشيخ عبد الأحد ابن وليّ الله العارف بالله تعالى الشيخ زين العابدين نفعنا الله سبحانه وتعالى به القائل كذا وكذا بألفاظه بعينها أو تعريبها، حيث لم يتعرض لها بلا رَيْب.

فإن قلت: قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله تعالى: قد اندرس العمل بأخلاق القوم في هذا الزمان حتى لا يكاد العبد يجد أحدًا من المتشيخين

فيه يتخلّق بشيء من أخلاق القوم، فإن مقام الإرادة قد عزّ في هذا الزمان، فكيف بمقامات العارفين، انتهى. فعلى هذا لا يكون الشيخ أحمد من المشائخ، ولا كتابه مثل كتبهم.

قلت: ليس في عبارته ما يقتضي انقطاعهم ليلزم ذلك، بل مفهومها عزّتهم كما صرّح به في آخر مقدمته بقوله: لم أقصد بقولي في كثير من الأخلاق لم أرَ له فاعلاً الفخر، وإنما أقصد به بيان عزّته ليلقي الإخوان بالهم إلى الاهتمام بتحصيله والتخلّق به لا غير على أنه ذكر في الأربعين ومائة أن أصحاب النوبة سبعون، وأنهم بمصر الآن سنة ستين وتسعمائة.

فإن قلت: ليس أهل هذا الزمان كالمتقدمين، فلا يستحقّ الشيخ أحمد أن يُعامل معاملتهم، فتسلم له أقواله.

قلت: إن أردت سلب المشابهة عن المجموع فمسلم، وليس الكلام فيه وإن أردته عن كل فرد فرد فغير مسلم، فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«في كل قرن من أُمّتي سابقون»**[1]، وعنه ﷺ أنه قال: **«إنما مَثَلُ أُمّتي كمثل حديقة قام عليها صاحبها فاجتث رواكبها وهيأ مساكنها وحلق سعفها فأطعمت عامًا فوجاً فلعلّ آخرها طعمًا يكون أجودها قنوانًا وأطولها شمراخًا، والذي بعثني بالحقّ نبيًا ليجدنّ ابن مريم من أُمّتي خلقًا من حواريه»**[2]. وعنه ﷺ أنه قال: **«خير أُمّتي أوّلها وآخرها وفي وسطها الكدر»**[3]، وعنه ﷺ أنه قال: **«مثل أُمّتي مثل المطر لا يُدرى أوله خير أم آخره»**[4]، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة

---

(1) رواه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب، حديث رقم (4375) [3/ 140]؛ وأورده الحكيم الترمذي في نوادر الأصول، في الذكر الخفي [1/ 369].

(2) رواه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب، ذكر فصول في الأمثال، حديث رقم (6403) [4/ 130]؛ والحكيم الترمذي في نوادر الأصول، في أن خير هذه الأمة أولها. . .، حديث رقم (6403) [4/ 130].

(3) رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول، الأصل الثاني والعشرون والمائة. . .، [2/ 92]؛ وأورد الحديث غيره.

(4) رواه ابن حبان في صحيحه، ذكر خبر أوهم من لم يحكم صناعة الحديث. . .، حديث رقم (7226) [16/ 209]؛ والترمذي في سننه، (باب 6) حديث رقم (2869) [5/ 152]؛ ورواه غيرهما.

جدًا على أن هؤلاء القوم لا يغيّرهم الزمان، فلا فَرْق بين المتقدّم والمتأخّر والظاهر والخفي والصديق والولي في أن الزمان لا يكدّر أنوارهم ولا يَحُط مقدارهم، فإنهم مع الموقت لا مع الأوقات، وعن بعض العارفين أنه قال: إن لله تعالى عبادًا كلّما اشتدّت ظلمة الوقت قويت أنوار قلوبهم، فهم مثل الكواكب كلّما قويت ظلمة الليل قوي إشراقها، كما في لطائف المِنَن. وأما كتابه نفع الله تعالى به ويسّر لنا سلوك طريقته، فغالب الظنّ فيه حيث لم أطّلع على جميعه أنه لو كان مُعْرِبًا لفاق أو ساوى لما يظهر من دقّة ألفاظه التي وقفت عليها، ولعمري إنه لحريٌّ بقوله: شعر:

ما ضرّني إن لم أكن متقدّمًا   فالسبق يعرف آخر المضمار[1]

وها أنا أذكر لك ما تسكنّ به نفسك وترضاه وتقبض به إن شاء الله عنان التعرّض والاعتراض، قال الشيخ زرّوق رحمه الله في وصية عند عدّ الشبه: ومن ذلك قول بعض الصوفية: أنا هو وهو أنا مما يوهم الاتّحاد والحلول، وقد وقع كثير من هذا النوع لابن الفارض وابن العربي والتستري وابن سبعين مع أمانتهم في العلم وظهورهم في الديانة، فعلى المؤمن في ذلك أن يكون قائمًا مع الحق بالكلام في القول الأول، لا في القائل في مثل أولئك القوم، وما كان من كلامهم موافقًا للكتاب والسنّة فأنا أعتقده فأنا أكِلُ علمه لأربابه منزهًا قلبي عن اعتقاد ظاهره وإياهم كذلك، انتهى مختصرًا.

وقوله: وإياهم كذلك أي وأنزّههم أيضًا عن اعتقاد ظاهره، فإنهم لا يعتقدونه لأنهم منهيّون عنه كما تقدم. وقال الشيخ الشعراني رحمه الله في لطائف المِنَن: وقد يكون سبب الإنكار جهل المنكر بمصطلح القوم وعدم ذوقه لمقاماتهم، فالعاقل من ترك الإنكار وجعل ما لم يفهمه من جملة مجهولاته، لا سيّما ولن يبلغنا عن أحدٍ منهم ما يخالف الشريعة أبدًا، وربما تكلم العارف في شعره أو غيره على لسان الحقّ تعالى، وربما تكلّم على لسان رسوله ﷺ،

---

(1) هذا البيت هو للشاعر الأندلسي لسان الدين بن الخطيب (محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل، الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله المتوفّى سنة 776 هجرية، والبيت من البحر الكامل وتفعيله:

كمل الجمال من البحور الكامل   متفاعلن متفاعلن متفاعلن

وربما تكلّم على لسان القطب، فيظنّ بعضهم أن ذلك على لسانه هو فيبادر على الإنكار، وقد سمعت سيدي عليًا الخواص يقول: أقلّ درجات الأدب مع القوم أن يجعلهم المنكر كأهل الكتاب لا يصدّقهم ولا يكذّبهم، وكان سيدي علي بن وفا يقول: التسليم للقوم أسلم، والاعتقاد فيهم أغنم، والإنكار عليهم سم ساعة في ذهاب الدين، وربما تنصّر بعض المنكرين ومات على ذلك، نسأل الله تعالى العافية. اهـ.

فإن أردت يا أخي عدم الإنكار فاْجل مرآةَ قلبِكَ، فإنك تشهدهم من خيار الناس ويقلّ إنكارك، وإلّا فمن لازمك كثرة الإنكار لأنك لا تنظر في مرآتك إلّا صورة نفسك، فافهم. اهـ مختصراً.

وقال في حلّ الرموز بعد كلام: ولقد أنصف أبو حامد الغزالي حيث أجرى هذه الطائفة من الرجال في كتابه المنعوت بإحياء علوم الدين، فقال عند ذكرهم: هؤلاء قوم غلبت عليهم الأحوال، فقال أحدهم: سبحاني، وقال الآخر: ما أعظم شأني، وقال الآخر: أنا الله، وقال الآخر: ما في جبّتي إلّا الله، فهؤلاء قوم سكارى ومجلس السكارى يُطوى ولا يُحكى، معناه ونُسَلّم إليهم أحوالهم ولا نردّ عليهم أقوالهم؛ لأن كلامهم نطق عن ذوق، وذوق عن شوق، ومن ذاق فقد عرف، ومن لم يذق فلا حرج عليه إذا سَلَّم واعترف. اهـ كلامه المقدّس رحمه الله.

وقال في مقدمة شرح تائية الإمام العارف بالله تعالى ابن حبيب الصفدي: ويجب تحسين الظنّ بأولياء الله تعالى، فإن إساءة الظن بعموم المؤمنين حرام، فكيف بأولياء الله تعالى، ولله تعالى في خلقه أسرار لا اطّلاع للعوامّ عليها، بل يطّلع عليها من شاء من خاصّته، أنظر إلى ما وقع من الخضر عليه السلام من خرق السفينة وقتل الغلام، وقوله بعد ذلك: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف: الآية 82] فسلِّمْ لهم حالهم ولا تتابعهم فيما لا يوافق ظاهره الشرع، ولقد صنّف فيهم أهل العناية بهم مصنّفات ونصروهم فيها، وأوّلوا أحوالهم وأقوالهم المخالفة لظاهر الشرع، ليس هذا محل ذكره، وشرط جواز الاعتراض أن يكون ممن أحاط بعلم الظاهر والباطن وإلّا فهو قاصر، فيسعى في إصلاح نفسه أولاً. اهـ.

وذكر شيخنا السيد أحمد الحموي نفعنا الله ببركته وبركة علومه آمين، في ذيله على كتابه درر العبارات في آخر جواب أجاب به عن سؤال وَرَد إليه من زبيد عن ألفاظ وردت مشكلة في أشعار مشائخ الطريقة العارفين بالله تعالى، فقال بعد أن أجاب بتخريج ذلك على الاستعارات والتمثيلية ما نصّه:

فإن عجزت عن التخريج على هذا المنوال وعَسُرَ عليك انتزاع حالة تطابق بها الحالة المنتزعة من الشاعر، فأعتقد أن ذلك هو الواقع في نفس الأمر وإن قَصُر إدراكك عنه فسلِّم لأهل الله، واعتقد براءتهم ونزاهتهم من كل عيب ونقص، وإيّاك أن يخطر ببالك ما يقع فيه كثير من الناس ممن حَرُمَ التوفيق من حمل كلامهم بفهمه القاصر ونظره الفاتر على غير مرادهم مما لا يليق بالجناب الإلـٰهيّ، ثم يجعل ذلك سببًا للوقيعة فيهم من غير مستندٍ له في ذلك إلّا محض جهله وقصور عقله وظنّه أن فهمه وعقله متناهٍ في الكمال بحيث لا يقصر عن شيء أصلاً، بل كلّ ما خرج منه فهو باطل ومُحَال، فإن ذلك والعياذ بالله منشأ الحرمان والخُسْران، ومِنْ أين يجب أن لا يهب الله لأوليائه إلّا ما يدركه عقل هذا الجاهل القاصر، بل ما مقدار عقله بالنسبة للعلوم الكسبية فضلاً عن الوهبيّة!.

وإياك أيضًا حيث عجزت عن التنزيل على هذا القانون أن تبالغ في التكلّف والتأويل والحمل على ما تعتقد من المعاني كما يفعله كثير من المحبّين المعتقدين، وإن كان مقصدهم في ذلك جميلاً وغرضهم صحيحًا لكنه يؤدّي إلى ارتكاب تكلّفات باردة مهملة تُخْرِجُ الكلام عن رونقه وبهجته وتُؤدّي إلى حمله على معانٍ في غاية الركاكة والسَّفَالة، فترك ذلك والإعراض عنه وتلقّي الكلام بالقبول والتسليم والاعتقاد التامّ على سبيل الإجمال وعدم العرض لمعانيه والاعتراف بالعجز عنه كما هو طريق السَّلف رحمهم الله من التفويض في متشابه القرآن حتى يفتح الله تعالى بالمعاني الصحيحة ذوقًا أحسن وأسْلَم.

قلت: وما يدلّ على أن كلامهم رضي الله عنهم ليس مجريًا على ظاهره ما حُكِيَ أن الشيخ الأكبر محيي الدين ابن العربي قُدِّس سرّه لما أنشد قوله: شعر:

يـا مَـن يـراني ولا أراه كـم ذا أراه ولا يـراني

قال بعض إخوانه: كيف تقول أنه لا يراك وأنت تعلم أنه يراك؟ فقال له مرتجلاً: شعر:

يا مَن يراني مجرمًا ولا أراه آخذًا
كم ذا أراه منعمًا ولا يراني لائذًا

قال بعض المشائخ: من هذا وشبهه تعلم أن كلام الشيخ وأمثاله مُؤوّل وأنه لا يقصد ظاهره، وإنما له محامل تليق به، وكفاك شاهدًا هذه الجزئية الواحدة، وأحْسِنْ الظنّ ولا تنتقد، بل اعتقد وللناس في هذا المعنى كلام كثير والتسليم أسلم، والله سبحانه بكلام أوليائه أعلم، انتهى كلام شيخنا نفع الله به.

قلت: إنما شبّه شيخنا رحمه الله التفويض في متشابه القوم بالتفويض في متشابه كلامه تعالى في قوله: كما هو طريق السلف الخ، لأن هؤلاء القوم تخلّقوا وتحقّقوا بجميع الأسماء والصفات إلّا لفظة الجلالة كما هو مُقرّر، ومعنى التخلّق تحلّي العبد بتلك الأسماء والصفات بقدر الإمكان.

وأما التحقّق، فهو ذهاب تعيّن صفة العبد وظهور صفة الله تعالى فيه. قال بهاء الدين في شرح أسماء الله تعالى: وأما التحقّق بحقائقها فذلك بتجلّي الاسم على سر العبد وسريانه في روحانيّته سريان النار في أعماق الجمرة بحيث يفنى تعيّن العبد وتكون حقيقة الاسم المُتَجَلّي بعينها هي حقيقة العبد حتى يرتفع التميز في مشاهدته، بل تترتّب أحكام الحقيقة الاسميّة على الحقيقة العبديّة إن بلغ التحقّق بها كمالها؛ كما قيل: شعر:

أنا مَنْ أهْوَى ومَنْ أهْوَى أنا نحن روحان حلَلْنَا بَدَنا
فإذا أبْصَرْتَنِي أبْصَرْتَهُ وإذا أبْصَرْتَهُ أبْصَرْتَنا[1]

والإشارات إلى هذه المرتبة كثيرة في مقالات القوم باللغات المختلفة، وهذا أمر ذوقي لا يسع طور العبارة إكمال شرحها، ولا يفي إلّا بشيء يسير من

(1) هذان البيتان هما للحلاج (الحسين بن منصور) المقتول سنة 309 هجرية من مؤلفاته (الطواسين) (هوهو) (اليقين) وغيرها. والبيتان من بحر الرّمل وتفعيلته:
رمل الأبحر ترويه الثقات فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

الإشارات بها.اهـ. وبهذا تبيّن وجه التشبيه، وبقوله حفظه الله تعالى: وإياك أيضًا أن تبالغ في التكلّف والتأويل الخ، وبما تقدم من وجوب كتمان هذا العلم تَعْلم أن تعرّض الفقهاء لكلامهم بالشروح والتحشية والجواب عن إشكالاتها مما لا ينبغي لما في جميع ذلك من المخالفات لمقصودهم.

نعم إن أرادوا بذلك تسهيله على أهله كما فعله القشيري رحمه الله تعالى حيث قال في باب شرح ألفاظهم: ونحن نريد بشرح هذه الألفاظ تسهيلاً لفهم من يريد الوقوف على معانيها من سالكي طريقهم ومتّبعي سننهم، أو كان ذلك شفقةً منهم على العوامّ من اعتقادهم ظواهرها، فلا بأس لكن قد سلك هذين المسلكين جماعة، فلا احتياج إليهما الآن، إلّا أن يكون اصطلاح حادث فلا بأس، فإن القوم لم يصطلحوا على وضع، وإنما اصطلحوا على استعمال الألفاظ المخصوصة، بمعنى أن كلاً منهم يستعملها في معانٍ يضعها لها لما علمت من حِرْصهم على الكتمان، والاصطلاح على معنى واحد يفوته وتوضيح ذلك أنك تجد شُرّاح ألفاظهم يذكرون للفظ معاني كثيرة، وقد يجمع ما بين كتابين أو ثلاثة من المعاني للفظة واحدة، فلم تجدها تتفق أصلاً، فيكون المجموع لذلك اللفظ، فمن ذلك العبودية.

قال الشيخ القشيري رحمه الله تعالى في كتابه: «منشور الخطاب العبودية موافقة الأمر ومفارقة الزجر، العبودية: ترك التدبير ورؤية التقصير العبودية رفض الاختيار بصدق الافتقار، العبودية: أداء ما هو عليك وشكر ما هو إليك، العبودية: حسن القضاء وترك الاقتضاء.اهـ.

وقال الشيخ جمال الدين أبو القاسم القاز آبادي في كتابه خلاصة الحقائق: قال الكتاني رحمه الله: العبودية ترك الاختيار وملازمة الذلّ والافتقار، وقال ذو النون المصري: العبودية أن تكون عبده على كل حال كما أنه ربّك في كل حال. وقال أهل الإشارة: العبودية التفويض إلى الخبير البصير ورؤية التقصير في طاعة الملك القدير. وقال عالم: العبودية: أن يرضى العبد بما يفعل الربّ. وقال أبو عثمان رحمه الله: العبودية اتّباع الأمر على مشاهدة الآمر. وقال عيسى عليه السلام: العبودية ترك الدعوى واحتمال البلوى وحبّ المولى.اهـ.

وهكذا في غالب ألفاظهم، وإنما اقتصر بعضهم على معنى واحد تسهيلاً لطالب ذلك كما تقدم عن القشيري رحمه الله. قال ابن عطاء رحمه الله في لطائف المِنَن: قال الجنيد: دخلت على السري السقطي فوجدته متغيّرًا؟ فقلت: ما بالك يا أستاذ متغيرًا، فقال: دخل شاب آنفًا، فقال: ما التوبة؟ فقلت: أن لا تنسى ذنبك، فقال: بل التوبة أن تنسى ذنبك، فما تقول أنت يا أبا القاسم؟ فقلت: القول عندي كما قال الشاب، لأني إذا كنت في حال الجفاء ثم نقلني إلى حال الصفاء فذِكْر الجفاء وقت الصفاء جفاء، فقال الشيخ رحمه الله: كلام السري أتمّ من كلامهما، كلامهما يخصّ حالهما، وكلام السري مهيع مورد السالكين. اهـ مختصراً، فظهر أنه لا حَصْر في الاصطلاح، وأن الكلام صفة دالّة على حال المتكلّم كما تقدم، وعليه فلا حصر لاصطلاحاتهم كما لا حَصْر لأحوالهم، لا اعتراض على من تعرّض للبيان بقصد ما تقدم إذا كان أهلاً لذلك هذا.

وأما توقف الفقهاء والمشائخ عن المسارعة إلى التكفير وإيجابهم العمل بما يقتضي نفيه، وإن تكرّر المثبت بحيث يكون النافي عشر عشيره، وتصحيح القول بعدم تكفير أهل البدع وترجيحه، فلا يخفى كثرة النقول في ذلك على من طالع كتب الفروع والعقائد وشفاء القاضي عياض رحمه الله، غير أنها ليست مما نحن بصدده، وإنما فيها استلزام كون عدم التعرّض للشيخ رحمه الله أولويًا، والكلام فيما نحن بصدده كثير لكن فيما ذُكِر كفاية لا أوردناه من تنبيه الغافلين وتحذير المتعصّبين عن الوقوع في المهالك بالتعرّض للشيخ أحمد رحمه الله بالسوء المخالف لقوله ﷺ: **«اذكروا موتاكم بخير»**[1]، والاعتراض عليه بما لا عِلْم لهم به، أو التعرّض لذرّيّته بالأذيّة، فإن إكرامهم إكرام له وأذِيّتهم أذِيّة له مستلزمة للدخول فيمن آذنه الله سبحانه بحرب، كما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله عزّ وجلّ قال: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب»**[2] الحديث بطوله. قال المسعودي رحمه الله في شرحه:

---

(1) هذا الأثر لم أجده فيما لديّ من مصادر ومراجع.

(2) رواه البخاري في صحيحه، باب مَن جاهد نفسه في طاعة الله، حديث رقم (6137) [5/ 2384].

فالذي يتلخّص من كلام علماء الشريعة والحقيقة أن الولي هو المتقرّب إلى ربّه تعالى بالعلم والعمل. اهـ.

فمَن مَنَّ الله سبحانه وتعالى عليه بالإتقان ومخالفة النفس والشيطان تنبّه لمراقبته تعالى وتدارك ما أحدثه من الخلل والنقصان، ومن خُذِل عُطِّلَت حواسه وبَاءَ بالخسران، ولا يخفى أن سعي أهل السؤال إنما هو تكثير أجوره ورفع درجاته، نفعنا الله تعالى ببركاته، كما قال الشيخ الشعراني رحمه الله حين وقع له مثل هذا، حيث قال: إن حُسّادي يُحرّفون عني مسائل لم أقل بها قطّ، ثم يكتبون بها سؤالات يستفتون عنها العلماء فيفتون بحسب السؤال، ثم يدورون بخطوط العلماء على الناس فيحصل لي من ذلك أجور لا تُحْصَى من كثرة الوقوع في عرضي بغير حق، فلو أني كنت مؤاخذًا أحدًا من هذه الأمّة لما رضيت يوم القيامة بأعمال واحد منهم طول عمره في غيبة واحدة.

قلت: وأوفى دليل على علوّ مقام الشيخ أحمد رحمه الله رفع الدرجات بعد الممات باستدامة العمل بحيث رزقه العلم خصوصًا، وهو في الانتشار إلى يومنا هذا، والولد الصالح خصوصًا وهو متعدّد وأذيّة الخلق خصوصًا، وهي عامّة له ولذُرّيّته فتوفر ابتداء هذه الأسباب مع ما يلحقه من عموم دعاء الخلق وخصوصه دليل وخبر ظاهر على ما ذكر، ثم لما مضى شهر بعد كتب هذه الرسالة وفد رجل يقال له البرزنجي مكّة المُشرّفة، وكان القائل بكفر الشيخ رحمه الله وجعلنا في بركاته، ثم أرسل إليّ بالسلام قائلاً: بلغني أنكم كتبتم رسالة فمرادي الوقوف عليها، وكان ظنّي أنه إذا اطّلع عليها يطلب بيان ما ذُكِرَ فيها من الأحاديث.

وما ادُّعِيَ في السؤال من التغيير والتحريف وما ذُكِرَ من النقول الدالّة على عدم التعرّض للشيخ رحمه الله، وما نُقِلَ عن كتب القوم من المشكلات، وما ذُكِرَ من الوقوف على مناقب الشيخ رحمه الله وتعدّد نسخ كتابه وصحة الأخبار بالوافدين إلى مكّة المُشرّفة من أولاد الشيخ رحمه الله وتلامذته، وما ذُكِرَ من النقول للاستشهاد والتنظير وغيرها للوقوف على جميع ذلك، والإيقان لما أن هذه جادة أهل الإنصاف وترجيح للحاسّة الباطنة على الظاهرة، ولذلك سمحت

نفسي بإرسالها إليه حالاً رجاء ظهور الحقّ ووقوع الاتّفاق عليه، فلما بَلَغْتُه بادر إلى مطالعتها وأمر بكتبها، فكتبها له شخص، ثم أتاني بها فسألته: هل كتب مناهيها؟ قال: لا، فقلت: لا بُدّ من كتبها فإنها تتمّاتها، ارجع إليها واذكر له ذلك، فراح ثم رجع فقال: كلّمته فأبى، وقال: ما يحتاج؟ فقلت له: وهل قابلها؟ قال: لا، قلت: إذًا هي غير الرسالة لما هو مُقرّر من تحريف كتبة الزمان ولما وقع بين الحاشيتين من انعكاس الرجحان.

ولما حصل لي ما هو قريب من اليقين من أنه مفتٍ لأهل السؤال ومُعِين لهم في التغيير لينقل عني ما ليس من المقال، وليجدْ للبحث فيه المجال؛ إذ هي بدون ذلك مُحَصَّنة بالوالي المتعال وأشدّ على شأنهم من وَقْع النِّبال كتبت هذه الكتابة سائلاً من فضل المُطَّلِع عليها أن لا يعتمد على المُجَرّدة من المناهي ومن الزيادة، وأنه إذا وجد عليها كتابة قادحة فيها تعرّضات على من يَتّقي الله تعالى ويخشاه من العلماء، فإنْ كانت صوابًا فأنا أوّل من يُذْعِنُ له ويعتقدها، وإلّا فيعلم المُطّلع عليها براءتي منها، ويعتقد الصواب هذا، وقد كتب الشيخ محمد بيك نسخة من هذا قبل هذه الزيادة، فهي أيضًا صحيحة، وإن كان تاريخها مثل المغيرة، فإن الفَرْق ظاهر لوجود المناهي في هذه دون تلك، وأيضًا تُقابَل مع هذه، فإنها لا تُخالِفُها إلّا بزيادة المناهي هذه، وفي أوّلها وآخرها بعض ألفاظ قليلة لا يختلف بها المعنى.

والحاصل أن نسبة ما يُخالف هذه إلى غير صحيحة أصلاً، ومما يُفَرّق به أيضًا بين المُغَيّرة وهذه التاريخ، فإن تاريخ المُجَرّدة عن المَناهي هكذا تحريرًا قُبَيْل فجر يوم الجمعة مستهل شهر جمادى الآخرة سنة أربع وتسعين وألف، وتاريخ المُعْتَمدة ما ستراه قريباً، والله سبحانه وتعالى وليّ التوفيق والحمد لله ربّ العالمين أوّلاً وآخراً، وباطنًا وظاهراً وهو حسبي ونِعْم الوكيل، ولا حول ولا قُوّة إلّا بالله العَليّ العظيم، قال الفقير إلى الله تعالى حسن بن مراد التونسي الحنفي عفى الله عن الجميع بمَنّه وكرمه آمين، وصلّى الله على سيّدنا محمد النور الذاتي السّاري في جميع آثار الأسماء والصفات، وعلى آله وصحبه وسلّم: نَجَزت قُبَيْل عصر السبت ثامن شهر الله تعالى رجب الأصمّ سنة أربع وتسعين وألف.

رسالة الشيخ العلامة والعُمْدة الفَهّامة منبع العلوم والمعارف منشأ الأسرار واللّطائف، معدن الدقائق الفرعيّة والأصليّة، مخزن الحقائق الشرعيّة والعقلية، قدوة فُحُول العلماء، أُسوة أعاظم الفضلاء، مظهر الألطاف الإلـٰهيّة، ومصدر الأسرار اللامتناهية الشيخ أحمد البشبيشي المصري الأزهري الشافعي رحمه الله تعالى ونوّر ضريحه، المُتوفّى سنة 1096 ست وتسعين وألف، وتأريخ وفاته: مات البشبيشي هكذا قال في خلاصة الأثر.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أحمد الله سبحانه على نِعَمِه المُتكاثرة وأشكره على آلائه المتوالية المتظافرة، وأصلّي وأسلّم على أفضل العالمين سيّدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدّين.

أمّا بعد، فقد وقفت على هذه الرسالة التي وضعها الفاضل الشيخ العارف بالله تعالى أحمد الفاروقي النقشبندي، فوجدته قد أجادَ فيما أفادَ، وبيّن اصطلاح الشيخ ومقاصده بكلام الشيخ نفسه في مواضع متعدِّدة من مكاتيبه، ولا شُبْهَة في أن الألفاظ المُصْطَلح عليها حقيقة عند أهلها فيما اصطلحوا عليه، ولا تدلّ على غيره إلّا مجازًا، فألفاظه بحسب اصطلاحه لا تدلّ إلّا على معانٍ صحيحة لا مخالفة في شيءٍ منها، لما وردت به الشريعة المُطَهّرة، وحيث كانت كذلك فلا تحتاج إلى تأويل أصلاً، فالحكم بتكفيره مبنيٌّ على الجهل باصطلاحه ومقاصده، وقد صرّح غير واحد بأنّ الجاهل باصطلاح الصوفيّة لا يجوز له أن يَخُوض في كلامهم؛ لأن ذلك يُوقِعُه في رَمْي أولياء الله تعالى بالكفر والزندقة، كما وقع ذلك لغير واحد، ومنهم الشيخ أحمد المذكور كما أخبرني بذلك من خَبَرُهُ عندي يُفِيد اليقين، بل تكاثرت الأخبار بذلك حتى كادت تَبْلغ حدّ التواتر، ولمّا ذكر ابن المقري في روضه ما حاصله: إنّ من شَكّ في تكفير طائفة ابن العربي فهو كافر.

قال شيخ الإسلام زكريّا في شرحه: هذا بحسب ما فهمه كبعضهم من ظاهر كلامهم، فإن ظاهره عند غيرهم الاتّحاد وغيره مما هو مُكَفِّر، والحق أنهم مسلمون أخيار، وكلامهم جارٍ على اصطلاحهم كسائر الصوفية، وهو

حقيقة عندهم في مُرادهم، وإن افتقر عند غيرهم ممّن لو اعتقد ظاهره كفر إلى التأويل؛ إذ اللفظ المُصْطَلح عليه حقيقة في معناه الاصطلاحي، مَجاز في غيره، فالمعتقد منهم لمعناه معتقد لمعنى صحيح، ولا يقدح فيه ظاهر كلامهم المذكور عند غير الصوفيّة لما قلناه؛ لأنه قد يصدر عن العارف بالله تعالى إذا استغرق في بحر التوحيد والعرفان بحيث تضمحلّ ذاته في ذاته، وصفاته في صفاته، ويغيب عن كلّ ما سواه عبارات تشعر بالحلول والاتّحاد، لقصور العبارة عن بيان الذي تَرَقّى إليه، وليست في شيء منها كما قاله العلّامة التفتازاني وغيره. اهـ.

وقد صرّح شيخ شيوخنا البرهان اللقاني رحمه الله بأن الحسين الحلاج قتل بما لم يتأمّله من أمر بقتله، يعني: ولو تأمّل كلامه وفَهِمَ مقصوده ما وجد له مساغًا لقتله، إذا تقرّر ذلك عَلِمْتَ أن العارف بالله تعالى الشيخ أحمد المذكور من المسلمين الأخيار المُرْشدين إلى الله تعالى؛ لأن ألفاظه منصرفة بحسب اصطلاحه إلى المعاني التي قصدها موافقةً للشريعة لا تحتاج إلى تأويل أصلاً؛ كما بيّن هو تلك المعاني الصحيحة التي أرادها من ألفاظه في مواضع كثيرة من مكتوباته بالفارسية، وقد قُرِىء ذلك عندي بحضرة جماعة يعرفون الفارسية أمِنْتُ تواطئهم على الكذب، ولا مخالفة في شيءٍ من المعاني التي بيّنها لما تقرّر في شرعنا، ولا يَقْدح فيه ظاهر لفظه المذكور الذي يفهمه من لم يعرف اصطلاحه، على أن الظاهر القابل للتأويل لا يُكَفْر صاحبه بمجرد ذلك الظاهر، بل بعد الوقوف على أنه يعتقد ذلك الظاهر.

أما إذا لم يعلم أنه يعتقد ذلك الظاهر ولفظه قابِلٌ للتأويل، فإنّا نُؤَوّله ولا نَحْكُم بكفره، كما يفيده قول شيخ الإسلام، وإن افتقر عند غيرهم إلى تأويل، وكلام هذا الرجل بفرض أن لا اصطلاح له قابل للتأويل، كيف وقد وجد له اصطلاح؟ فعلى تقديره لا يحتاج إلى اصطلاح أصلاً، ولا يضرّه أن ألفاظه هذه لم توجد لمن تقدمه من القوم، لما علمت من أن الاصطلاح لا مَشاحّة فيه، وإن خالف اصطلاح من سبقه، وبالجملة فالمُكَفّرون له فَهِمُوا من ظاهر لفظه ولفظًا آخر مُفْتَرّى عليه أُمورًا معلومًا نفيها من الدين بالضرورة بحيث لا يتوقف في التكفير بما فهموه فقيه ولا متفقّه، بل ولا جاهل بالكلّيّة؛

إذ فهمهم ذلك شاركهم فيه كل جاهل والمعاند يرغب في إخراج المسلمين من الإسلام بأدنى شُبْهَة، لا سيّما قومًا مشهورين بالصلاح يُرْشِدون العباد إلى الله سبحانه وتعالى.

وقد ذمّ السبكي هؤلاء الطائفة الذين يتساهلون في تكفير المسلمين؛ وذلك لأنه لما سُئِل عن تكفير أهل الأهواء والبِدَع، قال: اعلم أنّا نستعظم القول بالتكفير؛ لأنه يحتاج إلى أمرين عزيزين، **أحدهما**: تحرير المعتقد، وهو صعب من جهة الاطّلاع على ما في القلب، وتخليصه عمّا يشتبه وتحريره، ويكاد الشخص يَصْعُب عليه اعتقاد نفسه فضلاً عن اعتقاد غيره. **الثاني**: الحُكْم بأن ذلك كفرٌ وهو صعب من جهة صعوبة علم الكلام ومأخذه وتمييز الحقّ من غيره، وإنما يحصل ذلك لرجل جمع صحة الذهن ورياضة النفس واعتدال المزاج والتهذيب بعلوم النظر والامتلاء من العلوم الشرعيّة وعدم المَيل والهوى، وبعد تحصيل الأمرين يمكن القول بالتكفير أو عدمه، ثم بعد ذلك إمّا أن يكون التكفير بشخص خاص، فشرط مع ذلك اعتراف الشخص به، وهيهات أن يحصل.

وأما البيّنة في ذلك، فصَعْبٌ قبولها، لأنها تحتاج في الفهم إلى ما قدّمناه إلى أن قال: ولقد رأيت تصانيف جماعة يظنّ بهم أنهم من أهل العلم ويشتغلون بشيء من رواية الحديث، وربّما كان لهم نُسُك وعبادة وشهْرة بالعلم، تكلّموا بأشياء وزَوّرُوا أشياء تُنْبِئ عن جهلهم العظيم وتساهلهم في نَقْل الكذب الصريح، وأقدموا على تكفير من لا يستحقّ التكفير، وما سبب ذلك إلّا ما هم عليه من فَرْط الجهل والتعصّب والنشأة على شيء لم يعرفوا سواه، وهو باطل، ولم يشتغلوا بشيءٍ من العلم حتى يفهموا، بل هم في غاية الغباوة. اهـ.

وقد غفل المُكَفِّرون عن اصطلاحه لعدم تتبّعهم لكلامه، أو اعتقادهم أن اصطلاح المتأخّر لا بدّ أن يكون موافقًا لاصطلاح المتقدم، ولم يميلوا إلى التأويل مع ما يردّه إما لغباوة أو حقد، على أنّ في كلام المُتَصدّي لتكفيره اعترافًا بعدم فهم مراده، حيث قال في آخر كلامه أو أراد شيئًا فقَصُرَت عنه عبارته، بل اعترافًا بعدم تكفيره؛ إذ هو من لازم اعترافه بعدم

فَهْم مراده فقد اعترف بأنه إذا أراد معنًى صحيحًا قَصُرَتْ عنه عبارته لا يكون كافرًا؛ فكيف وعبارته لا تَقْصُر عن إفادة المعنى الصحيح، يظهر ذلك للمُتأمّل المُنْصِف.

وفي كلام السعد وغيره ما يُفِيد أن العِبْرة بالمراد لا بالعبارة القاصرة عنه، حيث قال هو وغيره فيما نقله شيخ الإسلام: ولأنه قد يَصْدر عن العارف بالله تعالى إذا استغرق في بحر التوحيد عبارات تُشْعِر بالحلول والاتّحاد لقصور العبارة عن بيان حاله الذي ترقى إليه، فهذا صريح أو كالصريح بأن العبارة القاصرة التي تُشْعِر بالكفر، كالحلول والاتحاد لا يكفر صاحبها، بل هناك أمور لا شُبْهَة للمُكَفِّر فيها أصلاً منها تكفيره بقوله: إن الكعبة لا يُراد بها خصوص الأبنية، ومنها ما ذكره بعض الطَّلَبة فيما يتعلق بالوجود وجعله قياسًا ونتيجة، فإنه لو أدرك لاستحيا أن يكتب ما كتبه ولكره أن يَطّلع عليه أحد ممن له نسبة إلى العلم، والعجب أن هذا المُكَفِّر ممن يُنْكِر على من يقول بكفر طائفة ابن العربي ويعترف باصطلاحهم ويحمل ألفاظهم على معانيها المُرادة لهم أو يؤوّل حتى كاد يتعبّد بألفاظ ابن العربي، حتى اغترّ بظاهر عبارته في الفصوص، وقال بإيمان فرعون مع أنه قيل: إنه مكذوب عليه لتصريحه في غير ذلك الكتاب ببقائه على كفره.

هذا الشيخ عبد الوهّاب من أهل الكشف حتى أنه ذكر اطّلاعه على الجنّة والنار والميزان والصراط وتلقّاه الناس منه بالقبول، وهو أدْرى بكلام القوم من غيره، قال في كتاب اليواقيت والجواهر في اعتقاد الأكابر: قال الشيخ في الباب الرابع والستين وثلاثمائة: اعلم أنه لا يموت أحد من أهل التكليف إلّا مؤمنًا عن عيان وتحقّق لا مِرْيَة فيه ولا شكّ لكن من العلم بالله والإيمان به خاصّة، وما بقي إلا هل ينفعه ذلك أم لا؟ وفي القرآن العظيم: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [غافر: الآية 85]، قال: وقد حكى الله عن فرعون أنه قال: ﴿۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يونس: الآية 90]، فلم ينفعه هذا الإيمان وأطال في أدلّة أنه لم ينفعه إيمانه.

قلت: قال الشعراني: فَكَذَب والله وافترى من نَسَب إلى الشيخ محيي الدين أنه يقول بقول إيمان فرعون، وهذا نصّه يُكَذِّب الناقل وجمهور العلماء قاطبةً على عدم قبول إيمانه وإيمان جميع مَنْ آمن في اليأس؛ لأن شرط الإيمان الاختيار، وصاحب إيمان اليأس كالمُلْجَأ إلى الإيمان، والإيمان لا ينفع صاحبه إلّا عند القدرة على خلافه حتى يكون المرء مختارًا، ولأن متعلق الإيمان هو الغيب. وأما من يُشاهد نزول الملائكة بعذابه، فهو خارج عن موضع الإيمان، والله أعلم. اهـ.

المقصود منه فهلّا أُوّل لهذا أيضًا، بل هذا أولى بالتأويل؛ لأن ذاك طَعَنَ فيه كثيرٌ من أئمّة عصره وغيرهم، وحكموا بتكفيره، ولم نسمع طعنًا في هذا الرجل عن أحدٍ يعتدُّ به، فإن قال: إن تقدُّم ابن العربي مقتضٍ لترجّحه، يقال له: التقدم لا يقتضي الترجيح، بل لو نظر لذلك ثبت في ابن العربي ما قيل فيه؛ إذ هو متأخّر بالنسبة لمن قبله من القوم، حتى جعل بعضهم هذا من جملة الردّ عليه، حيث قال: إن ما صدر عنه وعن طائفته ليس من اصطلاح القوم، وإن قال: إن باب السلوك والاستغراق قد سُدَّ بعد ابن العربي، فقد أراد سدّ باب لا وصول له إليه، ولا قدرة له عليه، وبعد التسليم أقلّ القليل أن يكون هذا الرجل أَوْلى بالتأويل من فرعون، فإن بقاء فرعون على كفره يدلّ عليه ظواهر الكتاب والسنّة وصرفهما عن ظاهرهما بغير دليل لا يجوز، وجزم بكفره أيضًا جماهير العلماء حتى كادوا يُجْمِعون عليه إلّا من شذّ، بل حَكَى بعضهم فيه الإجماع، ففي الزواجر لابن حجر الهيتمي: أخذ علماء الأمّة مجتهدوها الذين عليهم المعوّل من الآية الأولى - أعني قوله تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [غافر: الآية 85]، إجماعهم على كفر فرعون، ورواه الترمذي في تفسيره في سورة يونس من طريقين، وقال في أحدهما: حديث حسن، وفي الآخر: حديث حسن غريب صحيح.

وروى ابن عَدِيّ والطبراني أنّه ﷺ قال: «خلق الله يحيى بن زكريا في بطن أمّه مؤمنًا، وخلق فرعون في بطن أُمّه كافرًا». وأمّا ما حكاه عنه في سورة يونس بقوله عزّ من قائل: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا

ﭐلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [يونس: الآية 90] فهو ما ينفعه، إلى آخر عبارته الكافية الشافية القائل هو في أثنائها بعد نقله عبارة ابن العربي التي أخذ منها نسبة القول بصحة إيمان فرعون لابن العربي، فهل هذا الكلام مُقرّر أو مردود؟ فما وجه ردّه قلت: قال ابن حجر: ليس هذا الكلام مُقرّرًا وإن كنّا نعتقد جلالة قائله، فإن العصمة ليست إلّا للأنبياء إلى أن قال على أنه نُقِل عن بعض كتب ذلك الإمام أنه صَرّح فيها بأن فرعون مع هامان وقارون في النار، وإذا اختلف كلام إمام فيؤخذ منه ما يوافق الأدلّة الظاهرة ويُعْرِض عمّا يُخالفها إلى ما طاب له اشتباه مما فيه ردٌّ لكثير من الجُهّلاء، فجعله إجماعًا ولم يُعَوّل على مَن خالف.

وأما تأويل كلام هذا الرجل، فلم يمنع منه مانع، بل صرّح العلماء بأن كثيرًا من اللفظ المُوهِم لا يُلْتفت إلى إيهامه، حيث أمكن حمله إلى محمل صحيح، وكأنه ظنّ أن إدخال الكافر في الإيمان أسهل من إدخال المسلم في الكفر، وهو ظنّ فاسد؛ لأنّا نستصحب الأصل في كلّ منهما حتى نتحقّق ما يخرجه عن ذلك الأصل، فالأصل في المسلم بقاؤه على إسلامه حتى نتحقق ما يخرجه عنه، والأصل في الكافر بقاؤه على كفره حتى نتحقق ما يخرجه عنه، فظهر أن التأويل للمسلم ليبقى على إسلامه أولى من التأويل للكافر، بل لا يجوز الحكم بإسلام الكافر بغير دليل؛ إذ الأصل بقاؤه على كفره، ولا يجوز الإقدام على تكفير المسلم حتى يتحقّق ما يعتقده من المُكَفّرات، كما يدلّ عليه كلام السّبكي رحمه الله.

وقد بلغني أن شأن هؤلاء القوم ـ يعني المُكَفّرين ـ أنهم ينظرون إلى المسائل التي يكون بعض العلماء مخالفًا فيها لما أطبق عليه الجمهور، ويقيم أدلّة لنفسه يستدلّ بها على ما خالف فيه، فيأخذون قول ذلك المخالف ويضعونه في رسالة ويردّون عليها ما أقامه هو من الأدلّة، وينسبونها إلى أنفسهم ويرسلونها إلى البلدان، حتى أشاعوا تلك الأقوال المخالفة لما عليه جمهور العلماء؛ فمن ذلك القول بإيمان فرعون، ومن ذلك اختيارهم أن وأنهنّ الغرانيق العُلى من قول النبيّ ﷺ إلى غير ذلك مما اشتملت عليه الرسائل التي يبعثون بها إلى البلدان، فيأخذها ضعيف العقل قليل العلم فيغترّ

بها وتصير هي معتقده، فإن قصدوا بذلك صرف العامّة عن اعتقاد ما عليه الجمهور إلى اعتقاد ما شذّ به واحد أو اثنان مثلاً، فهذا من الإفساد لا من الاصطلاح والإرشاد؛ إذ الذي عليه جمهور العلماء هو الحقيق بالاعتماد في الاعتقاد، وإنْ قصدوا بذلك إظهار دعوى الاجتهاد، وأنه صارت فيهم قوة الترجيح والردّ على الأئمّة، فهذا لا يثبت دعواهم؛ إذ لا تميُّز لهم بذلك، إذ كل من له أدنى اشتغال بالعلم إذا اطلع على هذا القول وأدلّته أمكنه أن يقول: مثل ما يقولون بأن يقول: والذي أختاره في هذه المسألة كذا ويسرد أدلّة صاحب القول كما يسردونها، وإن لم يفهم المسألة ولا شيئًا من أدلّتها على أنه لا يتوهّم فيهم أحد تلك الأهلية، بل أهل وطنهم حتى الآخذين عنهم لا يثبتون لهم أهليّة التعليم فضلاً عن مرتبة الاجتهاد، فالله أعلم بمقاصدهم.

ثم انتقلوا من ذلك إلى تكفير المسلمين، وأما من أفتى بأن من أوّل كلام ذلك الرجل فهو كافر، فهو جاهل ـ أي جاهل معتوه ـ وقد أخبرني بذلك من له به خلطة تامّة من أهل العلم، فإني لا أعرفه وأُخبِرْتُ أنه ليس فيه أهليّة ليقرأ مقدمة أبي اللّيث فضلاً عن غيرها، وإنما يجلس للكذب على العوامّ يقرئهم مقدمة أبي الليث أو غيرها من الكتب الوعظيّات، ووافقه آخر أخبرني من يعرفه أنه قرأ أمثلة التصريف على بعض موالي الروم، ولا علاقة له بفقه ولا حديث ولا غيرهما من العلوم الدينيّة ولولا عته الأول وجهل الثاني لحكمنا بكفرهما، ولكن لمّا كان لهما نوع عذر باعتبار أن العوامّ لا يكلّفون إلّا بمعرفة المسائل الظاهرة دون المسائل الخَفِيَّة، وهذه المسألة من المسائل التي تخفى على مثلهما من العوام، أعرضنا عن الحكم بذلك ولكن مثل هذين الجاهلين ينبغي تأديبهما وزَجْرهما عن الخوض فيما لا وصول لأذهانهما إليه، والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب، وحسبنا الله ونِعْم الوكيل، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم، وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، قاله الفقير أحمد البشبيشي المصري الأزهري الشافعي رحم الله من تابع الحقّ وأظهر الخفيّ من الجليّ.

* * *

صورة ما كتبه العلّامة العالم بالله تعالى الشيخ عبد الله العباسي الشافعي المكي رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمٰن الرحيم، حامدًا ومصلّيًا وبعد، فقد وقفت على ما كتبه العلّامة الأوحد الهُمام الأمْجَد مولانا وسيدنا الشيخ أحمد بلّغه الله تعالى كلّ مقام أحمد، فما وجدت لكتابة غيره معنى؛ إذ المُعَوّل عليه كلامه، فالله أسأل وبنبيّه وآله وصحبه أتوسّل أن يُدِيم النفع به بجاه سيد الأوّلين والآخرين، سيدنا محمد ﷺ، قاله الفقير إلى الله تعالى عبد الله العباسي الشافعي.

* * *

صورة ما كتبه سنجقدار العلّامة القاسم المكي الحنفي عامله الله تعالى بلطفه الجلي والخفي:

بسم الله الرحمٰن الرحيم، وبه العون الحمد لله حمدًا يليق بجلاله والصلاة والسلام على سيّدنا محمد وآله وصحبه صلاة تليق بكماله.

أما بعد؛ فقد أحطتُ بهذا السؤال والرسالة والأجوبة نظرًا وتأمّلتها وأمعنتها فكرًا، فرأيت أن النقص في السؤال بالتبديل الذي يدلّ على أن فاعله صاحب نقص وحظّ نفس وافتراء وتسويل. أما الرسالة، فقد أظهرت لقائلها الفضل والجلالة، كَثّر الله تعالى أمثاله وجعل للمتّقين ظلاله. أما الأجوبة، فكل جواب مبنيّ على فهم المُجِيب من الخطأ، والأخذ بالظاهر بلا رَيْب.

وأما الجواب المُلْحق بالسؤال لصاحب الرسالة فهو المبين لا مُحَالة، هو جواب مولانا وشيخنا وبركتنا الشيخ أحمد، فهو من كلّ جواب أحمد وما لنا إلا اتّباع أحمد، فعليه الاعتماد في المبدأ والمعاد، كيف لا! وهو الجامع بين المعقول والمنقول والحاوي لجميع الفنون من الفروع والأصول، فسّح الله في مدّته، وجعلنا ممن يقوم بحُجّته، وفي الرسالة والجواب ما فيه كفاية لأولي الألباب من أدلّة السُّنّة والكتاب، ومقامنا التسليم لأهل الباطن، ففيه السلامة للدين في الظاهر والباطن والتخلّق بأخلاق من سلف ممن مضى وزَلَف، قال النبيّ ﷺ: «ذَرُوا العارفين المحدثين من أُمّتي لا تنزلوهم الجنّة ولا النار حتى

يكون الله تعالى الذي يقضي فيهم يوم القيامة»[1]، قال المناوي رحمه الله تعالى: جمع مُحَدَّث اسم مفعول بالفتح، أي مُلْهم، وهو من أُلقِيَ في نفسه شيء على وجه الإلهام والمكاشفة من الملإ الأعلى، فظهر أن المراد بهم المجاذيب الذين يبدو منهم ما يخالف ظاهره الشرع، فلا يتعرّض له بشيء، انتهى. نقله العلامة السيوطي في الجامع الصغير عن الخطيب وصحّحه.

فإذا كان هذا في المحدثين الذين هم الملهمون المجاذيب، فما بالك بشيخ أكبر قد ظهر إرشاده في الأصغر والأكبر وسرَى سرّه في القلوب ونوّر، كيف لا يُلْتمس لكلامه ما يليق بمقامه، فلكل مقام مقال، ولكل وليّ حال ومجال، جعلنا الله تعالى من المعتقدين، لا من المنتقدين، ومن المصلحين لا من المفسدين المتعنّتين، ومن المتبعين لا من المبتدعين، وأفاض علينا من بركات أوليائه أهل حق اليقين ربّنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلاًّ للذين آمنوا، ربّنا إنك رؤوف رحيم، ربنا أفرغ علينا صبرًا وتوفّنا مسلمين، قاله الفقير إلى الله تعالى قاسم بن سنجقدار المَكّيّ الحنفي حامدًا ومصلّيًا. اهـ.

* * *

صورة ما كتبه شيخ الحرم المكيّ السيد محمد أفندي الحسيني رحمه الله تعالى وطيّب ثراه وجعل الجنّة منقلبه ومثواه:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أنْعَم وتفضّل على مَنْ يشاء مِن عباده بالكَمال ووَفّقه لبَسْط السلوك في طريقة الحقيقة بالإجلال، أحمد الله سبحانه وتعالى على ما وهبنا من الإنعام والإفضال وصلّى الله على نبيّه الكريم السيد الحكيم سيدنا محمد صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه أهل المجد والكمال صلاة دائمة بالغُدُوّ والآصال وسلّم تسليمًا.

(1) رواه الجرجاني في الكامل في ضعفاء الرجال، أسامي شتّى ممّن ابتداء أسمائهم طاء، [4/ 121]، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، باب الخاء حديث رقم (4395) [8/ 292].

أما بعد؛ فقد وقفت على السؤال الذي صَوَّره صالح الأورنك آبادي ومحمد عارف وعبد الله الكوكني من توابع صالح المذكور، فوجدته قد ذكروا فيه أقوالاً وزعموا أنهم استخرجوها من مكتوبات الشيخ الأجلّ الهُمَام الأكْمَل في الطريقة النقشبنديّة، بل الإمام مَنْبع العلوم والمعارف مَنْشأ الأسرار واللطائف العارف بالله تعالى الشيخ أحمد الفاروقي الحنفي النقشبندي رحمه الله تعالى وأعلى درجاته.

وحيث كانت مكتوبات الشيخ رحمه الله تعالى بالفارسية عرَّبوها إلى الألفاظ العربية بمقدار معرفتهم ومقتضى مُرَادهم نعوذ بالله من اتِّباع النفس والهوى، وأرسلوها إلى فلان أحد مُجاوري المدينة المُنَوَّرة.

ثم بعد وصول ذلك السؤال إليه عَلَّق رسالة بتكفير الشيخ أحمد المذكور بسبب الأقوال المكتوبة في السؤال الملائمة لخاطر المُرْسَل إليه وتصدّى لإثبات كُفْره بها، وهَيْهات أن يُثْبِت، وطلب من قاضي المدينة المُنَوْرة ومُفْتيها وعلمائها أن يكتبوا على ذلك السؤال على وِفْق مراده، فامتنعوا عن ذلك ورَدُّوا عليه كلامًا وأجوبة تَليق بالعلماء العاملين بعلومهم.

ثم بعد ذلك أتى إلى مكّة المُشَرّفة فسأل الكتابة على السؤال المذكور من قاضيها ومُفْتيها وعلمائها أيضًا، فما أحد وافقه على ذلك وأجابوه بقولهم: هذا الأمر الذي ارتكبته عظيم، فما يوافقك في تكفير مسلم إلّا كل هالك، ولا وافقه بالكتابة من العلماء على ذلك إلّا آحاد من الناس ممَّن لا معرفة له بالطريقة، وبعضهم وافقه لملائمة هواه، وبعضهم لا عِلْمَ له رأسًا ولا حقيقة، فحصل ما حصل من القيال والقال بسبب فعل هذا الضالّ، وهو فعل ذلك لتبع هوى من أرسل إليه السؤال أو ما عَلِمُوا قوله ﷺ: **«لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»**[1] فما بَالُك في حقوق العباد؟ لا سيّما فيمن أراد تكفير وليّ وهو أعلم العباد!! فيا وَيْل من تَجرّأ ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾

(1) رواه الترمذي في سننه، (29) باب ما جاء لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، حديث رقم (1707) [4/ 209]؛ والطبراني في المعجم الكبير، عن عمران، حديث رقم (381) [18/ 170]؛ وروواه غيرهما.

[الفجر: الآية 14]، فبموجب ما افتروا على الشيخ أحمد النقشبندي ومكتوباته احتاج الأمر إلى تتبّع مكتوبات المرحوم الشيخ أحمد المذكور وتعريب ألفاظه الفارسية إلى العربية على وجه يتّضح الحق به على يد عالم له علم بالعربية والفارسية.

وحيث كان الأمر كذلك صرف الشيخ الأجلّ العالم الفاضل الشيخ محمد بيك هِمّتَه العَليّة وطلب جميع مكتوبات الشيخ أحمد وقابل الأقوال التي في ورقة السؤال مع مكتوبات المرحوم، فوجد بعضها غير موافق لها بسبب التحريف وترك بعض الألفاظ وزيادة أخرى التي ارتكبها هذا الظريف، فكتب الرسالة وبيّن فيها اصطلاحات السادات النقشبندية ومقاصد الشيخ أحمد رحمه الله تعالى، وأراد بذلك إظهار الحقّ، فإن اتّباع الحقّ أحقّ، وليَنحلّ الإشكال وليرتفع القيل والقال، فعَرّب الألفاظ الفارسية إلى العربية وأحسن واهتمّ وأتقن وارتفع من أهل الحقّ سوء الظنّ، بل رجع الكفر على من تجرّأ بتكفير المسلم، ونَدِم كثير ممن كتب على السؤال المذكور ولازم الندم رجاء أن يدخل تحت قوله ﷺ: «التوبة الندم»[1]، لِمَا ظهر لهم أن مبنى الأمر على الهوى والغرض والبهتان الذي فُهِمَ من الزيادة والنقصان والتجرّؤ الذي لا يليق بالمسلم فِعْله، بل ولا يقبله إنسان، قال ﷺ: «من آذى مسلمًا فقد آذاني»[2]، فكيف يكون حال من تجرأ على التحريف، وقوله عليه الصّلاة والسلام: «اذكروا محاسن موتاكم وكُفُّوا عن مساويهم»[3]، وقوله عليه الصلاة والسلام: «من حُسْن إسلام المَرْء تركه ما لا يعنيه»[4]، فظهر الحق وزُهِق الباطل إن الباطل كان زَهُوقًا، فينبغي لحكّام تلك الديار أن يُخْرِجوا منها مَنْ هو مثل هؤلاء المتجرّئين، بل يجب أن يُؤَدِّبهم بحسب ما يقتضي أقوالهم وأفعالهم،

---

(1) رواه ابن أبي شيبة في مصنّفه، في تعظيم دم المؤمن، حديث رقم (1 ـ 27752) [5/ 435].

(2) رواه الطبراني في المعجم الأوسط من اسمه سعيد، حديث رقم (3607) [4/ 61].

(3) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب الجنائز، حديث رقم (1421) [1/ 542]؛ وابن حبان في صحيحه، فصل في المحتضر، ذكر البيان بأن قوله ﷺ فدعوه. . . ، حديث رقم (3020) [7/ 290]؛ ورواه غيرهما.

(4) رواه ابن حبان في صحيحه، باب ما جاء في صفات المؤمنين، حديث رقم (229) [1/ 466]؛ والترمذي في سننه، (11 باب) حديث رقم (2317) [4/ 558]؛ ورواه غيرهما.

وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، قال ذلك وكتبه أفقر عباد الله الغني محمد بن حسن الحسيني شيخ الحرم المكيّ، عفى الله عنهما وعن المسلمين أجمعين.

* * *

صورة ما كتبه السيد علي بن السيد محمد المعروف بكلاه زاده الديار بكري المكي رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمٰن الرحيم وبه نستعين:

ربّ ليس الهدى غير هداك، ولا آلاء إلّا آلائك، نحمدك اللّهمّ يا مفيض الأنوار ويا مزيّن قلوب العارفين بالأسرار أفِضْ علينا أنوار رحمتك ويَسِّر لنا الوصول إلى كمال معرفتك، وهب لنا منك محبّتك وصلِّ على محمد لسان حجّتك وعلى آله وأصحابه خير بَرِيَّتك وعلى أوليائك المُرْتَاضين المتمسّكين بشريعة خير خليقتك بجلال عِزّتك وكمال رأفتك.

أمّا بعد؛ فإني لَمّا وقفتُ على المكتوبات الفارسيّة التي كتبها شمس فلك الإرشاد وبَدْر أوج الطريقة والسّداد، ومحور دائرة الفضائل والكمالات والرشاد القطب الرّبّاني والغوث الصّمَداني المرحوم المُقَدَّس المبرور الأوْحَدي العارف بالله تعالى الشيخ أحمد السَّرْهندي الفاروقي النقشبندي قَدّس الله سرّه العزيز ومعرّبها الذي عَرّبه العمدة العلّامة والزبدة الفَهّامة الفاضل الأكْمَل والمُحَقّق الأجلّ العارف باصطلاحات السادات الصوفية والعالم بقواعدها المُرْضية محمد بيك وعَيْن الله ترعى لسانًا عَرّبه، فأحسن وأجاد، وبنانًا نقله إلى البياض من السواد وأتْقن وأمْعَن وأفاد وشرح وفصّل وبيّن ما هو المراد جعل الله تعالى عمله مَبْرورًا وسَعْيَه مشكورًا وجَزَاه في الدّارَيْن جزاءً موفورًا.

فبعد ما أوضح المعرب الفاضل وبيّن ما هو المُراد من مكتوبات الشيخ الكامل وصرّح بأنه لا مخالفة في مكتوبات الشيخ للشرع الشريف قطعًا، لا أصلاً ولا فرعًا لقيتها منطوية على الحقائق من الفوائد المَرْموزة مُشْتملة على الدقائق من الفرائد المَكْنوزة متّزِنَة بميزان الشريعة الغَرّاء مُمْتلِئة بلوائح تَعْجَز عن إدراكها القوى؛ لأنها مُعَبّر عنها بلسان السادات الصوفية ومُحَرّرة على

اصطلاحات مشارب تلك الطائفة العَليّة لا لَغْو فيها ولا تأثيم إلّا قيلاً صوابًا ومقالاً كخالص التِّبْر مُذابًا، فيا له من كتاب فاخر تُعْقَد عليها الخناصر.

وقد تصدّى بعض مُبْغِضي الطريقة النقشبندية والشيخ المذكور لجَمْع التُّرهات وغَرّب بعض مواضع من المكتوبات وغيّر وبَدّل وحرّف بالنقص والزيادات، فيا وَيْل من غَيَّر وبَدَّل وحَرّف وغَوَى في بَيْداء التعدّي وتَعَسُّف وتكَلُّف، ويا خُسْران من تجرّأ عليه بإطالة لسان الاعتراض الناشيء عن التعصّب والعِناد، ويا طغيان من تصَدّى عليه بالتكفير المُنْبَعِث عن دناءة النفس وادّعاء التعيُّن والانفراد، ولَئِن سُلِّم عدم التغيير والتحريف، فبمجرّد عدم وصول أحدٍ إلى غَوْر مكتوب من المكتوبات التي كُتِبَت على اصطلاحات خفيّة لقوم موقوفة على السماع لا يَلْزَم أن يكون في نفس تلك المكتوبات شيء من الخطأ والزَّلَل والاعْوِجاج، فهلّا يمكن أن يكون الخطأ في الناظر إليها من قُصُور الفِهم وقِلّة التأمّل وسائر الموانع في المزاج، لأن العقول متفاوتة بمراتب إلى العاشر، وكذا القوى والحواس والمشاعر، فكثيرًا ما يقع للإنسان أنه مرّة يعلم ويصل إلى غَوْر شيء من الجليّ والخَفِيّ، ومرة يصل إلى الخفي ويتوقّف في الأمر الجليّ وفهمه لا يفي، فهكذا عِلْم المخلوق العاجز، فمرّة يُفْتَح عليه باب الوصول، ومرّة يَظْهر له حاجز.

وأمّا العِلْم بكل شيء والإحاطة بحقيقته في كل زمان وفي كل حال، فذا في حيّز الامتناع؛ لأنه من شأن عالم الغَيْب والشهادة الكبير المُتَعَال، فالمنصف المتأمّل العالِم إذا لم يصل إلى حقيقة معنى وغَوْره من المعاني المقصودة في العبارات الخفيّة وتعسّر عليه العثور، فهو لا يخطيء قائلها، بل يَحْمل على نفسه الخطأ والقصور، فيستمدّ ممّن عنده مفاتيح الغَيْب وبيده مقاليد الأمور، ولا يتكلّف في حَمْل الكلام على أمرٍ بعيد من مُخالفة الشّرع وإيجاب التكفير الشديد، والتّكفير أمرٌ عظيم لا يتجرّأ عليه إلّا مَنْ هو غافل أو جاهل لئيم، قال في البحر: والذي تحرّر أنه لا يُفْتِي بتكفير مسلم أمْكن حمل كلامه على مَحْمل حسن، أو كان في كُفْره اختلاف، ولو رواية ضعيفة، انتهى.

وإذا تقرّر هكذا، فكيف من تجرّأ أو أطال لسان الاعتراض على الأولياء المتجرّدين عن جلابيب أبدانهم المُنْخَرطين في سِلْك المُجَرّدات الواصلين إلى

بحر الحقيقة الخائضين في لُجّة بحر الوصول إلى توحيد الذات العالمين الثابتين على الصّراط المستقيم العالي حالهم وشأنهم ولسانهم عن مخالفة الشرع القويم، وقد وقف على تلك المكتوبات ومُعَرِّبها علماء مكّة المُشَرّفة زادها الله تعظيمًا وتشريفًا وتلقّوْها بِحُسْن القبول في الملفوظ والمدلول، بَيَّض الله وجوه أعمالهم وساعدهم بألطافه الخَفِيّة في حالهم ومآلهم، فاقتفيت صدورنا الفضلاء أعزّهم الله بحُرْمَة الأنبياء بالإقبال والإمضاء، عِلْمًا مني بأنّي لست من عِداد هؤلاء الكُرَماء، ولكن لا بأس بأن يُقْتفى بهم مَيْلاً ومحبّة وطفيليًا لأعزّتنا الأجلاء، فعلى الحُكّام ووُلاة الأمور أن يَسْعَوْا في تأديب أمثال هؤلاء المُتَجرّئين بالسّعْي المَوْفور، وأن لا يخلوهم في ضلالهم القديم، بل ينبغي أن يهتمّوا في التأديب والزّجْر بالاهتمام العظيم حتى ينقطع القيل والقال بين الآحاد ويَنْسَدّ باب التعصّب والتجرّؤ وينعدم الفساد، والله سبحانه يقول الحقّ وهو يهدي السبيل، وهو حَسْبنا ونِعْم الوكيل، قاله تراب أقدام الفقهاء وخادم محافل العلماء العبد الفقير إلى الله تعالى الصّمد السيّد علي بن محمد المدعوّ كلاه زاده جعلهما الله من الفائزين بالحُسْنى وزيادة، حامِدًا ومُصَلّيًا ومُحَسْبِلاً ومُحَوْقِلاً ومُهَلّلاً والحمد لله ربّ العالمين.

ومنها: ما كتبه العلاّمة الشيخ مُرْشد الدين بن أحمد المرشدي تغمّده الله بغفرانه ورحمه الله سبحانه مع أسلافه:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى،

وبعد؛ فيقول الفقير إلى ربّه الغنيّ مرشد الدين بن أحمد المرشدي الحنفي العمري: إني وقفتُ على الرسالة المُعَرّبة عن الفارسية لشيخ الطريقة والحقيقة العلاّمة المرحوم المُقَدَّس المَبْرور الشيخ أحمد الفاروقي النقشبندي والمُعَرِّب لها العلاّمة والعُمْدة الفَهّامة الشيخ محمد بك بَيّن كلام صاحب الرسالة، ورَدّ على من حرّفه، فظهر على أحْسن الوجوه، فجزاه الله سبحانه خير الجزاء يوم تَبْيَضّ وجوه وتَسْوَدُّ وجوه، وقد وقف على الرسالة المُعَرّبة علماء مكّة المُشَرّفة، فكتبوا عليها بعد أن تأمّلوا كلامه وفهموه وتبيّن لهم بطلان قول من تكلّم على

صاحب المكتوبات وتجرّئه، فنقول: اللّهمّ أرِنا الحق حقًّا وارزقنا اتّباعه، وأرِنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، فوجب على كل من كان بيده القلم والسيف أن يَنْصر الإسلام والمسلمين ويؤيّد أولياء الله تعالى فهم في الحقيقة هم العلماء العاملون وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم تسليمًا.

ومنها: ما كتبه شيخ الإسلام مُفتي الأنام بمدينة الرسول عليه السلام مَوْلانا السيد أسعد، أسعد الله تعالى حاله في الدارَيْن، صاحب الفتاوى الأسعديّة، كتبه أول مرّة في أوائل رجب سنة ثلاث وتسعين وألف:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ربِّ زِدْني عِلْمًا وفِهْمًا، وكِدْ من امتلأ قلبه حسدًا وظلمًا، الحمد لله الذي فتح على قلوب أوليائه أنوار اليقين، ومنح من اختصّ من أصفيائه بفُيُوضات يعجز عن فَهْم معانيها كثيرٌ من المتكلّمين والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمد خاتم الأنبياء والمُرْسَلين، وعلى آله وأصحابه وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدّين.

وبعد؛ فقد شاع في الأقطار الحجازيّة ذِكْر سؤال وَرَدَ من الهند فيه كلماتٌ غامضة خفيّة، ثم بعد مدة عُرِضَ عليّ لأكتب عليه بالردّ على قائله، وهو رجل اسمه أحمد السَّرهندي، فإذا فيه كلمات بعيدة المعنى ركيكة العبارة والمبنى، وأُخبرت أنه مُعَرَّب من الفارسية، ولا يُؤْمَن أن تكون الترجمة غير مُطابقة للواقع، خصوصًا مع تظاهر حامله بعداوة تامّة بلا مدافع، فلم ينشرح صدري للكتابة على ما لم يقع عندي فيه تحقيق، ولعلمي بأن للمشائخ اصطلاحات اتّفقوا عليها لا تَظْهر أسرارها إلّا بإعلامهم أو بنور التوفيق.

قال العلّامة ابن عباد في شرح الحِكَم العطائيّة: إن كلام الأولياء مَنُوط على أسرار مَصُونة وجواهر حِكَم مكنونة لا يكشفها إلّا هم، ولا يتبيّن حقائقها إلّا بالتلقّي عنهم، فلذلك ردَدْته بغير كتابة عليه، ثم جعل يعرضه على كل غثٍّ وسمين، فيكتبون عليه ما لا يفهمون ويتكلّمون بما لا يعلمون فيما لا يعلمون، ولكن سيجزون به ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٦﴾ [المطففين: الآية 6]، ثم جاءني بعض الإخوان وأخبرني بحقيقة المكتوبات وأحسبه صادقًا لصلاح

ظاهره، وأفادني أن فيه زيادة ونقصانًا، أُخرِجت المكتوبات عن موضعها، وإن لم يكن في جميعها، بل في مجموعها، ورأيت تأويلات حضرة الشيخ محمد فرخ شاه عند ذكر الملاحة من المكتوب الرابع والتسعين من الجلد الثالث من المكتوبات.

قال: وقد استشكل تلك بعض المُعاندين بأنه إذا كان حصول الخلّة والولاية المُحَمّدية له ﷺ موقوفًا على توسّط واحد، فردٌ بعد ألف سنة يلزم منه أنه ﷺ لم يكن حبيبًا ولا خليلاً، وهو خلاف الحديث، فإنه ﷺ سَمّى نفسه حبيبًا وخليلاً، وجوابه ما قال الشعراني في العهود والمواثيق: إذا بلغك عن صوفي ما يخالف الشرع فاحمله على سبعين مَحْملاً، فإذا لم تقنع بذلك نفسك فارجع إليها باللَّوْم وقُلْ لها: يحتمل كلام أخيك سبعين مَحْملاً ولا تحملينه على محمل واحد.

وقد أجاب رحمه الله بنفسه عن هذا الإشكال وغيره في التنبيه في آخر المكتوب وافتتاحه مسوق لبيان وجه اتّباع الحبيب لمِلّة إبراهيم الخليل عليه السلام؛ لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: الآية 123]، ومقصوده أن الولاية الإبراهيمية بمنزلة السُّلَّم للعروج إلى الحقيقة المحمدية، فأمر ﷺ باتّباعه ليحصل له بواسطة الاتّباع مناسبة بالولاية الإبراهيميّة، وتكون مِعْراجًا للعروج إلى الحقيقة المحمدية التي هي المقام الأعلى، فوصل ﷺ من ذلك الطريق إلى مقامه الأعلى، واحتظّ من تلك الولاية في ممرّه بقدر الإجمال، كما يدلّ عليه قوله: فبالضرورة كان الخروج من هنالك والدخول في محيط الدائرة دلالة صريحة على أنه ﷺ في عين المركز الأقرب إلى ذات الحقّ تعالى، وغاية الأمر أن ظهور تفصيل كمالات المحيط مشروط بالشروط المذكورة.

وقوله قُدِّس سرّه: ما لم يتيسّر الوصول لجميع المقامات الإبراهيمية لا يتيسّر الوصول للحقيقة المحمديّة مؤوّل بأنه ليس المراد بلفظ الحقيقة عين المركز المُعَبّر عنه بالملاحة، بل المراد المركز بجميع كيفيّاته وخصوصيّاته، ويحتمل أن يكون ظهور بعض دقائق ذلك المقام مَنُوطًا بحصول جميع مراتب المحيط، ولا محذور في ذلك؛ لأن أصل ذلك المقام الذي لا أقرب

منه في مراتب القُرْب الإلهيّ ثابت له ﷺ، حيث اتّضح أن مقام المحبوبية والمَلاحة حاصل له ﷺ، وكذا هو محيط بطريق الإجمال بالمحيط الذي هو الصّباحة والخِلّة، فتحقّق أنه ﷺ متحقّق بكلّ من مقامي الخلّة والصباحة والمحبوبية والملاحة، لا كما فَهِمَهُ المُعاندون، فقالوا: إنه ﷺ لم يكن له مقام المحبوبية والخلّة إلّا بعد ألف سنة. ألَا يرى ما في آخر المكتوب المُنْبِيء لسرّ الصلاة المنطوقة حيث كتب فيه: إن ولاية الخلّة تمّت له ﷺ ولم يكتب أنه حصل له، انتهى من كشف الغطاء عن أذهان الأغبياء لحفيده فرخشاه، وكذلك رأيت تأويل مقام الصديقية وكونها عرض رؤيا لا غير، وباب التأويل لكلام الأولياء مفتوح ولا خير في الحكم بكفر مسلم، فكيف بوليّ من أولياء الله تعالى؟ أسأل الله العصمة والهداية إلى سَوَاء الطريق، وقد صدر عن الأولياء من الكلام المشكل ما هو أعظم من ذلك، فتلقّاه العلماء رضي الله عنهم بالقبول خلفًا عن سلف من غير التفات إلى إشكال ظاهره، مع عِلْمهم بحقيقته وما يقتضيه نظرًا إلى كمال أحوالهم، لا إلى ظاهر أقوالهم، والله تعالى أعلم.

كتبه الفقير إلى الله تعالى السيد أسعد الحنفي المدني المفتي السلطاني غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين، آمين. وحسبنا الله ونِعْم الوكيل ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين والحمد لله ربّ العالمين.

ومنها: ما كتبه مولانا المُفْتي المذكور ثانيًا في صفر سنة ١٠٩٤ أربع وتسعين وألف:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي حَمَى حوزة أوليائه بصيانة علماء الدين وصمّى وأصْمَى من سعى في إطفار نور الولاية بقهره المَتِين، وأعزّ من أعزّ دينه الشامخ العِماد الرّاسخ الأصول السامي الأوتاد، والصّلاة والسّلام على سيدنا محمد الذي رفع مقامه وشفعه في الخلائق يوم القيامة، وعلى آله وأصحابه وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين خصوصًا أوليائه العاملين.

أما بعد؛ فإنه لما رُفِعَ إليَّ السؤال الذي ورد من الهند لكتابتي عليه في أوائل رجب المُرَجَّب سنة 1093 ثلاث وتسعين وألف، فامْتَنَعْتُ عن ذلك كما ذكرته قبل ذلك، ثم عُرِض عليَّ ثانيًا في أواخر شهر صفر الخير سنة 1094 أربع وتسعين وألف مرات متعددة، وجعل حامله يلتمس مني الكتابة عليه بكل حيلة ويتوسّل لذلك بكل سبب ووسيلة، فامتنعت غاية الامتناع لأمرِ الْمُهمني إيّاه ربّي بلا تكلّف ولا اصطناع، ثم ورد المدينة المُنَوّرة رجل هندي من أتباع الشيخ أحمد السّرهندي اسمه الشيخ جلال الدين البطحي وعَرّب بعض كلمات ما في السؤال للشيخ أحمد السّرهندي، وأفادني هو وغيره ممن أثق بعِلْمهم وديانتهم أن السؤال المذكور على خلاف ما في نفس الأمر، ووافق ظنّي الواقع والحمد لله، وعَرَضها عليَّ فتأمّلتها ورأيتها حَرِيّة بالقبول، بل جديرة بأن تكون تاجًا على رأس المكاتبات والنُّقول، فكتبت عليها بالتحسين، وجديرٌ بأن تُحسَّن، بل وأنى لمثلي أن يقول للحسن أنت الحسن، ولكن لمّا كانت نَصْرة الأولياء من أعظم القُرُبات وأقوى المَثُوبات أحببت أن أتشبّه بأهل الصّالحات لعلّ الفَيْض الإلٰهيّ يشملني ببركتهم، وإنه وليّ المَكْرُمات، فكتبت ما هو أعلاه.

ثم في سلخ جُمادى الثانية سنة أربع وتسعين وألف أرسل إلينا من مكّة المُكَرّمة تعريب الشيخ محمد بيك وتأييد شيخ الإسلام مرجع الخاص والعام، الأستاذ الكامل العالم الفاضل الناصر لدين الله تعالى والناصر لعباد الله الشيخ شهاب الدين أحمد البشبيشي المصري، فقام شكرًا لله تعالى سَعْيه للانتصار على ساق رَدْعًا بذلك أهل العِناد والشّقاق، والشيخ الكامل النحرير الفاضل بقيّة أهل الخير والصّلاح الراقي على مراقي العلم والفلاح الشيخ عبد الله العباسي الشافعي، ومولانا شيخ الإسلام ببلد الله الحرام العالم المُحقّق والفاضل المُدَقّق إكليل رؤوس الأفاضل وواسطة عقد المحرّرين ذوي الفضائل عبد الله أفندي عتاقي زاده غفر الله ذنبه ومن الحسنى زاده، والشيخ الصالح الجهبذ الفالح المفيد الناصح أخي في الله ومحبّي لله الشيخ حسن بن محمد مراد التونسي، والشيخ العالم ذو الفضائل والمكارم المتلقّي للعلوم عن الأساتذة الأكارم الشيخ قاسم سنجقدار وغيرهم من فحول علماء بلد الله الحرام، فلا يُحْتاج إلى ذكرهم بعد ذِكْر شيخ أمّ القرى، وقد قيل: كل الصيد في جوف الفرا، فلما رأيت ذلك

لاح لي سرّ قوله ﷺ الذي رواه في معالم التنزيل، يقول الله عزّ وجلّ: **«من أهانَ لي وَلِيًا فقد بارزني بالمحاربة، وإني لأغضب لأوليائي كما يغضب الليث الحرود»**[1] الحديث، ودعاني مُقَلِّب القلوب أن أقتفي آثارهم، وإني أقول وفي قولهم الدليل الأعظم وفيهم البحر المتلطّم، وعند مقالتهم تُلْقَى عصى التسيار وما وراء عبادان دار، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، كتبه الفقير إلى ربّه القدير أسعد الحنفي ثم المدني حامدًا مصلّيًا مُحَوْقِلاً مُهَلِّلاً، وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله ربّ العالمين.

ثم انتهى ما تعلّق به المرام من كلمات هؤلاء الأعلام رؤساء الأنام مصابيح الظلام، وقد تركت بعضًا منها خوف الإطالة والإملال واكتفاء بهذا القدر عن ذِكْر الكلّ بالكمال، فإن في ذلك كفاية لمن أدركته العناية، ولنذكر هنا كلمات مَنْ سواهم مِنَ العلماء العِظَام والفُضلاء الفِخام، حِرْصًا على إرشاد مَنِ استرشد وتحاميًا عن تخييب ظنّ من استرفد.

قال سحبان الهند مولانا المرحوم السيد غلام علي المعروف بآزاد البلكرامي في ترجمته قُدّس سرّه: هو من أعيان سرهند ومن مفاخر أهل الهند المُجَدِّد للألف الثاني والبرهان الساطع على أشرفية النوع الإنساني سحاب هاطل، روى العرب والعجم أمطاره نيّر أعظم بلغ المشارق والمغارب أنواره جامع العلوم الظاهرة والباطنة، خازن الكنوز البارزة الكامنة، وهو في صغر سنّه حفظ القرآن وأفحم بتحبير صوته سواجع البستان، وفي الابتداء تتلمذ على أبيه الأوحد مولانا الشيخ عبد الأحد، واستفاد منه جمًّا من العلوم، ثم ارتحل إلى سيالكوت وقرأ على مولانا كمال الدين الكشميري بعض كتب المعقولات في نهاية التحقيق والتدقيق، وأخذ الحديث عن مولانا يعقوب الكشميري وتناول الحديث المسلسل بالأوّلية بواسطة واحدة عن الشيخ عبد الرحمن الذي كان من كُبَراء المحدثين بالهند وتعاطى عنه إجازة كتب التفسير والصحاح الست وسائر مقروءاته، وفي عمر سبعة عشر سنة فرغ من تحصيل العلوم الدّرْسية، واشتغل

(1) أورده السيوطي في الدّرّ المنثور، سورة الشورى، الآيتان 28، 29 [7/ 353] وعزاه إلى ابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء والحكيم الترمذي في نوادر الأصول وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية وابن عساكر في تاريخه عن أنس.

بالتدريس والتصنيف فصنّف في تلك الأيام رسالة لطيفة فارسية وعربية، ثم ارتحل من سرهند إلى دهلي، وأخذ الطريقة النقشبنديّة عن عبد الباقي، وللخواجه المذكور في حقّ المُجَدِّد عنايات عظيمة وكلمات كريمة، ثم جلس المُجَدِّد على مسند الإرشاد والتلقين وملأ من فَيْضه السمٰوات والأرضين، ونشأ في حجر تربيته الخلفاء الأجلّاء كل واحد منهم آية ومركز لدائرة الولاية وصلت سلسلته من الهند إلى ما وراء النهر والروم والشام والغرب، وله مكتوبات في ثلاث مجلّدات بالفارسية هي حُجَجٌ قواطع على تبحّره وبراهين سواطع على تبصّره، وسمعت أن عَرَّبها بعض العلماء، ولكن ما رأيت المكتوبات المُعَرَّبة، انتهى بأدنى اختصار.

يقول راقم هذه الأحرف: قد اشتهر في الألسنة تأليف محمد بك الأوزبكي المُسَمّى بعطية الوهاب الذي مرّ ذكره بتعريب المكتوبات لأنه عَرَّب فيه بعض الجُمَل من المكتوبات، أعني التي حرّفها المُعانِد وإلّا لم يتّصد أحد فيما علمنا لتعريب المكتوبات بالتمام، كما ذكرنا في ديباجة تعريبنا للمكتوبات، وإلّا لما اشتغلنا به. نعم قد عَرَّب بعض الجُمَل منها بتعريب كنز الهدايات الذي جمع فيه شيء من مكتوبات الإمام المُجَدِّد وشيء من مكتوبات الإمام محمد معصوم قُدِّس سرّهما، وانتخب أيضًا من مكتوبات المُجَدِّدية بعض المشايخ الفُضَلاء انتخابًا جيّدًا بالتعريب، ولا زال العلماء والمشايخ يُعَرِّبون منها ما تعلّق به غرضهم قديمًا وحديثًا، وإلّا فلم أعثر على تعريبها بالتّمام، والله سبحانه أعلم.

ثم قال مولانا غلام علي البلكرامي في ترجمة ملّا محمود الجونفوري الفاروقي صاحب الشمس البازغة في الحكمة: ولا رَيْب أنه لم يظهر بالهند مثل الفاروقيين أحدهما في عِلْم الحقائق، وهو مولانا الشيخ أحمد السّرهندي المُقَدَّم ذكره، والثاني في العلوم الحِكْمية والأدبيّة وهو المُلّا محمود صاحب الترجمة، انتهى ما تعلّق به الغرض من النقل عن سبحة المرجان.

نُقِلَ في الهدية المُجَدِّدية نقلاً عن مولانا الشيخ عبد العزيز الدِّهْلوي رحمه الله ما معربه: كانت الولايات رائجة ومُتداولة في قرب زمانه المسعود ﷺ بين الصحابة والتابعين وتَبَع التابعين وهلمّ جرًّا إلى زمان الجُنَيْد وأقرانه، ثم هلمّ

جرًا إلى زمان رؤساء القادرية والجشتية وصار طريق تحصيلها مدوّنًا ومُبَوَّبًا ومُفَصّلاً بخلاف طريق الخلّة، فإنها لم يذكرها أحد في تلك العهود المتطاولة، ولم يبيّن طريق تحصيلها، فاختفى طريق تحصيل ذلك المقام وراء حُجُب الاختفاء والاستتار، إلى أن مرّت عليه ألف سنة، فأظهر الحقّ سبحانه حضرة المُجَدِّد قُدِّس سرّه وجعله منشأ ظهور هذا المقام الذي كان مُودعًا ومَكْنونًا في جوهره الشريف ﷺ، فتيسّر سلوك هذا الطريق لآلاف من الطالبين ببركة وجوده قُدِّس سرّه وطفيليّته، والحمد لله على ذلك.

والآن نبيّن الطريقة على وجه ينكشف به اختصاص ذاك المقام باتّباع المُجَدِّد قُدِّس سرّه كالشمس في رابعة النّهار.

اعلم أن الطُّرُق كانت قبل المُجَدِّد كلّها من طريق المحبّية والمحبوبية كانوا يسلكون أولاً طريق المحبّية، ثم كانوا يفوزون أخيرًا بمرتبة المحبوبية، وكانوا يَسْعَون سَعْيًا بليغًا في لوازم المحبية؛ كذِكْر الجهر والوجد والشوق والانكسار والتضرّع والصّبر والتوكُّل وطلب مرضاة المحبوب الحقيقي ومراقبة صفاته خصوصًا الإحاطة والمَعِيّة والاستغراق في التوحيد الفعلي، وجعل نفسه كالميت بين يدي الغسّال، ورؤية صفاته وصفات غيره مستهلكة في صفاته تعالى، بل جعل ذاته مُنْدمجة في ذاته تعالى ومشاهدة حُسْنه وجماله تعالى في كل مَظْهر، إلى أن كانوا يفوزون بالأنوار والتجلّيات في ابتداء السلوك، وبالفناء والبقاء في انتهائه، وكانوا يشعرون بالاتحاد بل يدعونه كقولهم:

أنا مَن أهوى ومَن أهوى أنا [نحن روحان حللنا بدنا]

إلى أن عَلِمَ الخضر عليه السلام الذِّكر الخفيّ لحضرة الخواجه عبد الخالق قُدِّس سرّه الذي كان إرهاصًا للطريقة المُجَدِّدية، ثم حصلت الطّراوة والنّضرة لهذا المعنى في عهد الخواجه النقشبند قُدِّس سرّه، ولكن امتزجت العلوم التوحيدية بهذه النسبة في عهد حضرة الخواجه عبيد الله أحرار قُدِّس سرّه وغلبتها حتى أوصل حضرة المُجَدِّد قُدِّس سرّه كل ذلك إلى البطون، يعني بلّغها إلى نهايتها وحَصّلها وحازها بالكمال، وأظهر من حاق صدره طريقًا إلى المحبوب، فأُلغيت تلك التكلّفات، وزال الشوق والوَجْد والحالات

والتضرّعات، فكل ما هو موجود فهو في القلب والروح والسرّ والخفيّ والأخفى وعناصر البدن حتى تقع الأنوار والتجلّيات من باطن السالك، أي يصدر ويظهر منه وينجرّ الأمر بالتدريج إلى مقام الخلّة، ومعنى المحبّية هو العاشقية، ومعنى المحبوبية هو المعشوقية، ومعنى الخلّة المُصاحبة والصدّيقية، وكان الأمر سابقًا العاشقيّة والمعشوقيّة، وهنا الاشتياق والتضرّع من الجانبين والمعاملة من الطرفين، وفي العاشقيّة الصّيْحَة والقلق والاضطراب ودقّ الرأس بالأبواب والجدران، وفي المعشوقيّة الغنج والدّلال والفخر والمُباهاة، هذا هو بيان طريق الخلّة على الإجمال، ومن أراد تفصيلها فليصحب واحدًا من أتباع المُجَدّد عدة من السنين، يعني برعاية شروطه وآدابه، ثم لينظر إلى وجدانه وليراجع فيه ماذا يظهر له وراء الطريقين السابقين، انتهى.

وقال صاحب جواهر الحقائق في كتابه المذكور على ما نقله عنه في الهديّة المُجَدّدية ما مُعْربه: إن الإمام الربّاني الشيخ أحمد السرهندي من أكابر الصوفية وجامع بين العلوم الظاهرية والباطنية وصاحب المقامات العَليّة والكرامات الجَليّة، وكان أكثر العلماء والعُرَفاء يُعَظّمونه ويُوَقّرونه، وذهب الفاضل المُحِقّ مولانا عبد الحكيم السيالكوني إلى مُجَدّديته وقال: إنه مُجَدّد المائة الحادية عشر، واشتهر في زماننا هذا مشاهير العرفاء في الهند والسّند والعرب والعجم خصوصًا في الروم والشام والعراق وبلاد الأكراد وسائر البلدان في سلسلته اشتهارًا تامًّا، وهو الذي نشر أنواع العلوم والأسرار وحاز في شرح مقامات الطريقة قَصَب السّبق على السابقين، وهو صار مُعَزّزًا بفهم المقطعات القرآنية، وامتاز بحصول أسرار المُتشابهات الفرقانية، وهو الذي انكشف له أسماء الأنبياء الذين مضوا بأرض الهند وأتباعهم، وبين مقاماتهم ودرجاتهم، وهو الذي بيّن بأعلام إلـهيّة مراتب الولاية والنُّبوّة والرسالة وكمالات أولي العزم ومقامات الخلّة والمحبة، وأظهر خصوصيات سيّد الأنبياء عليه وعليهم الصّلاة والسلام وقدّس الله روحه وروح سائر الأولياء، وأفاض علينا من فُتوحهم، آمين. انتهى.

وهذا قطرة من بحار مناقب هذا الإمام الهُمام قُدّس سرّه ونبذة من أحواله الظاهرة جمعناها هنا رجاء أن ينتفع بها بعض من لم يقف على كُنْه أخباره أو

سمع من المُعَاندين خلاف الواقع، وهو من أصحاب الأذهان القاصرة، وليس القصد منه استيفاء جميع كمالاته الظاهرة أو التعرّض لبيان بعض خصائصه الباطنة، كلّا؛ فإن هذا ممّا لا يُرام، ولا يُمْدَح مَن رامه بل يُلام، وإني لنملة عرجاء مساحة مسافة السماء الفسيحة الأرجاء، وإن كان الأسلم حوالة معرفة أحواله على ملاحظة آثاره ومطالعة أقواله، فإنه لا شيء أدلّ على معرفة الشيء من الاستدلال بآثاره عليه؛ ولذا قيل: شعر:

إن آثارنـا تـدلّ عـلـيـنـا فانظروا بعدنا إلى الآثار

خصوصًا آثاره قُدّس سرّه حيث عَمّت أنوارها كافّة الأقطار، حتى قال بعض المشائخ: إن الإمام ترك بعده كرامتين: المكتوبات والأولاد. قلت: فاته الثالث وهو الخلفاء العِظام الكِرام، فإن طريقته كما انتشرت بواسطة أولاده انتشرت أيضًا بواسطة خُلفائه، وكذلك أولاد أولاده وخلفاء خلفائه وهلمّ جرًّا إلى عصرنا هذا، حيث لا تزال تنتشر وتزداد يومًا فيومًا إلى كافة الأقطار على مرور الدهور والأعصار، فهل يكون شيء أدلّ على علوّ شأنه قُدّس سرّه من هذه، وهل يحتاج من أمْعَن النظر فيها إلى الاستدلال بشيءٍ آخر على معرفة أحواله؟ كلّا. شعر:

وليس يصحّ في الأذهان شيء إذا احتاج النّهار إلى الدليل

إلّا أن المشارب لمّا كانت مختلفة، والإنكار والمُعاندة والمخالفة ونَشْر الأباطيل والأراجيف جارية غير مفقودة، والتقليد في أكثر أبناء الزمان غالبًا، والتحقيق مفقودًا، رأينا الأصلح لهم التداوي من داء الإنكار بمَرْهم نَقْل أقوال هؤلاء العُلماء العِظام رحمهم الله تعالى الذين كتبوا ما كتبوا لمَحْض إبطال الباطل وإحقاق الحقّ من غير شائبة الأغراض النفسانيّة والوساوس الشيطانيّة، فمن اختار التقليد فليقلّد هؤلاء الأعلام وليترك قول اللّئام، ومن رفع رأسه عن حضيض التقليد إلى قُلَل الاستدلال وذُرَى التحقيق، فلْيُجِل نظره في مجالي آثاره قُدّس سرّه، وليرجع بصره هل يرى فيها من فطور، ثم ليرجع البصر كرّتين ينقلب إليه البصر خاسئًا وهو حسير، ويترنّم لسان حاله بهذه الأبيات بعد اعترافه بالتقصير: أشعار:

أعجب به من سائر ما عاقَهُ حُجُب المراتب ولا وَصفوْ مرائي

حتى انتهى لمّا بدا بنهاية ... للسائرين وراء وراء وراء

في شأنه رُتَبِ المَدِيح تقاصَرَتْ ... فلذاته اللّاوصف وَصْف وفاء

وليكن هذا آخر ما قصدنا إيراده في هذه المجلّة الحقيرة على مقتضى الأحوال، ونسأل الله سبحانه بها النّجاة من سائر الأهوال، ولله درّ من قال:

شعر:

شنّف بذكر ذوي المحبّة مسمع ... فبذكرهم تتنزّل الرحمات

فبحبّهم وبمدحهم وبجاههم ... وافى السرور وطابت الأوقات

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

تمّ الجمع في سنة 1309 وإصلاحه بالزيادة والنقصان سنة 1314 مستهلّ رجب الفرد، أعني ليلة الأحد بعد العشاء الأخيرة.



الرحمة الهابطة في تحقيق الرابطة

للشيخ حسين الدوسري

ضبطه وصححه وعلق عليه

الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي

الحسيني الشاذلي الدرقاوي



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي رفع لواء السُّنَّة السَّنِيَّة، وجدّد أمر المِلَّة المُحَمَّدية، وأيّد الشريعة الحنيفيّة، بظهور أهل المَزِيَّة، وبروز أهل الخصوصيّة، ووجود الطائفة المَهْدِيَّة، والزُّمرة التَّقيّة النقيّة، والتي بها تُغاث البَرِيَّة، ويدفع عنها كل رَزِيَّة، وتَنْجُو بها من كل بَلِيَّة، أفاض الله على المسلمين برها، وغَمَر بها فاجر الأمّة وبرّها، وجبر بها صدع القلوب وكسرها، أحمده على ما أوْلَى من هذه النّعمة، وكشف الغُمّة عن الأمّة، وأشهد أن لا إلـه إلّا الله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وبمنّته تكون الباقيات، وبرحمته تُكْشَف البَلِيّات، وأشهد أن سيّدنا محمدًا عبده ورسوله مَنْبع العلوم الإلـهيّات، صلّى الله عليه وعلى آله سفينة النّجاة، وأصحابه أولي الدرجات، وسلّم تسليمًا في جميع الأوقات.

أما بعد؛ فهذه رسالة كنت قد ألّفتها سنة سبع وثلاثين ومائتين وألف ووَرّيْت نسبتها إلى غيري لغرض قصدته، والأعمال بالنيّات، وقد حصل ذلك الغرض ولله الحمد، وقد بدا لي أن أُضيف إليها ما لم أُودعه فيها من كلام العلماء من غير تغيير وضعها السابق، مع تبيين من أردت بقولي فيها. أما بعد، فممّا مَنَّ الله عليّ في هذا السفر، وكان من موافقة القضاء والقدر النافذين مرورنا على بَنْدر البحرين واجتماعنا بجناب الفاضل الماجد الخاشع العابد الناصح الزاهد خليفة الشيخ خالد قَدَّس الله سرّه، ومُرادي به شيخنا الشيخ إسماعيل، وذلك لأنّي حين خرجت من البصرة مررت به وهو في قرية خارج البصرة، وقد تقدم أمره إيّاي بالسفر، فلما أتيته للوداع أوصاني ببعض الوصايا، فلهذا قلت: وانتفاعنا بلفظه، واستماعنا لوَعْظه، واطّلاعنا على حقيقته، وإشرافنا على طريقته، فرأيناها الطريقة المُثْلى، والقول الذي لم يزل في كل العصور يُمْلَى، جامعة لحقائق الطرائق وخلاصات الحقائق ولا يُنْكَر منها حرفًا إلّا أحمق أو مُنافق.

قال إمامنا الشافعيّ رضي الله عنه: الإنكار فرعٌ من النّفاق، وذلك لأن المنافقين لو لم يُنْكِروا على رسول الله ﷺ لآمنوا به ظاهرًا وباطنًا، ولقد طرق سمعي بعض مقالات منقولة عن المُزَوِّرين، وجهالات منسوبة إلى بعض المشهورين، وإنكار أمور عليها مدار العلماء العاملين، المتقدّمين منهم والمتأخرين، فوضعت رسالة مثبتة لما أنكروه ومبيّنة لما زوّروه، احتسابًا لوجه الله الأكرم وانتصارًا لاسم الله الأعظم، ونُصْحًا لأمّة محمد ﷺ، كَيْلا يقعوا في ورطة الإنكار، وكَيْلا يبقى الأخ المُنْكر على الإصرار، فيؤول به إلى دخول النار، لِمَا اشْتُهِر أنه يُخْشى عليه من سوء الخاتمة، نعوذ بالله من ذلك، وسمّيتها **الرحمة الهابطة في ذكر اسم الذات والرابطة**، ورتّبتها على سبعة أبواب: الباب الأول في وصية الأخ البار، بمصاحبة الأخيار، ومجانبة الأشرار. الباب الثاني في النقل الموجب للذّات، في ذِكْر اسم الذات. الباب الثالث في تعريف رابطة أُولي الاجتباء، وثبوت الرابطة لكل إنسان شاء أو أبى. الباب الرابع في القول الأسْنَى، واستحباب الرابطة الحُسْنى. الباب الخامس في قول أهل الاصطفاء، في رابطة المصطفى ﷺ. الباب السادس في القول المجمل، في رابطة الأولياء الكُمّل. الباب السابع في نُصْح المُنْكرين الخاصّ والعام، لحصول حُسْن الختام. وجعلت الخطاب لواحد في جميع الأبواب رجاء أن يتوجّه إلى هذا الكلام بقلبه، وأن يُقْبل على رَبّه، ويستغفر من ذنبه، والله أسأل أن يمنّ على مَنْ تأمّلها بعين الإنصاف باتّباع الصواب، وأن يجعلنا وإياه ممن أناب، وأن يَهب لنا رضاه إنه الكريم الوهّاب.

الباب الأول
في وصية الأخ البارّ، بمصاحبة الأخيار، ومجانبة الأشرار

اعلم أيها الأخ بصّرني الله وإيّاك طريق الحقّ والهدى، وأزال من قلوبنا داء الحسد وجنّبنا الاعتدا. إنك في زمان دين أهله اتّباع الهوى، ورفض التقوى، وطيّ المَليح، ونَشْر القبيح، ووصل الطّلاح، وهجر الصّلاح، وإشاعة البهتان، وكِتْمان الإحسان، ومُجانبة من قال الله، ومُصاحبة من اتّخذ هواه، إذا ذُكّروا لا يَذْكرون، وإذا رأوْا آية يستسخرون، ويطنبون بالنّميمة وعلى الغيبة لا يقتصرون، وإخوانهم يمدّونهم في الغَيّ ثم لا يقصرون، يُبارز أمثلهم الملك القدير، كي يذكر عند الأمير والوزير، ويعمل ما يُوجب الخلود في النار، لكي يُمدَح بين الفُجّار، فكره وذكره تكرير هات، وتقرير التُرهات وإضاعة الأوقات، والحِرْص على المُوبقات، وبُغْض المُتّقين، ومحبّة الفاسقين، وإخفاء النصائح، وإبداع الفضائح، وإظهار الودّ، وإضمار الحِقد ونَزْع الحياء، والتقمّص بالرِّياء، ونَفْي التواضع والبرّ، وإثبات العَجَب والكبر، إلى قوّال الزور وإن كَثُر يَجْنَحون، وبه يَفْرحون، وعليه ما يبرحون، وعن ذكر الله وإنْ قَلّ يَجْمَحون، وإذا سَمعوه يَكْلَحون، وعلى فاعله يَقْدَحون؛ فلا جَرْم أنهم بالخطأ قائلون، وعن الصّواب عادلون، وإلى المراء مائِلون، وعلى الافتراء حاصلون؛ إذ هم رحلوا عن نوادي العدل وفي بوادي الجَهْل هم نازِلون، فأولئك كالأنعام بل هم أضلّ أولئك هم الغافلون، قلوبهم بحبّ الفساد مَشْغُوفة، وعلى كَسْب مال العباد مَلْهوفة، وعن ذِكْر ربّهم مَصْروفة، يبذل أحدهم في الجهالات والضّلالات والتخليطات والتخبيطات جميع قواه، ويُعْرِضُ عن ذكر ربّه بائعًا دينه بأقلّ من نواة، ولا تُطِعْ من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتّبع هواه، إن أطَلْت بالغيبة لسانك، وأصْغَيْت لها آذانك، عَظّموا حين رؤيتهم لك شأنك، ورفعوا مكانك، وإذا غِبْت عنهم أظهروا عداوتك، وقرّروا بُهْتانك، فلا مَليحك شيّموه، ولا قَبيحك

يَدعوه، قلوبهم مملوءة حسدًا، كأنهم لم يروا الحشر غدًا، أكثرهم طوى بساط الهدى، كأنهم خلقوا سدًى، ولا يزالون في قال وقيل، ومن لم يوافقهم يرمونه بالأباطيل، فمِنَ التعطيل أن نحن بذكرهم نُطيل، فلا حاجة إلى التطويل، وما أُبَرِّىء نفسي إن النفس لأمّارة بالسوء إلّا ما رحم ربّي، والاعتراف بالاقتراف والتوبة إن شاء الله تعالى دَأْبي، والرَّجاء وحسن الظنّ بالله حَسْبي، رحم الله الشيخ القويّ حيث يقول: أشعار:

فـؤادٌ لا يُـقِـرّ لـه قـرار ... وأجـفـانٌ مـدامِـعُـهـا غِـزار

ولـيـلٌ طـال بـالأفـكـار حتـى ... ظَنَنْتُ الليل ليس له نـهـار

ولِمَ لا والـتُّـقَـى حُـلَّت عُـراه ... وبـان عـلى بَنِيـه الانـكـسـار

لِيَبْكِ معي على الدِّين البَوَاكي ... فـقـد أضْـحَـت مـواطِـنـهُ قِـفـار

وأضْـحَـى لا تُـقـام لـه حـدود ... وأمـسـى لا يـبـيـن لـه شـعـار

وعـاد كـمـا بـدا فـيـنـا غـريـبًا ... هنالك ما له في الخلق جار

فقد نَقَضُوا عُهُودهم جِهارًا ... أسـروا بـالـمـداوة ثـم سـاروا

فعليك يا أخي بحُسْن الاعتقاد وسلوك سبيل الرّشاد، ولا يغرّك تخبيط أهل العناد، قال الفضيل: اتّبع طرق الهدى ولا يضرّك قلّة السالكين، وإياك وطرق الضلال، ولا تغترّ بكثرة الهالكين؛ وذلك أنه لا تَزِر وازرة وِزْر أخرى، وعن قريب تجتمع الخلائق في الأخرى، ويمتاز الذين ظلموا والذين لهم البشرى؛ فعليك بصحبة من ينهضك حاله، ويدلّك على الله مقاله، واهتدِ بمقال أفضل مرسل صدق مقاله صلّى الله عليه وآله وصحبه وسلّم ما نَوّر الأفق كوكب الفلك وملاله: «إنما مثل الجليس الصالح وجليس السّوء كحامل المِسْك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإمّا أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه رائحة طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة»[1]، وقوله ﷺ: «خياركم الذين إذا رؤوا ذكر الله»[2]، وهذان الحديثان يصلحان أن

---

(1) رواه البخاري في صحيحه في بابين: أحدهما باب بيع السلاح في الفتنة وغيرهما...، حديث رقم (1995) [2/ 741]؛ ومسلم في صحيحه، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء...، حديث رقم (1995) [2/ 741]؛ ورواه غيرهما.

(2) رواه الطبراني في المعجم الكبير، باب حديث رقم (10476) [10/ 205]؛ وأحمد في المسند، =

يكونا دليلاً للتوجّه والرابطة؛ لأن من ألفاظهما ومعانيهما ما هو مُطابقٌ للواقع، كما أنهما يرغبان في صُحْبة الصالحين، فإنه ﷺ شبَّه الصالح بحال المسك، ثم ذكر أنه يحصل من مجالسته إحدى ثلاث فوائد: واحدة مقطوعٌ بها، وهي وجدان الريح؛ إذ لا مانع فقال: إما أن يحذيك، أي يعطيك بلا عوض، والعطا هنا إما إفادة عِلْم بلا سؤال، وإما إفادة حال بتوجّه من ذي كمال، قيل: ونظرة منه إن صحّت إليه على سبيل ودّ بإذن الله تغنيه.

وأما قوله: فإما أن تبتاع منه، أي تسأله فيجيبك بما ينفعك، هذا من حيث اللّسان، أو تستمدّ منه فيُمِدّك بروحانيّته، وهذا من حيث الجِنان. وقد يجمع بينهما، وهذا الأخذ والإعطاء الروحاني عند أهله مُدْرك بالوجدان كالمحسوس، فإنكار من لم يسلك سبيلهم لا يُلْتفت إليه؛ إذ لا يستوي الأعمى والبصير، كما لا يستوي المِسْك والكير وأنّى للأبكم الفصاحة وحسن التقرير.

وأما قوله: وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، أي يسري إليك من حاله ما تنتفع به، وهذه الجملة مُطابقة ظاهرًا لفعل التوجّه من وجه؛ إذ هو انعكاس حاصل ما يفعل تارة من غير استدعاء، وإليه الإشارة بإما أن يحذيك، وتارة بالاستدعاء والفعل، وإليه الإشارة بتبتاع منه، وتارة انعكاس من غير استدعاء ولا فعل، وإليه الإشارة بتجد منه ريحًا طيّبة عبّر بالوجدان دون غيره من الألفاظ؛ لأن الجليس يُدرك بذوقه ما يَسْري إليه من قلب جليسه الصالح، وإذا كانت الطباع تسرق فمن باب الأولى أن القلوب المُنيرة تسرق وتحصل الفائدة من الجليس الصامت، ولا معنى لها سوى سَريان حاله في جليسه، ومن المعلوم أنّ من جالس شخصًا، سيّما إذا كان الجلوس على طريق المحبة والاعتقاد، لا بدّ أن تُرْتَسَم صورته في ذهنه، فمهما تَذَكَّره تخيّل صورته، فإن كان الشخص من أحباب الله فتخيل صورته يدعو إلى محبّته والشوق إليه ومحبّته مطلوبة والشوق إليه محبوب، فتخيّل صورته محبوب؛ إذ من تَصَوّر موصوفًا تصوّر صفاته، فإذا كانت صفاته محبوبة عند الله فتصوّره المُوجب لتصوّر صفاته المحبوبة محبوب، ولا معنى للرابطة سوى هذا، ولا يرتاب عاقل في أن الإنسان مختارٌ في حركاته

= حديث رقم (27640) [6/ 459]؛ ورواه غيرهما.

الظاهرة وتصوّراته الباطنة؛ إذ لا حجر عليه من جهة الشّارع، إلّا إن تحرّك في معصية أو إلى معصية، وكذا إن تصوّر فعل معصية كمن يتصوّر أنه يزني، فهذا محظور بخلاف من تصوّر أنه يأتي حرثه فلا مانع من ذلك، وأن قوله ﷺ: «خياركم الذين إذا رؤوا ذكر الله»[1]، فهذا كالشرح لقوله: «أو تجد منه ريحًا طيبة»[2]، جعل مُجَرّد رؤيتهم مُحَصّلة لذكر الله؛ وذلك لأنهم منسوبون إلى ذكر الله، وإذا رأى المنسوب ذُكِرَ المنسوب إليه، وهو عين الذّكر؛ لا سيّما إذا كانت رؤيتهم على طريق المحبّة والاعتقاد الصحيح، فإنه يحصل بها رَفْع الحِجاب عن القَلْب، فينتقش فيه ذكر الله، فإن كانت رؤية مع مجالسة، فهذه أبلغ من حصول الذّكر بسبب انعكاس أنوار القلوب.

ولتتيقّن يا أخي وتَجْزم بأني لم أذكر لك جميع ذلك عن ظنّ وتخمين، لا والذي وَسِعَتْ رحمته كل شيء، بل عن تجربة وتحقيق والشفيق يجتهد في النصيحة، فقل لمن لم يسلك هذا السبيل، ولم يَذُقْ من شرابه السلسبيل، على نفسه فَلْيَبْكِ من ضاع عُمْره، وليس له فيها نصيب ولا سَهْم.

والحاصل أن صحبة الصالحين مُحْتاجٌ إليها وقد قالوا: الرفيق قبل الطريق، وتطهير القلب عن الصّفات المذمومة كالكبر والعجب والرّياء ومحبّة الدنيا ونحوها فرض على كل مسلم بإجماع العلماء؛ لأن جميع الطاعات يترتّب وجودها والإحسان فيها على تطهير القلب، ويكفيك قوله ﷺ: «إن في الجسد لمُضْغَة إذا صَلُحَتْ صَلُحَ الجسد كلّه»[3] الحديث، وتطهير القلب لا يحصل على الوجه المراد إلّا بصحبة مرشد كامل، وتأمّل عهود الشعراني الكُبْرى يتحقّق عندك صحة هذا القول.

---

(1) رواه الطبراني في المعجم الكبير، باب حديث رقم (10476) [10/ 205]؛ وأحمد في المسند، حديث رقم (27640) [6/ 459]؛ ورواه غيرهما.

(2) رواه البخاري في صحيحه في بابين: أحدهما باب بيع السلاح في الفتنة وغيرهما. . .، حديث رقم (1995) [2/ 741]؛ ومسلم في صحيحه، باب استحباب طَلاقة الوجه عند اللقاء. . .، حديث رقم (1995) [2/ 741]؛ ورواه غيرهما.

(3) رواه البخاري في صحيحه، باب فضل مَن استبرأ لدينه، حديث رقم (52) [1/ 28]؛ ورواه مسلم في صحيحه (20 باب أخذ الحلال وترك الشُّبُهات) حديث رقم (1599) [3/ 1219]؛ ورواه غيرهما.

قال الحبيب سيدي عبد الله باعلوي الحداد: عليكم بصحبة الأخيار والتأدب بآدابهم مع التعظيم البالغ لهم وحُسْن الظنّ الصادق فيهم، فإنما قلّ انتفاع أهل الزمان بالصالحين من حيث قلّة التعظيم لهم وضُعْف الظنّ بهم، فحُرِمُوا بسبب ذلك بركاتهم، ولم يُشاهِدوا كراماتهم حتى توهّموا أن الزمان خالٍ من الأولياء، وهم بحمد الله كثيرون ظاهرون ومخفيّون، وذلك لأن ظهورهم في كل زمان لا بدّ منه، ومن اعتقد غير ذلك يُخْشَى عليه تكذيب النبيّ عليه السلام، فإنه قال: **«لا تزال طائفة من أمّتي ظاهرين على الحقّ حتى تقوم الساعة»**[1]، وصَفهم بالظهور وهو شامل كالغلبة والنصرة، فاعتقاد خلافه مهجور أو محظور.

فإن قيل: المراد بالطائفة أهل السنّة، وهم ظاهرون، ولله الحمد. **فيقال:** لا شكّ أنّ مذهب السنّة هو الحقّ، وأن أهل السنّة بالنسبة إلى فرق هذه الأمّة هم الطائفة لكن للحقّ شروط لا يتمّ إلّا بها، وليس كل فرد من أهل السنّة جامع الشروط، فخواصّ أهل السنّة بالنسبة إلى عوامّهم هم الطائفة، ومنهم المجتهدون في الأحكام والعقائد الدينية والمُجاهدون لإعلاء كلمة الله.

فإن قيل: بل المراد بالطائفة أهل العلم من الفقهاء والمُدَرِّسين من أهل السنّة. **فيقال:** وهذا حقٌ أيضًا، وهل الطائفة المُحِقّة المَهْدِيّة إلّا أهل العلم؟ لكن إنْ كان هذا الفقيه المُدَرِّس عَدْلاً جامعًا لشروط الإسلام فَضْلاً عن الإيمان، فَضْلاً عن الإحسان، والمُسْلم من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده، مع أن هذه المقامات التي وردت بها الشريعة لا يكون العبد مُحِقًّا ظاهرًا وباطنًا حتى يتّصف بها.

وأما الفقهاء والمدرّسون الذين يقرؤون درس الغيبة ويقرّرون مسائل الرِّيْبة ويقعون في الأخيار، ويزدرون بالفقراء ويتذلّلون للجَهَلة والحمقى من الأغنياء والتجار، وكادوا يعبدون الأمراء مع ما يُشاهَد من أكْلِهم الحرام والكبر والعجب والترفّع على الأنام، فهؤلاء فَسَقة الأنام، وقد تَعْرِف الفَسَقة جملة من العلوم

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب قول النبي ﷺ: «لا تزال...»، حديث رقم (6881) [6/ 2667]؛ ومسلم في صحيحه في أبواب عدّة منها باب قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي...»، حديث رقم (1920) [3/ 1523]؛ ورواه غيرهما.

والأحكام، وهم أقبح حالاً من العوامّ، وأين هم وأين الطائفة الظاهرة على الحقّ على الدوام؟ وإنما المراد بالطائفة العدول من العلماء العاملين والمشائخ الكاملين الذين يَصْدُق عليهم قوله ﷺ: **«يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المُبْطِلين»**[1]، فهذا الحديث مُصَرِّح بأن العدول يحملونه لأن غيرهم لا يعرف منه شيئًا، والعدول بالظاهر والباطن الظاهرون اليوم كالمُرْشد الكامل العالم العامل العارف الماجد الشيخ خالد والأكابر من أتباعه وأُناس من الحَرمين وبغداد واليمن نعرفهم، والله أعلم بعباده وبلاده، ومن لا نعرفهم أكثر؛ فهؤلاء على هُدًى من ربِّهم والسعيد من كان من حِزبهم.

أما الشيخ خالد، فلِمَا هو مُشاهَد من علوّ همّته وعدم مُبالاته بما سِوَى الله من مُلْك وغيره وجميل مروءته وحُسْن خِلْقته وغزارة عِلْمه وإتقانه العلوم العقلية وتبحّره خصوصًا في العلوم الشرعيّة، كما أنه وِعَاء العلوم اللّدنيّة وما يجري لأتباعه وأتباع أتباعه من الأحوال السّنِيّة والكُشوف الإلـهيّة والأذواق والمواجيد وغيره ذلك مما رأيناه ووجدناه وشَهِدْناه.

وقد أشَرْت منه إلى جُمَل في الأساور العَسْجديّة لا يُدْرِك معانيها إلّا مَن له قلب، ومن ذلك عظيم شفقته ورأفته بالمسلمين واعتنائه بأُمّة محمد ﷺ الذي حمله على أن وجّه إلى كل قطر قطرًا يحيي به أموات القلوب، وإلى كل أُفق بدرًا يهدي به إلى المطلوب، فيا لها من نِعْمة يجب شكرها على المسلمين، وكُفْرها لا يكون إلّا من ضعيف الدِّين عديم اليقين، ليس هو من المُتّقين، فإن المُتّقي ما تحمله النفس على الحسد، ولا يؤول به اتّباع الهوى إلى جحود فضل أهل التّقْوى.

وأما أكابر أتباعه، فلِمَا شَهِدنا من بعضهم الذين رأيناهم من العمل بالعلم والنصيحة والتعليم وحُسْن السِّيرة وإخلاص السَّريرة التي يدلّ عليها عدم التفاتهم إلى الخلق إلّا لنفعهم واعتمادهم على الحقّ في خفضهم ورفعهم واستغراقهم

---

(1) رواه الطبراني في مسند الشاميين، عن علي بن مسلم البكري، حديث رقم (599) [1/ 344]؛ وتمام الرازي في فوائده، الجزء الرابع عشر من فوائد تمام، حديث رقم (899) [1/ 350].

في العبادة وانهماكهم فيما يُوجب لهم السّعادة، فلا شكّ أنهم من خلاصة الطائفة المذكورة، ومخّ من ذكرهم الله من آية سورة، فعليك يا أخي بمحبّة هذه الطائفة وصحبتهم وخدمتهم والانتساب إليهم، فإنهم قوم لا يشقى جليسهم، فكيف محسوبهم!! وفقني الله وإياك وهو أكرم الأكرمين.

الباب الثاني

في النقل الموجب للذات، في ذكر اسم الذات

اعلم أيها الأخ شغلني الله وإياك بذكر اسمه الأعظم أن أكثر العلماء بالله وأجلّهم نصيبًا من الله وأجملهم شهودًا لله وأفضلهم صحوًا مع الله وأمْثَلهم مَحْوًا في محبّة الله الذين تكون بدايتهم الله ونهايتهم الله، وعلى ذلك أكثر العارفين من المتقدّمين والمتأخّرين، قال الله: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ [المزمل: الآية 8]، واسمه الجامع الله، وهو علم [على] الذات الواجب الوجود لذاته، قال ثعلب: اسم مفرد فيه توحيد مُجَرّد، قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: الآية 91].

فإن قيل: هذا لا دلالة فيه؛ لأنه نزل ردًّا على من قال: ما أنزل الله على بشر من شيءٍ، فلمّا أُلْزِم بكتاب موسى، فلم يجب قيل له: قل هذا الجواب إن لم يقله، فيقال: ما يلزم من كونه ردًّا أنه غير متعبّد به، فإن قولنا أيضًا: لا إلٰه إلّا الله ردٌّ على من جعل مع الله إلٰهًا آخر، فهما سيّان.

وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى لا يُقال في الأرض الله الله**»[1]، وفي رواية: «**لا تقوم الساعة على أحد يقول الله الله**»[1]، فهذا الحديث مُصَرّح بأن الله الله من الأقوال التي تقال، وأنه إذا انْصَرم الزّمان لم يَبْقَ أحدٌ يذكر الله بهذا القول، وحديث: «تقوم الساعة» فكلام الله سبحانه وتعالى وكلام رسوله ﷺ فيهما الهداية للمُوَفّق العامل بهذا الذّكر والكفاية للمشكك المنصف والنكاية للمتعصّب المتصلّف.

وأما كلام العلماء المُحَقّقين الجامعين بين الفقه وغيره من العلوم الشرعيّة، فقد قال الإمام حُجّة الإسلام الغزالي في الإحياء في كتاب رياضة النفس عند

---

(1) رواه مسلم في صحيحه، باب ذهاب الإيمان آخر الزمان، حديث رقم (148) [131/1]؛ وأبو عوانة في مسنده، بيان أن الساعة لا تقوم...، حديث رقم (293) [94/1]؛ ورواه غيرهما.

ذكر فوائد الخلوة: وعند ذلك يلقنه، أي يلقّن الشيخ المُريد ذكرًا من الأذكار حتى يشتغل به لسانه وقلبه فيجلس مثلاً ويقول: الله الله أو سبحان الله، أو ما يراه الشيخ من الكلمات، انتهى. قال الإمام الحبر الجليل النواوي الذي قال فيه التقيّ السبكي: شعر:

وفي دار الحديث لطيفُ مَعْنًى أُصلّي في جوانبه وآوي
لعلّي أن أنال بحر وَجْهي تُرابًا مَسَّه قدم النواوي

في حزبه المشهور: الله الله الله ربّي لا أشرك به شيئًا، الله الله ربّي لا إله إلّا الله، انتهى.

والكلام على كونه مفردًا أو جملة يأتي إن شاء الله، وقال الإمام الكبير الفخر الرازي في كتابه «أسرار التنزيل»: وأما الذين اكتفوا في النهايات بكلمة الله فلهم فيه وجوه:

الحجّة الأولى: أن نفي العيب عمّن يستحيل عليه العيب عيب.

الحجّة الثانية: أن من قال لا إله إلّا الله فلعلّه حين ذكر كلمة النفي لا يجد من المهلة ما يصل منه إلى الإثبات، ويبقى في النفي غير منتقل إلى الإثبات، وفي الجحود غير منتقل إلى الإقرار.

الحجّة الثالثة: إن المواصلة على هذه الكلمة متشعّبة بتعظيم الحقّ والاشتغال بنفي الأغيار يرجع في الحقيقة إلى شغل القلب بالأغيار، وذلك يمنع من الاستغراق في نور التوحيد، فمن قال لا إله إلّا الله فهو مشتغل بغير الحقّ، ومن قال الله فهو مشتغل بالحقّ، فأين أحد المقامين من الآخر؟

الحجّة الرابعة: إن نفي الشيء إنما يُحتاج إليه عند خطران ذلك بالبال وخطور شريك الله بالبال لا يكون إلّا لنقصان في الحال، فأما الكاملون الذين لا يخطر ببالهم وجود الشريك امتنع أن نُكَلّفهم بنفي الشريك، بل هؤلاء لا يخطر ببالهم ولا في خيالهم إلّا ذكر الله؛ فلا جَرْم يكفيهم أن يقولوا الله. الحجّة الخامسة: قال الله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: الآية 91] فأمره بذكره ومَنَعَه من الخوض معهم في أباطيلهم ولعبهم، والقول بالشريك من

الأباطيل، ففيه خوض في ذلك الكلام، وكان الأَوْلى الاقتصار على قولنا: الله، انتهى.

وقال الجهبذ المنور والعَلامة المصدر والنحرير المشتهر الشيخ شهاب بن حجر في الفتاوى الصغرى: وذكر لا إله إلّا الله أفضل من ذكر الجلالة مطلقًا.

هذا بلسان أئمة الظاهر. أما عند أهل الباطن، فالحال يختلف بأحوال السالك، فمن هو في ابتداء أمره ومقاساته لشهود الأغيار وعدم انفكاكه عن التعلّق بها وعن إرادته وشهواته وبقائه مع نفسه يحتاج إلى إدمان الإثبات بعد النَّفْي حتى يستولي عليه سلطان الذكر وجواذب الحقّ المترتّبة على ذلك، فإذا استولت عليه تلك الجواذب حتى أخرجته من شهواته وإرادته وحظوظه وجميع أغراض نفسه صار بعيدًا عن شهود الأغيار، واستولى عليه مراقبة الحقّ وشهوده، فحيث يكون مستغرقًا في حقائق الجمع الأحدي والشهود السَّرْمدي الفردي، فالأنسب لحاله الإعراض عمّا يذكر بالأغيار واستغراقه فيما يناسب حاله من ذكر الجلالة فقط؛ لأن ذلك فيه تمام لذاته وتمام مسرّته ونِعْمَته ومنتهى إرْبِهِ ومحبّته، بل لو أراد قهر نفسه إلى الرجوع إلى شهود غيره حتى ينفيه أو تعلق به خاطره لم تطاوعه نفسه المطمئنة لما شاهدت من الحقائق الوهبية والمعارف الذوقية والعوارف اللّدنيّة.

وقد فتحنا لك بابًا تستدلّ بما ذكرناه في فتحه على ما وراه، فافهم مقاصد القوم السالمين من كل محذور ولَوْم وسَلِّم لهم تَسْلم، ولا تنتقد حقيقة من حقائقهم تندم، بل قُلْ فيما لم يظهر لك، والله أعلم، انتهى.

وقال العلّامة عبد الرؤوف المناوي في شرحه الكبير على الجامع الصغير في شرح قوله ﷺ: «اذكر الله فإنه عونٌ لك على ما تطلب»[1]، قال: اذكر الله بالقلب بأن تقول لا إله إلّا الله مع إخلاص، والذّكر ثلاث: نفي وإثبات وإثبات بغير نفي، وإشارة بغير تعرّض لنفي ولا إثبات؛ فالأول قول لا إله إلّا الله

(1) أورد السيوطي في الدّرّ المنثور وعَزاه إلى ابن عساكر، سورة الأنفال، الآية (45) [4/ 75].

والذِّكر به قوام كل جسد وموافق لمزاج كل أحد، الثاني اسمه الشريف الجامع وهو الله اسم جلال محرق ليس كل أحد يطيق الذكر به، والثالث ذكر الإشارة وهو هو، فدوام ذكر لا إلـه إلّا الله سبب لليقظة من الغفلة، وذكر الله سبب للخروج عن اليقظة في الذِّكر إلى وجود الحضور مع المذكور، وذكر هو هو سبب للخروج عن ما سوى المذكور.

وقال أيضًا في شرح قوله ﷺ: «مَنْ سَرَّه أن يحبّ الله ورسوله فليقرأ القرآن»[1]، قال: نظرًا في المصحف، ثم قال بعد كلام: كان بعض المشائخ الصوفية إذا سلك مريدًا أشغله بذكر الجلالة وكتبها له في كفّه وأمره بالنظر إليها حالَ الذِّكر، قالوا: هذا أوّل شيء يرفع، كما قاله عبادة بن الصامت، ويبقى بعده على اللّسان حجّة فيتهاون الناس فيه حتى يذهب بذهاب جملته، ثم تقوم الساعة على شِرار الناس ليس فيهم من يقول الله الله.

وأما كلام المحقّقين من الصوفية الجامعين بين العلم الظاهر والباطن، فقد قال الشيخ العارف أحمد الغزالي أخو حجة الإسلام في رسالته «التجريد في كلمة التوحيد»: اعلم أن السالك له ثلاث منازل، فالمنزل الأول: عالم الفناء، والمنزل الثاني: عالم الجَذْبة، والمنزل الثالث: عالم القبضة، فاجعل ذكرك في عالم الفناء: لا إلـه إلّا الله، وفي الجذبة: الله الله، وفي عالم القبضة هو هو، انتهى باختصار.

وقال الشيخ عفيف الدين التلمساني في كتابه «الكبريت الأحمر»: العارفون على أن أفضل العبادات حفظ الأنفاس مع الله، ويكون دخولها وخروجها بذكر الجلالة، وهو قولك: الله الله ولا إلـه إلّا الله، وهو الذِّكر الخفيّ الذي لا تتحرّك به الشَّفتان، انتهى.

وقال العارف بالله الشيخ عبد السلام بن مشيش في آخر صلاته على النبيّ عليه السلام الصلاة المشهورة: الله الله إن الذي فرض عليك القرآن لرادّك

---

(1) هذا الأثر لم أجده فيما لديّ من مصادر ومراجع والذي ورد قوله ﷺ: «إذا أحبَّ أحدكم أن يحدّث ربّه فليقرأ القرآن»، رواه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب، حديث رقم (1195) [302/1].

إلى معاد، انتهى. وقال ابن عطاء الله الشاذلي في كتابه «مفتاح الفلاح»: الذكر الرابع: الله ويسمّى المفرد لأن ذاكره مشاهد لجلال الله وعَظَمَته، قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: الآية 91]، وقال في باب ذكر الخلوة منه: وليكن ذكرك الاسم الجامع وهو الله، واحذر أن يفوه به لسانك، وليَكن القلب هو القائل والأذن مصغية لهذا الذِّكر حتى ينبعث الناطق في سرّك، فإذا أحسست بظهور الناطق فيك بالذكر فلا تترك حالتك التي كنت عليها، انتهى.

وقال الإمام العارف الشيخ عبد الوهاب الشعراني في العهود الصغرى: أخذ علينا العهد أن لا يمضي علينا يوم ولا ليلة حتى نذكر الله عزّ وجلّ بتكرير الجلالة أربعًا وعشرين ألف مرّة عدد الأنفاس الواقعة في الثلاث مائة وستين درجة.اهـ. وقال العارف الشيخ يوسف الكوراني في قوله ﷺ: «موتوا قبل أن تموتوا»[1]: وظاهر صفات الميت أن لا يرى ولا يتكلّم ولا يتحرّك ولا يعجز أحد أن يُغْمِض عينيه ويَسْكن ويسكت مقدار ثلاثة أنفاس أو مقدار استطاعته، فقد قال ﷺ: «إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم»[2]، فإذا فعل ذلك فقد مات وأتى باستطاعته في ظاهره، فإذا أضاف عليه الله الله بالقلب دون اللّسان، فقد شارك الخاصّ بالقدم، وأنه جعل ذلك مرجعه في كل ما وجد فراغه صار من السالكين الخواص على قدر أُنسه بالله لله، وعلى قدر ثباته فيه يكون من الفائزين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

ونَقْل جميع ما ورد من كلام العلماء في ذكر الجلالة أمرٌ مُتَعَسِّر جدًّا، بل متعذِّر؛ إذ يحتاج إلى صرف زمان وتتَبع جميع الكتب التفسيرية والحديثية والصوفية، والكتب في هذه الفنون لا حَصْر لها، فمن المستحيل الوقوف عليها، ومن لا يكتفي بإمام واحد من هؤلاء الأئمة لا خير فيه، وقضية الشِّبْلي

---

(1) أورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (2669) [2/ 384]؛ والهروي في المصنوع [1/ 371].

(2) رواه البخاري في صحيحه، باب الاقتداء بسُنن رسول الله ﷺ...، حديث رقم (6858) [6/ 2658]؛ ومسلم في صحيحه، باب فرض الحج مرة في العمر، حديث رقم (1337) [2/ 975]؛ ورواه غيرهما.

المشهورة لا تُخْفَى على مَنْ هو له مطالعة في سِيَر الصالحين ذكرها غير واحد منهم الفخر الرازي في «أسرار التنزيل»، ومنهم ابن عطاء الله في «مفتاح الفلاح»: أن رجلاً سأل الشبلي: لِمَ تقول: الله ولا تقول لا إلٰه إلّا الله؟ فقال: إن الصِّدِّيق أعطى ماله فلم يُبْقِ معه شيء، فتخلّل بالكساء بين يدي النبيّ ﷺ، فقال له: وما خلّيت لعيالك؟ فقال: الله، فكذا أنا أقول: الله، فقال السائل: أريد أعلى من هذا، فقال الشّبلي: أستحي من ذكر كلمة النَّفْي في حضرته والكل نوره، قال السائل: أريد أعلى من هذا، فقال الشِّبْلي: أخاف أن أموت على الإنكار، فلا أصل إلى الإقرار، فقال السائل: أريد أعلى من هذا، فقال الشِّبلي: قال الله تعالى لنبيّه ﷺ: ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: الآية 91]، فقام السائل فزعق زعقة فقال الشِّبْلي: الله، فزعق ثانيًا، فقال الشِّبْلي: الله، فزعق ثالثًا ومات، فاجتمع أقارب الفتى وتعلّقوا بالشِّبْلي وادّعوا عليه الدم وحملوه إلى الخليفة، فأذن لهم فدخلوا عليه وادّعوا الدم، فقال الخليفة للشبلي: ما جوابك؟ فقال: رُوحٌ حَنَّت فَرَنَّت وسَمَتْ فصاحت ودُعِيَتْ فسَمِعَت فَعَلِمَت فأجابَتْ، فما ذنبي؟ فصاح الخليفة: خَلُّوا سبيله، ونظير هذا السؤال ما ذكره الشيخ الأكبر محيي الدين في الفتوحات أنه سأل أحد شيوخه: لِمَ تقولون الله ولا تقولون لا إلٰه إلّا الله؟ فقال: ما سمعت ولا رأيت أحدًا يقول: أنا الله غير الله، فأنا أقول كما يقول الله، انتهى.

وهٰهنا عبارة جميلة ينبغي أن نوقفك عليها لنعلم كيف اعتناء العلماء بهذا الذِّكر. قال القاضي عياض في متن الشفاء في وصف أولياء الله اللاهجين بصادق قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: الآية 91]، قال الشارح الخفاجي: يعني أن هؤلاء المخلصين لله المُخْتَصِّين به الذين شغلوا ظاهرهم وباطنهم بمحبّته وردهم دائمًا ذكر الله والإعراض عمّا سواه متمثّلين بهذه الآية ومقصود المصنّف التمثّل بها تمثل الشبلي لمن قال له: أوصني، فقال: عليك بالله ودَعْ ما سواه، وكُنْ معه وذَرْهم في خوضهم يلعبون، ثم قال: وهٰهنا بحث وهو أنه قيل: إن ذكر الله بتكرير لفظ الجلالة بدعة لا ثواب فيها. قال الخطاب في شرح مختصر الشيخ خليل: سُئِل العِزّ بن عبد السلام عمّن يقول الله الله مقتصرًا على ذلك، هل هو مثل سبحان الله ونحوه؟ فأجاب

بأنه بدعة لم يُنْقَل مثله عن أحد من السّلف والذكر المشروع لا بُدّ فيه من أن يكون جملة مفيدة والاتّباع خير من الابتداع ونحوه ما أفتاه البلقيني في قوم لا يزالون يقولون: مُحَمّد مُحَمّد كثيرًا، ثم يقولون: مُكَرّم مُعَظّم، فأجاب بأنه ترك أدب وبدعة لم تُنْقَل.

قال الخفاجي: أقول: ما ذكره في اسم النبيّ ﷺ من كونه بِدْعَة ظاهر لأنّه مع كونه لم يتعبّد بمثله داخل فيما نهى عنه؛ لقوله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور: الآية 63]. وأما ذكر الله فقد ورد الأمر به ووعد ذاكره بالثواب في آيات وأحاديث لا تُحْصَى؛ كقوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ [الأحزاب: الآية 35]، وفي الحديث القدسي: «من شَغَلَهُ ذِكْرِي عن مَسْأَلتي أعطيته أفضل ما أُعْطِي السائلين»[1] إلى غير ذلك، ولم يقيّد بقيد على أن الذاكر قصده التعظيم والتوحيد، فهو إذا قال الله ملاحظًا لمعناه، فكأنه قال: معبودي واجب الوجود مستحقّ لجميع المحامد، ولم يزل العلماء والصُلَحاء يفعلونه من غير نكير، وكان الأستاذ البكري يفعله ويقول بعده: أستغفر الله مما سوى الله وكل شيء يقول الله، وفي مجلسه أجِلّة العلماء والمشائخ، وهذا هو الحقّ، وقد صنّف في رَدّ مقالة ابن عبد السلام هذه عدّة رسائل رأيناها، وممن صنّف فيها القطب القسطلاني والعارف بالله المرصفي والشيخ عبد الكريم الخلوتي، وبه أفتى من عاصرناه، اللّهمّ احشرنا في زُمْرة الذّاكرين ولا تجعلنا من الغافلين، انتهى.

فيكفي ما أوردناه من كلام الخفاجي مع أن الشيخ عبد الوهاب الشعراني ذكر أن العزّ بن عبد السلام سُئِل: أيّما أفضل أو أوْلى للذاكر الاشتغال بذكر الجلالة، أو لا إلـٰه إلّا الله، فأجاب: بأن لا إلـٰه إلّا الله أفضل للمبتدىء، والجلالة أفضل للمنتهي، انتهى. على أنّا لا نسلم قول الله مفردًا، وإنما هو جملة فعلية لأنه منادى، وياء النداء المحذوفة نائبة مَنَاب الفعل فلا شبهة عليك إنْ كنت جاهلاً، وإنْ كنت عاقلاً فاكْتَفِ بكلام واحد من هؤلاء الأئمة، فاسمع أسْمَعَك الربّ قول الله من داخل القلب، ولا جعلك ممن يتعصّب فيحجب قول

(1) رواه القضاعي في مسند الشهاب، (378 مَن شغله ذِكري...) حديث رقم (584) [1/ 340]؛ والبيهقي في شعب الإيمان، حديث رقم (572) [1/ 413]؛ ورواه غيرهما.

بعض المتوجّهين إلى الله بلّغه ربّه ما يتمناه، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.
أشعار:

إن الشياطين أنواعٌ مُنَوَّعة منها الموسوس والآتي بتلبيس
وَشَرّها من كمثل الناس صورته فرخ الرَّجيم أخو الأغوى بتأسيس
إن قلت الله قال احذر تقله فذا لا فضل فيه فقل مه ضنأ جغموس
اذكر قل الله واحذر أن تميل إلى قول الغويّ وتلبيسٌ لإبليس
شَرْحُ الخفاجي يَنْفي كل وسوسة فلا تبال بوسواس بن طعموس
واتْلُ العهود ومفتاح الفلاح كذا شرح المناوي واهجر كل دعبوس
هو الغبيّ الجهول وهو ذو حمق يصغي إلى كل ذي زور وتدليس
من الغزالي والرازي والنووي والشاذلي الألى من كل أريس
والقسطلاني والبكري قدوته من ذا يخالفهم من أجل جعسوس
أتنكرون علينا أن نقلّدهم يا شيعة الإفك كلاّ زُمْرة السوس
يا ويح قوم بغوا والبغي مهلكهم على كرام أولي ذكر وتقديس
الله الله قبح فيه عندكم الله أكبر يا غارات قدوس

فعليك يا أخي بالإقبال على الله والاشتغال بذكر الله خصوصًا بهذا الاسم الأعظم الذي حصل به الفضل للا إله أو الله، فلو قالها مكلّف ولم يتمّها به كفر، فلا تطع من أنكر وعن الحقّ استكبر، فتقول حين تُقْبَر وتُحْشَر ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ۝٢٨ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ۝٢٩﴾ [الفرقان: الآيتان 28، 29]، وفّقني الله وإيّاك للإقبال عليه بالذكر الموجب للفوز لديه.

الباب الثالث

في تعريف رابطة أُولي الاجتباء، وثبوت الرابطة لكل إنسان، شاء أو أبى

اعلم أيّها الأخ وفّقك الله لسلوك الصراط المستقيم وعصمني وإيّاك من الشيطان الرجيم، أن الرابطة عبارة عن تعلّق القلب بشيء لشيءٍ على وجه المحبّة، وهذا التعلّق تارة يكون محمودًا، وتارة يكون مذمومًا، وتارة يكون مباحًا؛ لأنه لا يخفى إما أن يكون مأمورًا أو لا؛ فالأول محمود كحبّ الله وحب رسوله ﷺ، والحبّ في الله وحبّ ما يقرب إليه، والثاني هو أن يكون منهيًا عنه أو لا، فالأول مذموم كحبّ المحرّمات والمكروهات، وإن لم يترتّب على المكروهات عقاب؛ لأنه يترتّب عليها عتاب، والثاني المباح كحبّ الإنسان أهله وولده بالطبع الجبلي الذي لا انفكاك عنه لأحد.

فقد شمل هذا التقسيم الأحكام الخمسة، فإن المحمود يندرج فيه الواجب والمندوب والمذموم يتضمن الحرام والمكروه، والمباح معلوم دخوله تحت غير المنهي عنه، وهو قولنا أو لا، فتعلّق القلب حاصل لكل إنسان، فلو تنبّه المنكر لعَلِمَ أن ما يُنْكره عين ما يستحضره، وأن الذي يجهله هو الذي يفعله من الرابطة التي ينفي ثبوتها مع فعله إيّاها فيه من إساءة الأدب مع الله تعالى ما لا يمكن جحده، ولعلم أنه يتأكّد عليه أن يعمل عملاً يزيل عنه هذا البلاء الذي أهلكه من حيث لا يشعر لشدّة سكره في غفلته، وذلك أنه إذا كبّر تكبيرة الإحرام سرح في أودية الأفكار والأوهام وأعرض عن ربّه ونَسِيَ نفسه ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر: الآية 19]، واشتغل إما برابطة وقفه أو ملكه أو حرفته أو زوجته إنْ كانت نفسه مفتونة بها أو ولده أو تقرير مسألة يلقيها إبليس إليه ليُخْرِجه من صلاته مفلسًا أو مخاطبة من يرتجي منه زكاة أو صدقة، فيقول: إياك نعبد وهو مُقْبِل على معبوده الشهودي ورابطته التي هي

نَصْب عينه، ويستمرّ على هذه الحالة حتى يُسَلِّم، فإذا سَلَّم التسليمة الأُولى شرع بالإنكار على الرابطة التي يفعلها العلماء العارفون في وقت مخصوص ليحصل بواسطتها انتفاء الغفلة حتى يُقْبِلُوا على ربِّهم في صلاتهم وذِكْرهم بقلبٍ حاضر، وقد ورد على سؤال مِنَ بعض المعترضين، وهو أن الرابطة التي تأمرون المُرِيد بها لا تخلو بقرينة الأمر بها من أن يكون حكمها الإيجاب أو الندب، وهما أمران شرعيّان لا بدّ لهما من دليل، والأدلّة الكتاب والسُّنَّة والإجماع والقياس وغيرها من الأدلّة راجع إليها، فما الدليل على ندب الرابطة أو وجوبها؟ وأيضًا لا شكّ أن النبيّ ﷺ شيخ الصحابة لأنهم أخذوا عنه الأذكار وغيرها، فلم يبلغنا أنه أمرهم بتصوّر صورته التي هي أكمل الصور الإنسانية، فلو أمرهم لنقل لا سيّما إذا كان ذلك واجبًا؛ لأن الواجب مما تتوافر الدواعي على نقله، انتهى.

فأقول: الجواب عن هذا السؤال من وجوه:

الأول: إن الرابطة التي تأمر المريد بأمر السادة النقشبندية الذين هم كما قال الشهاب ابن حجر في الفتاوى الصغرى عن طريقتهم: إنها الطريقة السالمة من كدورات جَهَلَة الصوفية مندوبة لأنها من الوسائل المُوجِبَة لدفع الخطرات ونفي الغفلة والوسائل لها حكم المقاصد، والأمر الذي لم يَنْه عنه الشَّرع يَسُوغ فعله إما على طريق الإباحة إن أدّى إلى مباح أو الندب إن أوجب مندوبًا، أو الوجوب إن حصل واجبًا لا يحصل بغيره، فقد حصل لنا بالتجربة ونحن قوم أكثر من عدد التواتر أنّا إذا تصوّرنا الرابطة انْتَفت عنّا الأغيار كلّها، وبقي هذا الغير وحده فنعرض عنه، وهذا مثل إنسان له أعداء فتودّد إلى بعضهم وسلّطه على باقيهم، فإذا أهلكهم عنه لم يبقَ إلّا واحد فيقدر على أزالته فيُزيله، وهذا وجه ينبغي للمُنْصِف أن يتأمّله، فإنه الحسن المطابق للواقع، لأن الرابطة ليست مُرادة لعينها، بل مُرادة لغيرها.

الثاني: قولكم: لا تخلو بقرينة الأمر بها من أن يكون حكمها الإيجاب أو الندب، أقول: لا نسلم أن غير الشارع إذا أمر بأمرٍ أن يكون حكمه الإيجاب أو الندب، وأن الإنسان قد يأمر غيره بفعل مُباح لغرضٍ ما من الأغراض له أو

للمأمور، وقد يأمر الطبيب المريض بشرب بعض الأدوية، فإن كان امتثال أمر الطبيب واجبًا أو مندوبًا فما نستعمله من قبيله.

الثالث: قولكم: وهما شرعيان لا بدّ لهما من دليل. أقول: هذا بناءً على قولنا: إن الرابطة تُوصل إلى أمر مندوب، وما أوصل إلى المندوب مندوب، فالدليل موجود لا على قولكم كل مأمور به لا يخلو من أن يكون حكمه الإيجاب أو الندب لما ذكرنا من أن غير أمر الشارع قد يخلو منهما، ويكون لغرضٍ ما.

الرابع: قولكم: والأدلّة الكتاب. أقول: وهل يَعْزُب عن الكتاب شيء، وهو قد جمع كل رطب ويابس، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: الآية 35]، والوسيلة بالأعمال الصالحة، ولا تكون الأعمال صالحة إلّا بالإخلاص، ولا يكون العمل خالصًا إلّا إذا خلا عن الشوائب، وقد حصل لنا بالتجربة أنّا إذا اشتغلنا بالرابطة خَلَتْ أعمالنا عن شوائب الغفلة، والعمل في الغفلة غير معتدّ به، لأنه يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها، فهي من الوسائل الموجبة لزوال الغفلة، وزوال الغفلة مقصود، وما أوصل إلى المقصود مقصود، ومن لوازم زوال الغفلة الحضور، وهو من أشرف الوسائل، فالرابطة المُوجِبة لزوال الغفلة الموجب للحضور من أشرف الوسائل.

الخامس: قولكم: والسنّة. أقول: وهل يشذّ عن كلام النبيّ ﷺ وتحت كل كلمة من كلامه من بحار المعاني ما يتوصّل به إلى خير، قال ﷺ: **«إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى»**[1]، والأعمال بدنيّة وقلبية، فالحركات والتصوّرات المباحة إذا نَوَى بها الإنسان الطاعة أو التقوي بها عليها، فله ما نَوَى، ولو لم يُدْرِك مراده، فكيف إذا تحقّق له حصول المراد؟ ولا يخفى أن قول الجائع للشبعان أنت جائع مثلاً لا يُوجب له جوعًا، فكذلك قول المعترض ما ترى صحة ما ترونه ما يوجب عدم صحة رؤيتنا،

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب بدء الوحي...، حديث رقم (1)؛ وأبو داود في سننه، باب فيما عنى به الطلاق...، حديث رقم (2201) [2/262]؛ ورواه غيرهما.

فعليه أن يقول: ما تدعونه حقًّا فأنتم وشأنكم ولا يسوغ له غير ذلك إن نصح نفسه.

السادس: قولكم: والإجماع. أقول: قد أجمع أهل فنّ التصوّف على عمل الرابطة وقرّره منهم الجمّ الغفير وهو عندهم طريق مشهور وإجماعهم على عمل في مذهبهم حجّة يجب قبولها على من تمذهب بمذهبهم، وسنورد أقاويلهم إن شاء الله، ولا يسوغ لغيرهم الاعتراض عليهم بما لم يحط به عِلْمًا.

السابع: قولكم: والقياس. أقول: قال الفقهاء: يسنّ للمصلّي أن لا يجاوز بصره إشارته؛ وذلك لأنه أجمع للهمّ وأدفع للتفرّق، فكذلك الرابطة تستعمل لدفع الأغيار واستجلاب الحضور.

الثامن: قولكم: فما الدليل على نَدْب الرابطة الخ. أقول: الدليل يُطْلَب من المجتهد لا من المُقَلّد، وإنما على المُقَلّد تصحيح النقل، فإن طلبتم دليلاً من كلام أهل الفنّ فسيأتي على أنه لا يلزمه إيراد غير كلام النقشبندية، كما أنه لا يلزمنا أن لو طلب منّا نصّ لمسألة في الفقه إيراد كلام غير الشافعية.

التاسع: قولكم: لم تبلغنا، اهـ. أقول: ما يلزم من عدم بلوغه إياكم عدم ثبوته، ولا يلزم من جهلكم به عدم علم غيركم به، ولعلّه بلغكم وجهلتموه، ومرّ عليكم ولم تعرفوه، وهل للصُحْبة معنى سوى انطباع صورة النبيّ ﷺ في مرآة القلب الذي رآه مؤمنًا، أو انطباع صورة الشخص المؤمن في ذهن النبيّ عليه السّلام، ولولا ذلك لم يعد في الصحابة من رآه النبيّ ﷺ، وهل أمْرٌ أوضح من دعاء النبيّ ﷺ إلى مبايعته المُسْتَلزمة للرؤية المستلزمة لانطباع الصورة، وإذا انطبعت الصورة في الذهن ظهرت لرائيها في مخيّلته مهما تذكر المَرْئيّ شاء أو أبى، ولو كان عدوًّا فاستحضار صورة النبيّ ﷺ وتخيّلها الذي هو المراد بقولنا تصوّرها محبّة له واشتياقًا إليه لا يقول بمنعها إلّا أحمق خبيث، فالأمر بمستلزم شيئًا مستلزمًا شيئًا آخر مرّ بذلك الشيء الآخر.

العاشر: قولكم: لا سيّما إذا كان واجباً. أقول: لم يقل أحد من أهل التصوّف بوجوب الرابطة، ولا باستحبابها لذاتها، بل لما توصل إليه من المَحَابّ

والمُريد يلقّن الرابطة، وهو مُخَيَّر في فعلها وتركها، فإن ظهرت له فائدتها تأكّد عليه فعلها، وإن تَرَكَها فقد ترك أدبًا من الآداب، هذا كلّه في البدايات. وأمّا في النهايات، فلا رابطة له سوى استغراقه في شهود من ليس كمثله شيء، فما هو صورة تمثّل ولا تقابل ولا تقبل.

الحادي عشر: قدّرنا مع هذا كلّه أنه لا دليل لنا ولا عمل بهذا العمل أحد قبلنا، وإنما نحن عملنا لما نرى من فائدته، فهل ورد فيمن تصوّر صورة محبوبه وتخيّل أنه يُقَبّل يده أو رجله أو يضعه على رأسه أو جبهته أو يعتنقه أو يُدْخِله في قلبه نهي من الكتاب أو السنة أو الإجماع أو القياس؟ شعر:

لـي سـادة مـن عِـزّهـم أقـدامـهـم فَـوْق الـجِـبَـاه
إنْ لـم أكُـنْ مـنـهـم فَـلِـي فـي حُـبّـهـم عِـزٌ وجـاه

وإذا تقرّر عندنا أنه يحصل بواسطة الرابطة انْتفاء الغفلة، فالاشتغال بها من مهمّات آداب الطريق، إذ من المعلوم أن زوال الغفلة مطلوب، وهو مفتاح السعادات، وأن الحضور روح العبادات، وزوال الغفلة لا يكون إلّا بنزول رحمة الله تعالى على عبده، ومن أسباب نزول الرحمة ذِكْر الصالحين، وعند ذكر الصالحين تنزل الرحمة، وذِكْرهم من لوازم محبّتهم، ومحبّتهم فرضٌ لقوله ﷺ: وهل الدين إلّا «**الحبّ في الله، والبغض في الله**»[1] الحديث، ومحبّتهم محبّة الله لقوله ﷺ حاكيًا عن الله تعالى: «**أوجبت محبّتي للمتحابّين فيّ**»[2] الحديث، وعداوتهم محاربة مع الله لقوله تعالى على لسان نبيّه ﷺ: «**مَن عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب**»[3] الحديث، فما استعمله الصّفوة من عباد الله عين ما

(1) ونصّه: «أفضل الأعمال الحبّ في الله والبغض في الله». رواه أبو داود، باب مُجانَبَة أهل الأهواء...، حديث رقم (4599)؛ ورواه البزار في مسنده، عن مجاهد عن أبي ذرّ، حديث رقم (4076)؛ ورواه غيرهما.

(2) ورد بلفظ: «وَجَبَت محبّتي للمتحابّين فِيّ والمُتَجالِسين فِيّ والمُتَباذِلين فِيّ والمُتَزاوِرين فِيّ». رواه الحاكم في المستدرك وابن حبّان في صحيحه، ذكر إيجاب محبة الله جلّ وعلا...، حديث رقم (575) [2/ 335]؛ ورواه غيرهما.

(3) هذا الحديث سبق تخريجه.

حكاه ﷺ، فالذي أرى أنك تصمّ سمعك عن الافتراء ولا تَصْحب من كذب وامْترى وتصون لسانك عن المَرْء وتنقاد للحق وتخضع، وفي رذي عن طريقي لا تطمع وأن تعدل كل عدل لا ينفع. شعر:

والله أنــا مــا أقــنــع	بسوى الوَجْه المُبَرْقع
فليواصِلني بكُلّي	هوا ويُقْصي ويَقْطع
حسبُه مِلْء وجودي	فيه أرْنو وأسمع
عَمِيَت عَيْن حَسُودي	عن صُعُودي حين أطْلع
راقيًا نحو حبيبي	قائلاً ما شئت فاصنع
لَسْت أُرْوَى منك تاللّـ	ـه ولا والله أشْبَع
مَذْهبي مذهب خِلّي	في الهوى والحقّ أوْسع
فأنا الشَّيْخ زمانًا	كنت فيه أنا مرضع
وأنا اليوم رضيعٌ	لست عن ثَدْيك أرفع
أيُّ ثَدْي لك حتّى	أنا في دَرِّكِ أكرع
أوَ ما تَنْظُرني في	كُلّ حِينٍ بِكَ أفْجع
وإلى حِجْرك أدْنو	وبِرَأسي لك أخْضع
راجيًا أنك تحويـ	ـني وذاك العيش برجع
فإذا كنت أنيسي	وجَليسي كيف أفْزَع
إنني أشكر نِعما	كَ وفي ذِكْرك أخشع
ما دعاني لك إلّا	ك ولي إليك مَرْجع
فلهذا أترك المعـ	ـتكر مهما شاء يشفع
يدّعي أن سبيلي	غير ما للحقّ يشرع
ولعمري أنه التا	ته في بَيْداء بلقع
أيها المنكر أنّي	شِئْت في الغَيّ تَقْنع
أنت ما تُبْصر نَهْجي	بل طريقًا فيه تسبع
ليست الأبصار تعمى	لكن القَلْب المُطبع

هذا، ونحن لا نستدلّ للرابطة من دليل، ودليل من قلّدناه من العلماء كافٍ وافٍ بالمقصود، فانكار متوجّه على الجُنَيد والجيلي والدسوقي ونحوهم الذين قرّروا الرابطة بكيفيّاتها كما ستراها إن شاء الله في باب رابطة الأولياء عصمني الله وإيّاك من الإنكار، ووفّقنا لاتّباع النبيّ المختار ومحبّة الصادقين الأبرار.

الباب الرابع

القول الأسنى في استحباب الرابطة الحسنى

اعلم أيّها الأخ أرشدك الله أن الرابطة من جُمْلة الوسائل المُوصِلة إلى الحضور في عبادة الله والوسائل لها حكم المقاصد.

قال سيدي الحبيب عبد الله باعلوي الحدّاد في كتابه إتحاف السائل: الحضور مع الله روح العبادات وهو المقصود منها وبه يعبأ المحقّقون، والأعمال التي تصدر مع الغفلة يرونها إلى العقوبة والحجاب أقرب منها إلى المكاشفة والثواب، فالرابطة تفيد الحضور، والحضور يفيد رفع الحجاب، فالرابطة تفيد رفع الحجاب، ورفع الحجاب مطلوب، وكل ما أفاد المطلوب، فالرابطة مطلوبة، فقد هلك من لا رابطة له، وكل إنسان له رابطة لكن شواهد الرحمة الهابطة: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عِمرَان: الآية 31]، فرابطة رسول الله ﷺ دائمة وأسّناها وأسّماها قوله ﷺ: «لي وقت لا يسعني فيه غير ربّي»[1]، ورابطة الأولياء قوله ﷺ حاكيًا عن الله تعالى: «ما وسعني أرضي ولا سمٰواتي»[2] الحديث، ورابطة المريدين قوله ﷺ حاكيًا عن ربّه تعالى أيضًا: «وجبت محبّتي»[3] الحديث، وهذا أمرٌ لا يُدركه الإنسان إلّا بالذوق والوجدان، فإن أحببت يا أخي أن تَسْلك سبيل الرحمة الهابطة، وتكون لك على التقوى مرابطة، فعليك بطريق الرابطة، فإنها تعلّق القلب، وتعلّق القلب بطاعة الله ورسوله منتج لمحبة الله ورسوله والرابطة يحصل بها زوال الغفلة وجمع القلب على الله وذهاب القسوة من القلب والخشوع ونزول

---

(1) أورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (2159) [2/ 226]؛ والهروي في المصنوع [1/ 258].

(2) أورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (2256) [2/ 255]؛ والهروي في المصنوع [1/ 291].

(3) هذا الحديث سبق تخريجه.

الرحمة، وكل ذلك يُثمر المحبّة، فإني يا أخي قد حقّقت ذلك وأبصرت ربح من سلك هذه المسالك، وتيقّنت أنك غرٌّ لم تَدْرِ ما هنالك أو مغرور تلقي نفسك في الإنكار الذي هو أفضح المهالك، أفترى أني أصغي لتعذلك أو أميل إلى زخرف أقوالك، أو يخفى على دقيق احتيالك هيهات ذلك.

شعر:

فلا تلحني فيما أعاني فإنما ... غرامي كهل والعذول رضيع

دعاني الهوى حتى ادّعى الغيب أنّني ... شهادته والحاضرون هجوع

محاني عن عيني وعن عين عينه ... فصيفي شتاء والخريف ربيع

وعن غائبي عن شاهدي وهو أنه ... كذاك ولا يخفى عليه صنيع

فزاد هيامي فيه حتى إذا جنا ... سقامي ذنبًا فالغرام شفيع

وما ساءني ما ساء من سوء محنة ... فمنحة قلبي أن تسيل دموع

أبى الوجد إلّا أن يُريق مدامعي ... دمًا وهيامي في الوجود يشيع

هل الحب إلّا ما حَوَتْه أضالعي ... فلله حبٌ ضمنته ضلوع

لسيب الحشا أبى بعشقي سنا الرّشا ... سليب الحِجَى مني الفوائد لديغ

فهبْ لي أذنًا تسمع القول لا حجى ... يرجح ما تدعو له ويطيع

فإن قال الأخ المنكر تاب الله عليه: قد عرفنا على هذا القول أن الرابطة تعلّق القلب، وهذا القول يمنعه والحب في الله واجب، ومحبة الصالحين ثابتة، لكن من أين لكم أن استحضار صورة رجل في الذّهن، ولو كان من الصالحين تحصل به هذه المطالب كلّها، وأن استحضاركم بسبب تعلّق القلب، وأنه جائز؟ والجواب عن هذا من وجوه:

الأول: قولك من أين لكم أن استحضاره صورة رجل في الذهن تحصل به هذه المطالب كلّها. أقول: إن هذه المطالب تحصل لنا بما ذكرناه كما حصلت لك أضدادها باستغراقك في معبودك الذي نبّهناك عليه، ولكنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور. ألّا ترى أنك إذا كبّرت تكبيرة الإحرام اشتغلت برابطة التاجر الذي يعطيك زكاة أو صدقة أو برابطة الحاكم أو الوزير أو مالك أو أهلك أو بكلّ في ركعة وسجدة، وتنسى من أنت واقف بين يديه، ولا

تستحي منه وتنسى نفسك وتخرج من الصلاة ولا تدري أي شيء قلت، أتنكر ذلك؟ ما أراك تجحد ذلك.

الثاني: قولك: إن استحضاركم بسبب تعلق القلب. أقول: لا يَخْفى أن استحضار الشيء سببه تعلّق القلب به، وأهل هذا الفن مع تعلُّق القلب يتكلّفون استحضار صورة محبوبهم ولا يحصل لهم إلّا بالتكلّف لأنهم دائمًا يسعون في تطهير قلوبهم بإزالة ما سوى الله منها بواسطة الرابطة في غير وقت العبادة، ومن كان شغله نفي ما سوى الله؛ لا جرم أنه لا يستحضر أحدًا إلّا بسبب تعلُّق القلب مع التكلّف للفائدة التي ذكرناها، وأنت تشهد أن سببه تعلّق بالقلب، ولا تكتموا الشهادة؛ وذلك لأنك شديد الاعتناء بتحصيل مقاصدك، فإذا كبّرت للصلاة ظهرت لك صورها، وصارت قبلتك التي تسجد إليها ونسيت ما سواها لتعلُّق قلبك بها واستيلائها عليه وانتقاشها في نفسك، فإنه يحصل لك ويجوز لك استحضار هذه المثالب، ونحن يحرم علينا السّعْي في حبّ هذه المطالب وأنت مُحِقّ، ونحن مُبْطِلون، أهكذا يكون الإنصاف؟ ما هذا إلّا الاعتداء.

والخلاف الثالث: قولك: إنه جائز. أقول: من المعلوم أن الأصل في الأشياء الحلّ ما لم تثبت الحُرْمة، فكل شيء لم يَنْه الشرع عنه، فهو مباح وفعله جائز، فحركات الإنسان وتصوّراته المباحة فعلها جائز، فإن أوصلت إلى مندوب ففعلها مندوب، فالرابطة فعلها باعتبار الأصل جائز، وباعتبار ما توصل إليه مندوب.

الرابع: عدم علمك بحصول مطالبنا ما يجوز لك سلبنا ولا الإنكار علينا بما لم تُحِطْ به علمًا، كما لا يلزم من جهلك عدم وقوع مقصودنا.

الخامس: قد عُلِمَ وقُرّر واشتهر أن المُصَلّي يسنّ له النظر إلى موضع سجوده في جميع صلاته، ويُسَنّ للأعمى ومن هو في ظلمة أن تكون حالته كحالة النظر لمحل سجوده، والمراد من ذلك جمع القلب والحضور وعدم التفرقة، وهذا من أنواع الرابطة، أفلا تجعل تخيّل الرابطة كتخيّل الأعمى النظر إلى موضع سجوده في جميع صلاته لحصول الفائدة، فإن المقصد واحد إلّا أن

أهل الرابطة يفعلونها في غير وقت الصلاة ليحصل لهم جمع القلب على الدوام وليتوصّلوا بها إلى رابطة الصلاة، وهي أن تَعْبُد الله كأنك تراه.

السادس: إذا عمل قوم بلغ عددهم التواتر عملاً وأثبت كل منهم فائدته وقرّر منفعته، فهل يجوز لأحد تكذيبهم مع استحالة تواطئهم على الكذب، ومع أن عيونهم عيون الناس أهل العلم والفضل، وما أنت وعلمك بالنسبة إليهم إلّا كفحام عند جوهري أو كمن يحفظ حروف الهجاء ليناظر بها الفخر الرازي، فالأوْلى أنك تعترف لهم، وإذا فاتتك صحبتهم لا تفوتك محبّتهم، وإذا لم تحبهم فلا تسبّهم. شعر:

وإذا كنت بالمدارك غرًّا   ثم أبصرت حاذقًا لا تُمار
وإذا لم تَرَ الهلال فسلّم   لأناسٍ رأوْه بالأبصار

السابع: قد علمت أن أحكام الشرع لا تثبت إلّا بدليل، وأن يكون نصًّا لا محتملاً، ولا عامًّا مخصوصًا ككل بدعة ضلالة لما يلزم عليه من الفساد؛ إذ من البِدْعة ما هو واجب، ولو تنزّلنا وفرضنا أنّ عمل الرابطة لا دليل لنا عليه، وإنما فعلناه لما حصل لنا من الفائدة بالتجربة، فالإنكار علينا من أيّ وجه، وما دليله؟ ولقد أصبت بقولي في الرسالة المهملة الحروف. شعر:

حسد المرء والمُراد مُراد الله   ما لامرىء سواه عماد
ما أراد الإله سعاد ممـ   ـلوك وأردى مراده الحُسّاد

الثامن: وهو ضرب مثل أمر الملك طبيبه الحاذق الحكيم بمداواة أهل مملكته من أمراض غلبت على أكثرهم أضرّها البطن حتى آلت بالأكثر إلى عدم القيام بالخدمة، وكان الطبيب حكيمًا ماهرًا وعالمًا راسخًا وعارفًا كاملاً، ومن يُؤتَ الحكمة فقد أُوتي خيرًا كثيرًا، فقال في نفسه: تنفيذ هذا الأمر من أهمّ المهمات وأوجب الواجبات، وتعليمه لمن يتأهّل للقيام بعمله موجب لدوام الأجر والمثوبات، وخير العمل ما نفع، وإذا مات ابن آدم انقطع عمله إلّا من ثلاث، أحدها عِلْمٌ يُنْتَفع به، فعمد إلى بعض المرضى ممن تفرّس فيه وعَرَف أنه يكون أهلاً للقيام بهذه الوظيفة وتنفيذها على الوجه المراد إذا عُوفِي فعالجه حتى عُوفِي ثم علّمه الطب والحكمة وأخبره بالأدوية وخواصّها وأعطاه دواء

البطن، وقال له: خذ هذا الدواء وانفع به الناس ولا تسأل عليه أجرًا وكُنْ مُحْتسبًا لتكون لك المنزلة الرفيعة عند الملك، فإنّ أحبَّ الأعمال إلى الملك عملك هذا، فقال: سمعًا وطاعة، فنظر النائب بعد خروجه من عند الحكيم في دواء البطن ما هو، فإذا هو عسل أبيض، فقال: الحمد لله فيه شفاء للناس، فأتاه شخص أحمق مثلك أيها الأخ بصرك الله بعيبك ووفّقك لترقيع جيبك، فقال: ما هذا الذي عندك؟ فقال: دواء البطن للمبطونين، فقال: أرِني إيّاه، فأظهره له في ظرف مختوم على فيه فاشتمّه من قبله فقال له: ما هذا دواء البطن، هذا سمٌّ أتيت تُهْلِك الناس به، هذا سمّ ساعة. فقال: يا أخي هذا عَسَلٌ مصفّى هذا للذين آمنوا هدًى وشفاءٌ والذين لا يؤمنون في آذانهم وقرٌ وهو عليهم عمى فَذُقْه حتى تعلم، فقال له: ما أنت أعلم مني ولا أعرف مني، من ذاق هذا هلك أيها الناس، هذا ما أنزل الله به من سلطان، وأكثر الناس حمقى، وشَبَه الشيء مُنْجَذِبٌ إليه، فترك الناس التداوي به مع شدّة حاجتهم إليه بسبب كلام هذا الأحمق المغرور، فلا يزال يتكلّم في ذمّ الدواء والمداوي والمتداوي ويصدّ عنه من أراد شفاء مرضه الذي عطّله عن خدمة الملك، وستذكرون ما أقول لكم، ولتعلمنّ نبأه بعد حين.

التاسع: من المعلوم أنّا لم نبتكر شيئًا جديدًا، وإنما قلّدنا من تقدّمنا من العلماء العاملين والأكابر العارفين من أهل المذاهب الأربعة كما سترى تقريرهم الرابطة وكيفياتها، بل أقسم أن جميع حركاتي وسكناتي في الطريقة هو ما هو عليه أئمّة مذهبي الشافعية، وقد اسْتَوْفت كُتُبهم جميع ما نتعاطاه من الأعمال المخصوصة، فما وجه الإنكار علينا مع اتّباعنا أئمّة الدِّين والعلماء العالمين، كالغزالي والنووي والقاضي زكريّا وابن حجر والشعراني والمناوي: أتظنّ أن إنكارك ما يتوجّه على أولئك السادة الأبرار والأولياء الأخيار وأولي الأنوار والأسرار، أمَا تخشى مُحاربة الواحد القهّار؟ أما عَلِمْتَ أن الإنكار عليهم يؤول بصاحبه إلى سوء الخاتمة ودخول النار؟ تظنّ أن إنكارك ظاهرًا واعترافك باطنًا ليس من التلبيس ومشاكلة إبليس، وجَحَدوا بها واسْتَيْقَنَتها أنفسهم ظُلْمًا وعلوًّا، تنبّه لنفسك أيها المغرور واخْشَ عواقب الأمور، إنك ميّت وإنهم ميّتون، وسيعلم الذين ظلموا أيّ مُنْقَلبٍ ينقلبون، وهذا السؤال ما يحتمل هذه الأجوبة،

وإنما أوردناها نصيحة وإفادة وترغيبًا وترهيبًا، ولكل امرىء ما نوى، ونسأل الله أن يمنّ عليك بالهداية وسلوك سبيل الأبرار وأن يجنّبك الإصرار في سبيل الأشرار، إنه وليّ المؤمنين.

واعلم يا أخي أن سبب الإنكار أحد الأمرين لا يخلو من أحدهما كل منكر الجهل، وهو الأكثر، وعدم العمل بالعلم وهو الأغلب على من ينتسب إليه، فإنْ كنت جاهلاً يا أخي فلا تَقْفُ ما ليس لك به علم، فتقع في الظلم، ولا تَقُلْ هذا حلال وهذا حرام لتحكم بغير ما أنزل الله، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: الآية 44]، وإن كنت عالمًا فاعْمَل يا أخي بعِلْمِك ولا تتّبع الهوى فيُضِلّك عن سبيل الله، وما أحسن ما قلت في الرسالة المُهملة الحروف: أمَا والله للعِلْم والعمل هما المراد، ولإدراكهما أرْسَل الرُسُل إلى الأُمم كمحمد ﷺ على روحه ما عود ماس وآل رماد، وكصالح ولوط ورسول عاد، ولا أحد أهْمَلهما إلّا وهلك حالاً وحالَ المعاد وآلَ أمره إلى أسوء مِهَاد، وهل الهدي حاصل إلّا لسالك سلكهما، وواصل إلى سوح وِداد ملكهما، وحلّاه الملك أساور هداه، وحلّله وأمدّه وأصلح عمله، لا والله لا وِدَ إلّا ودُه، ولا مَدّ إلا مَدُه، ولا موائد إلّا موائده، ولا عَوائد إلّا عوائده، ولا هدي إلّا هُداه، ولا مُعَوّل إلّا على ما أسْداه. أشعار:

هو الملك المُطاع وما سِواه	له ملكٌ ومملوك وطائع
هو المَوْلى المُراد وما عَداه	كآل ما علا صحراء لامع
وهل آل كماء الورد أمْسَى	وهل أحد رآه وهو طامع
ألا وحّد إلـهك وادْعه لا	إلـه سواه وهوالله سامع
أمَا والله ما مَوْلاك ساو	ولا لاوٍ ولا وَاوٍ وهالع
هو الحكم المُصَوّر وهو عَدْلٌ	وحول الله مَسْمُوع المسامع
له مُلْكُ السّماء وكلُ مُلْك	ممالكه ومردوع ورادع
أمَا وهُداه لهو الله مولى الـ	ـسوى طرا محلهم المصارع
أما وعُلاه لهو الدهر سام	ومعلوم السموّ لدى المطالع
أما وعلوّه لله داع	إلى دارِ السلام إلا مُسارع

أمَا والله ما هو صاح إلّا ... إلـه واحد صَمد وواسع
أوَحْده ولم أرَ ما سواه ... ولم أره سواه لدى المطالع
أما آلاؤه دهرًا أراها ... كمدرار السماء أما أطالع
ألم أرَ ما أرى الكرماء لما ... سَمَوْا أو هم الأولى حلس الصّوامع
أرى صرحًا له روح وراح ... ولولا الرّوح لم أبِلْ المدامع
ولولا الروح ما للروح سكر ... ولولا السُّكْر ما للصرح صادع
ألم أعلم وهل عِلْم كَعِلْم امْـ ... ـرىء أعلا مطامعه المدامع
دعاه المَنْحو أطوارًا عدادًا ... وصار مسامر الصَّحْو المطاوع
أصاح اعِلَمْ وعِلْمُ كُلُّ خَـرٍّ ... مُسِيرٌ ما رأى ولو اللّوامع
ودَعْ كل امرىءٍ ألهاه لهو ... ألّا وارحل إلى المولى وسارع
ووَدِّع كل ما ألهاك طرًّا ... وسَلْه لا سواه سؤال راكع
وصَلِّ على إمامِ الرُّسْل طه ... وسَلِّم ما ازْعَوى وَرِع وطائع

الباب الخامس

في قول أهل الاصطفاء في رابطة المصطفى ﷺ

اعلم أيها الأخ في الله ألهمك الله رشدك، وجعلك عبده لا عبدك، أن رابطة الشيخ الكامل تُوصلك إلى رابطة رسول الله ﷺ وثمرتها الفناء في النبيّ ﷺ، وذلك من أجلّ النّعَم وأوفرها نقاء، وما يُلَقّاها إلّا ذو حظٍّ عظيم، والفناء في النبيّ عليه السلام مُوجب للولوج في حضرة القُدُس والهَيَمان في مَفَاوز الأُنس والتعرُّض لنفحات الله تعالى مأمورٌ به، ومحبّة رسول الله ﷺ فرضٌ. روى البخاري في صحيحه عن أنسٍ رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**»[1]، والنفس تدخل في عموم قوله: «**والناس أجمعين**»، وقد وقع التنصيص بذكر النفس في حديث عبد الله بن هشام، وهو أن عمر رضي الله عنه قال للنبيّ ﷺ: لأنت أحبّ إليّ يا رسول الله من كل شيء إلّا من نفسي، فقال ﷺ: «**لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحبّ إليك من نفسك**»، فقال له عمر رضي الله عنه: فإنك الآن أحبّ إليّ من نفسي، فقال ﷺ: «**الآن يا عمر**»[2]، ويكفيك قوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: الآية 6]، فمن هو أولى بك من نفسك؟ فكيف لا ينبغي أن يكون أحبّ إليك منها؟ قال سهل رضي الله عنه: من لم يَرَ ولاية رسول الله ﷺ في جميع أحواله ويَرَ نفسه في ملكه عليه السلام لا يذوق حلاوة سنّته.

---

(1) رواه مسلم في صحيحه، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ، حديث رقم (44) [1/ 67]؛ والحاكم في المستدرك، تفسير سورة الممتحنة...، حديث رقم (3805) [2/ 528]؛ ورواه غيرهما.

(2) رواه البخاري في صحيحه في بابين: أحدهما، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ...، حديث رقم (6257) [6/ 2445]؛ وأحمد في المسند عن عبد الله بن هشام أبو عقيل عن جدّه، حديث رقم (22556) [5/ 293]؛ ورواه غيرهما.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من أشدّ الناس لي حبًا ناسٌ يكونون بعدي يودّ أحدهم لو رآني بأهله وماله**»[1]، وفي الشفاء: سُئِل عليٌ رضي الله عنه: كيف كان حبّكم لرسول الله ﷺ؟ قال: كان والله أحبَّ إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأُمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ. وعن زيد بن أسلم رضي الله عنه: خرج عمر رضي الله عنه ليلة يحرس فرأى مصباحًا في بيت، وإذا عجوزٌ تنفش صوفًا وتقول: على محمد صلاة الأبرار صلّى عليه الطيّبون الأخيار، قد كنت قوّامًا بكّاءً بالأسحار، يا ليت شعري والمنايا أطوار، هل تجمعني وحبيبي الدار، فجلس عمر يبكي، وفي الحكاية طول.

وروي أن عبد الله بن عمر رضي الله عنه خدرت رجله فقيل له: أذكر أحبّ الناس إليك يَزُلْ عنك، فصاح: وامحمّداه، فانتشرت. قال: واعلم من أحبّ شيئًا آثره وآثر موافقته وإلّا لم يكن صادقًا في حبّه وكان مدّعيًا، فالصادق في حُبّ النبيّ عليه السلام من تظهر علامات ذلك عليه.

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: قال لي رسول الله ﷺ: «**يا بنيّ إن قدرت أن تُمسِي وتُصبح ليس في قلبك غشٌ لأحد فافعل**»[2]، ثم قال: «**يا بنيّ ذلك سنّتي ومن أحبّ سنّتي فقد أحبّني، ومن أحبّني كان معي في الجنّة**»[2]. ومن علامات حبّ رسول الله ﷺ كثرة ذكره وتعظيمه وتوقيره عند ذكره وإظهار الخشوع والانكماش مع سماع اسمه، كان أصحاب النبيّ ﷺ بعده لا يذكرونه إلّا خشعوا واقْشعرّت جلودهم وبكوا، وكذلك كثير من التابعين.

قال بعضهم: المحبّة دوام الذّكر للمحبوب، وقال آخر: إيثار المحبوب على جميع المَصْحوب، وقال آخر: المَيْل الدّائم بالقلب الهائِم، وقال آخر: موافقة الحبيب في المَشْهد والمغيب، وقال آخر: أن تهب كلّك لمن أحببت. وحقيقة الحبّ الميل إلى ما يوافق الإنسان، وتكون موافقته له إما بإدراكه كحبّ

---

(1) رواه مسلم في صحيحه، (4 باب فيمن يودّ رؤية النبي ﷺ...، حديث رقم (2832) [4/ 2178]؛ وابن حبّان في صحيحه، ذكر البيان بأن مَن قد آمن بالمصطفى ﷺ...، حديث رقم (7231) [16/ 214]؛ ورواه غيرهما.

(2) رواه الترمذي في سننه، باب ما جاء في الأخذ بالسُّنّة...، حديث رقم ؛(2678) [5/ 46]؛ والطبراني في الأوسط، مَن اسمه محمد، حديث رقم (5991) [6/ 123]؛ ورواه غيرهما.

الصور الجميلة والأصوات الحسنة والأطعمة والأشربة اللذيذة وأشباهها مما كل طبع سليم مائل إليها لموافقتها له، أو استلذاذه بإدراكه بحاسّة عقله وقلبه معاني شريفة باطنة كمحبّة الصالحين والعلماء وأهل المعروف والمأثور عنهم السِّيَر الجميلة والأفعال الحَسَنة، فإن طبع الإنسان مائل إلى الشغف بأمثال هؤلاء حتى يبلغ التعصّب بقوم لقوم والتشيّع من أمّة إلى أخرى إلى ما يؤدّي إلى الجلاء عن الأوطان وهَتْك الحرم واخترام النفوس، وهو ﷺ جامع للمعاني المُوجِبة للمحبّة كلّها، انتهى.

وقال الشهاب بن حجر في في شرح الهمزيّة عند قول الناظم:

فاملأ السمع من محاسن يمليـ ـها عليك الإنشاد والإنشاء

فإنها تُحْدِثُ للسّامع سكرًا وأريحة وطربًا وتُحَرِّك النفس إلى جهة محبوبها، فيحصل بتلك الحركة والشوق تخيّل المحبوب وإحضاره في الذهن وقُرْب صورته من القلب واستيلائها على الفكر، فيحصل للروح ما هو أعجب من سكر الشراب وألذّ من عِناق الشواب. شعر:

سلوي عن محبّتك المُحال ... ولو يا منيتي عزّ الوصال
وأين شبيه حسنك في البرايا ... فتنسى إذ يكون به اتّصال
على أن ليس وصلك لي بكافٍ ... فكيف ومانعي منه الدلال
فما بيني وبين سَنَاك بَوْنٌ ... فعيني في لحاظك لا تزال
ولو أن الغبار أُزيل عنها ... أحلتني محلاًّ لا يُنال
فواعجباه من سَكْناك داري ... وحقّ الحقّ مسكنك الجبال
ووا ألماه من هذا التنائي ... ومع هذا لبهجتك انفصال
أتُبْعِدني لشُؤْم قبيح جرمي ... حبيبي أيّ ذنبٍ لا يقال
وأيُّ شفيعٍ حتى تقبلوه ... وأي تنصّل لكم يقال
وحقّك إنما عذري اعترافي ... بأن عظيم ذنبي لا يُزال
وعِلْمي إنما مأمولي عفو ... وظنّي أن نائله أنال
ألا يا ليت شعري أيّ وقتٍ ... أرى أني لأخمصك النِّعال
حبيبي كيف عنك أطيق صبرًا ... وأنت الخالص المحض الجمال

وهل إلا جمالك شام طرف | بغير إضافة لولا الخيال
ظهرت فبان وجهك في المرايا | بلا حصرٍ وذاك هو الظلال
فما هو أنت إلّا أنت لكن | لأجل الوهم قيل بدا الهلال
فتلك ذكا وبَدْر التمّ سارا | وقد حلّاهما منك النوال
ولي من صورة المحبوب زِذْب[1] | فحظّي منك يا أملي حلال
فجِدْ لي يا حبيب وعُد وجودي | وأعِذْ مني شهودي يا كمال
وكُنْ لي شاهد المشهود صفوًا | بلا كَدْرٍ فلا يبدو الجلال
لأنت منحتني مَجْدًا بِوَجْدي | فمن قَبس الغرام بي اشتعال
أردتُ الحُبّ من قدم فشوقي | له في كل أعضائي مجال
فلا أنْفَكُّ من حَرْقٍ وَوَجْدِ | فأحمالي مع البلوى ثِقال
فصَلِّ على دَهْرك يا جمالي | لتحسن من مراحمك الخِصال
وأطلع شمس حسنك في سمائي | اغْرُفا معي إلّا السؤال
فأنت ذخيرتي ولأنت كنزي | وعِزّي كل ما وَقَع النّزال
وأنت مُعَوّلي في كلّ أمْرٍ | لديه لا يفيد الاحتيال
وفي اليوم العظيم لأنت غَوْثي | وحِرْزي عندما يقع النَّكال
فلا والله أرغب عنك حتى | ولو حشيت بأجفاني الرمال
وصلّى الله ما طَرَفَتْ عيونٌ | وما تُجْتَنى غصونٌ أو ثُمال
على خير الخلائق ذي المرايا | مُحَمّد المُجَلّل بالجمال

قال في حُسْن التوسّل في زيارة خير الرُّسل ﷺ: ومن فوائد الصلاة على النبيّ عليه السلام محبّة المصطفى للمصلّي على رسول الله ﷺ، بل زيادة المحبّة المذكورة اللازمة لها ازدياد الشوق مع استحضار المحاسن النبويّة في القلب والجنان، بحيث يمثّل خياله به ولا يكاد يَفْتُر من ذكر القلب واللّسان:

لو شُقّ عن قَلْبي يرى وسطه | ذكرك والتوحيد في سطر

(1) الزِذْب: بالكسر، النّصيب، ج: الأرذاب. (القاموس المحيط).

وقال الشيخ أحمد بن عبد الحيّ الحلبي في آداب الصلاة على النبيّ عليه السلام: تنبيه: اعلم أنه يتأكّد على المُصَلّي على النبيّ عليه السلام أن يتصوّر وقت الصلاة عليه ﷺ صورته النبويّة الكريمة في مرآة قلبه، كأنه بين يديه سائلاً من الله الصلاة والسلام عليه لأنه إذا واظب المصلّي على ذلك تدوم عليه غاديات أنواره الكريمة المحمدية. شعر:

بأبي أيها النبيّ الكريم والرسول المُطَهّر المعصوم
والحبيب الأسْمَى الزكي المرجى والمراد المُقَرّب الصميم
والخليل الذي نجا قاب قوسين وحيث الخطاب والتّكليم
والضّيا الذي به عمر الكون ومن قبل رسمه معدوم
والحليم الذي له الخلق المنـ ـصوص في الذكر إنه لعظيم
والجواد الذي على كلّ مخلو قٍ له أنعم وفضل قديم
والشجاع الذي إذا صال فالمو ت له السيف والغِماد الجسوم
تُهْلِكُ الجَمْع بالإشارة إن شئـ ـت ولكنّك الرؤوف الرحيم
والمُطاع الذي متى تأمر السُّحُـ ـب أتت حسبما تقول الهيوم
تُرْسِل الغَيْث حيث ما تقصد الغو ث فما في النّبات قَطّ هشيم
فيَرَى الجَدْب هاربًا خوف بطش الـ ـخصب فالشُّكر في الرّخا مقيم
فلأنت الغيّاث والغوث ذو الحَظْـ ـوة والاصطفاء والمعلوم
والملاذ الذي متى أمّه المكـ ـروب زالت هُمُومه والغموم
والمُهَاب الذي لو انتهر العا لم مالت أسماؤه والرُّسوم
من يُجَاريك في سماء المعالي أو يُباريك أيّهذا الوسيم
سَعِدَتْ عين من رآك وكذا من رُؤْيا سَنَاك يروم
يَدْأَبُ الدّهر في رضاك عسى تلـ ـقاه منك الرّضوان والتكريم
فهو ساعٍ للعهد راعٍ فيا خيـ ـبة من فاته لك التعظيم
أيّ شيءٍ في المُلْك أو مَلكوت اللّـ ـه ما أنت أصله المَوْسُوم
أَوَ ما جابر روى عنك الصّدْ ق لِمَن فيه عِندنا مرسوم
إن نور النّبي أوّل مخلو ق ومنه التفضيل والتقسيم

فلأنت الأصل الأصيل وكلّ — من سَنا نور ذاته مَبْروم
ولأنتَ النُّور الجَليّ ومن ضَوْ — ئِكَ نارَتْ كواكبٌ ونُجُوم
ولأنْتَ الأخِير والأول المخـ — ـتار والمُعْتَنى به المَرْحوم
ولأنتَ الرَّحيم يا رحمة الـلّـ — ـه ومِنْهاج دينك المستقيم
ولأنت الذي محاسن أوصا — فك في الصُّحُف كلّها مرقوم
ولقد كُنْت قاسِم البِرّ والخيـ — ـر فَمِنْك النَّدى ومِنْك العلوم
طِبْتَ من طيب أبي طيب في — طيبٍ فالثَّناء عليك يَدُوم
مَنْ يُطِيق الثَّناء عليك قد أسْـ — ـمعنا مدحك الكتاب الكريم
لكنَّ الحُبّ يقتضي الذكر للمحـ — ـبوب والحمد ما حَوَتْه الرُّقوم
فَلَئِنْ فُهْت والبضاعة مزجاة — فجُهد المُقِلّ منه جسيم
فعليك الصلاة ما طرفت عيـ — ـن وسالَتْ عينٌ ورَنَّتْ غيوم
وعليك الصلاة من موجد الخلـ — ـق ومُحْيِ العظام وهي رميم
وعليك الصَّلاة مِلْءُ السمٰوا — ت تلاها التشريف والتَّسْليم
وعلى الآل والصحابة والأتـ — ـباع ما هَبَّ في الوجود نسيم

وقال الشيخ أحمد بن عبد الحيّ أيضًا: تنبيه أيضًا:

واعلم أن من ثمرات الصَّلاة على النبيّ عليه السلام انطباع صورته الكريمة في النفس انطباعًا ثابتًا مُتَأَصّلاً مُتَصلاً، انتهى. جعلنا الله وإياك من المرابطين على أشرف أنواع الرابطة والمخصوصين بالرَّحمة الهابطة إنه وليّ المؤمنين.

الباب السادس

في القول المُجْمل في رابطة الأولياء الكُمّل

اعلم أيها الأخ مَنّ الله عليّ وعليك بمحبّة أوليائه وسلّك بنا سبيل المُهْتَدِي بضيائه، أن سفيان الثوري قال: لا نجاة يوم يخسر المُبْطلون إلّا لنبيّ أو تابع نبيّ أو مُحِبّ، ولو أن عارفًا بالله في مَشْرق الشمس ينطق بحقيقة، ورجل مُحِبّ له في مغربها لكان له نصيب من ذلك على حسب قِسْمته وتهذيب محبّته، وأن الرجل لَيُعَانِق الرجل وأن بينه وبينه لأبْعَد مما بين المشرق والمغرب، وقلب العارفين يكتب وقلب المريدين يُكْتب فيه، انتهى. وقال سيّد الطائفة جنيد: وأقرب الطُرق إلى حصول المقصود دوام ربط القلب بالشيخ واستفادة علم الواقعات منه حتى يفنى تصرّفه في تصرف الشيخ، انتهى.

وقال المُحَقّق الأردبيلي شارح المَشْكاة في رسالته المَكّيّة الشرط السابع: دوام رَبْط القلب بالشيخ واستفادة علم الواقعات منه من جهة الإرادة التامّة لأنه الرفيق في الطريق، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: الآية 119]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: الآية 35]، ثم قال: فصل المريد إنْ تيقن أنّ روحانية الشيخ غير مُتَحَيِّزة بموضع دون موضع، وكلّ ما يكون غير متحيّز استوت عليه الأمكنة كلّها، ففي أي موضع يكون المريد لا تفارقه روحانية الشيخ، وإنْ كانت تُفارق شخصيتها والبعد إنما يتعلّق بالمريد، وإذا تذكّر المريد الشيخ بقلبه قَرُبَ إليه فيتعلق قلبه به فاستفاد منه، فإذا احتاج المريد إلى الشيخ ليحل واقعته يستحضره بقلبه ويسأله عمّا يشاهده لا باللّسان الظاهر، بل بلسان القلب فيُلْهِمُه روح الشيخ معنى الواقعة عُقَيْب السؤال، وإنما تيسّر له ذلك بواسطة ربط قلبه بالشيخ، ومن هذا الوجه يُفْصِح له لسان القلب ويَنْفَتح له طريق القلب إلى الله تعالى، فيجعله مُحَدّثًا، انتهى.

وقال سيدي إبراهيم الدسوقي: يا أولادي إنْ صحّ عهدكم معي فأنا منكم قريب، فإن أخذتم عَهْدي وعَملتم بوصيّتي وسَمِعْتم كلامي، ولو أنّ أحدكم بالمشرق وأنا بالمغرب رأيتم شبح شخصي، فمَهْمَا ورد عليكم شيء من مشكلات سرّكم أو شيء تستخيرون فيه ربّكم فوجّهوا وجهكم وأطْبِقوا عين حِسّكم وافْتَحُوا عين قلبكم، فإنكم تروني جِهارًا وتستشيروني في جميع أموركم، فمهما قلته لكم فاقبلوه وامتثلوه، وليس هذا خاصًا لي بل عامّ بكل شيخ صدقتم في محبّته، وقد يعلم ذلك شيخكم وقد لا يعلمه هكذا جَرَتْ سُنّة أولياء الله مع مريديهم، انتهى. وقال الشيخ أحمد بن إبراهيم بن علان الصديقي في شرح قصيدة الشيخ أحمد بن عبد الدائم الأنصاري الشاذلي الشهير بابن بنت المَيْلَق قُدّس سرّه التي أوّلها: شعر:

مَنْ ذاقَ طَعْم شَرَاب القَوْم يدرِيه ومَنْ دَرَاه غدًا بالرُّوح يَشْريه

عند قول الناظم: (إذا رُئِي ذكر المولى برؤيته) أي رُئِي هذا العبد ذُكِر المَوْلى برؤيته كما ورد في وصف الصالحين الذين إذا رؤوا ذُكِرَ الله لأنّ نُور قلبه مشرق على وجهه سيماهم في وجوههم، فمن رآه رأى نور الحقّ الساطع من قلبه على وجهه، ومن تمّ له ذلك فاز بالسّعد والقرب. قال ابن علوان:

سَعِدَتْ أعْيُنٌ رَأتْكَ وقَرّتْ وكذا عَيْنٌ رَأتْ من رآكا

ومثل ذلك الشمس إذا أشرقت على جدار وفي مقابل ذلك الجدار جدار آخر، فيُشْرِق ذلك الجدار الذي أشرقت عليه الشمس، وعنده - أي عند الناظم - طريقة معروفة مشهورة عند المشائخ يسمّونها بالرابطة، وهي رؤية وجه الشيخ، فإنها تُثْمِر ما يُثْمر الذّكْر، بل هي أشدّ تأثيرًا من الذّكر لمن عَرف شرطها وآدابها، ومن ذلك كان تربية النبيّ ﷺ للصحابة رضي الله عنهم، فكانوا يستغنون برؤية طلعته السعيدة وينتفعون بها عن كل رياضة ومُجاهدة أكثر مما ينتفعون بالأذكار في مُدّة مديدة، ولهذا كانت درجة الصحابة لا تُضاهى والاجتماع بالمشائخ ولو ساعة مرتبة بها يُتباهى، انتهى. وقال ابن أبي داود الحنبلي صاحب كتاب تحفة العباد في كتابه آداب المريد: وعلامة صحة إرادة المُريد تعلُّق قلبه بشيخه واستغراقه في مشاهدته في الغَيْبة والحضور حتى لا

يَشْهَد معه من الخَلْق أحدًا غيره، فإذا صحّ له هذا المشهد انتقل منه إلى مشهد الجمال السّرمدي، وهذا الذي لا يشهده إلّا أهل المعرفة بالله لا الغبيّ الجاهل المَفْتُون بشهوة نفسه الأمّارة بالسوء، أو الجامد الذي ليس عنده شيء من الروحانية. قال بعضهم: شعر:

إذا أنت لم تَعْشَق ولم تَدْرِ ما الهَوَى فكُنْ حَجَرًا من يابِسِ الصَّخْر جامِدا

انتهى. قال ابن عطاء الله الشاذلي في كتابه مفتاح الفلاح في آداب الذّكر: قالوا ـ يعني المشائخ ـ وإن كان، أي المريد، تحت نظر شيخ يُخَيِّل شيخه بين عينيه فإنه رفيقه في طريقه وهاديه ويستمدّ أول شروعه في الذّكر من هِمّته معتقدًا أن استمداده منه هو استمداده من النبيّ ﷺ، لأنه نائبه.

قال الشيخ عبد الوهاب الشّعراني في رسالة مدارج السالكين: الأدب السابع: أن يُخَيِّل خيال شيخه بين عينيه، وهو عندهم من أهم الآداب وآكدها. وقال أيضًا في البحر المورود: اعلم يا أخي أن رباط أحدنا قلبه بشيخه حيّ أو ميت ينفعنا، ولو لم يكن ذلك الشيخ في علم الله شيخًا؛ لأن ربطنا حقيقةً إنما هو لاستناده إلى الله لا لذاته، ومُحال أن يوجد الحقّ تعالى عند السّراب الذي ظنّه الظمآن ماء، ويفقد عند عبد من عباده مشهور الصلاح مع أن السّراب ليس له حقيقة بخلاف الصالح له وجوه وحقيقة، فافهم، انتهى.

وقال الشيخ تاج الدين الحنفيّ في كتابه المشهور بالتاجية الثانية: طريقة الرابطة بالشيخ الذي وصل إلى مقام المشاهدة وتحقّق بالتجلّيات الذاتية، فإن رؤيته بمقتضى هُمُ الذين إذا رؤوا ذكر الله، فينبغي أن تُحْفَظ صورته في الخيال، وتتوجّه للقلب الصنوبري حتى تحصل الغيبة والفنا عن النفس، وإن وَقَفْتَ عن التّرَقّي فينبغي أن تجعل صورة الشيخ على كَتِفك الأيمن في خيالك، وتعتبر من كتفك إلى قلبك أمرًا ممتدًّا، وتأتي بالشيخ على ذلك الأمر الممتدّ وتجعله في قلبك، فإنه يُرْجَى لك حصول الغيبة والفنا، انتهى.

وقال الشيخ إبراهيم بن عمر المُلّا الأحسائي في رسالته: فإن لم تمكّنه مصاحبة الشيخ لتعذّره ببُعْدِه عنه فعليه بإحضاره في خياله، ويعتقد أنه في حضرته وصحبته ويتصوّر نفسه كأنها بين يديه ويحفظ ذلك التصوّر في خياله

ويَفْنَى في وجود الشيخ بكلّيته، ثم يتوجّه من وجود الشيخ إلى الله تعالى ويتكلّف ذلك ويكرّره مرّة بعد أخرى إلى أن يُشْرِق النور الإلٰهيّ على لطيفته إشراقًا يكشف الغطاء عن أسرار المعاني، فيكون بالله لا بغيره ولا بنفسه، انتهى.

والكلام في الرابطة لا نهاية له، وفيما ذكرناه كفاية للموفّق، فتأمّل بفهمك وميّز علمهم من علمك وانظر هل حصل لك من العلم ما حصل لأدناهم؟ وهل وجدت من اليقين ما وَجَد أدنى من والاهم؟ هَيْهات هيهات كما لا يستوي ساسة الحمير وأصحاب الملوك، كذلك لا يستوي أهل الشهوات وأتباع أهل السلوك. **أشعار**:

هُمُ القَوْمِ إنْ تَجْهَل وإنْ كُنْت تعلم
لقد شَهِدُوا المحبوب والناس قد عُمُّوا

إلى الله فرّوا بالقلوب ليحصلوا
لديه فيا بُشْراهم حين يسْموا

لهم هِمَمٌ لَمّا تَزَلْ تعتدي بهم
إلى رُتَب يَسْمُو إليها التقدُّم

فَهُمْ بين سُلّاك الطريق إلى الحِمَى
وبين أخي وجد يشيب ويَهْرُمُ

وبين أخي سكر وذا والج الفنا
وبَيْن أخي فِكْرٌ يغيب ويُلْجَمُ

وبين أخي صَفْوٌ وهذا مُشَرَّفٌ
وبين أخي مَحْوٌ وهذا مُكَرَّمُ

وبين أخي سَعْيٌ وبين أخي هَوًى
وبين أخي دَهْشٌ وهذا مُهَيَّمُ

وبين أخي شوقٌ وبين مُتَيَّم
وبين أخي ذوقٌ يَنم ويَعْظُمُ

فهذا لسب[1] مثل ماذا مُدَلَّهٌ[2]
وهذا سليبٌ مثل ما ذاك مُغْرَمُ

تَجارَوا إلى محبوبهم وتسابقوا
وقاموا على الأقدام والنَّاس نُوَّمُ

إذا ذُكِرَ المَوْلَى تطيش عقولهم
وذا الطَّيْشُ أهنى العَيْش لو كنت تفهمُ

سَوَاءٌ عليهم إنْ قدَحْتَ وإنْ مَدَحْـ
ـتهم إنما القوم الألى في الملا هُمُ

رَضُوا عَنْكَ في الحالين إذ أنتَ عبد مَن
أحَبُّوا وكلًّا يَصْدر السوء منهمُ

فاعلم ذلك وإياك في الطعن على أهل هذه المسالك، فإنه يُوقع في المهالك، والله يتولى هداك.

---

(1) اللَّسْب: اللَّسْع واللَّدْغ بمعنى واحد. ولَسِبَ بالشيء: مثل لصب به أي لزق. ولَسَبَه أسواطًا أي ضربه، ولسِب العسلَ والسَّمْن ونحوه لسبًا: لعقه. (لسان العرب).

(2) المُدَلَّه: الذي لا يحفظ ما فَعَل ولا ما فُعِلَ به.

الباب السابع

في نُصح المُنكِرين الخاصّ والعامّ، لحصول حُسْن الختام، فإنما الأعمال بالنيات

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [التحريم: الآية 8].

واعلم أيّها الأخ أن الدين النصيحة، وأن من أفرض النصائح أن ينصح الإنسان نفسه ولا يُدْخلها مداخل السوء ولا يُلْقيها في مهالك الإنكار على أولياء الله، فإن كان إنكارك عن جَهْلٍ فيجب عليك التثبُّت أولاً ومطالعة كُتب العلماء المشتملة على سِيَرِهم وإرشادهم وتعبّدهم، ويُحْرم عليك إنكار ما لم تعلم، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: الآية 36]، وقد آل الأمر إلى أن الأمور ثلاثة: أمرٌ تبيّن لك رشده فاتّبعه، وأمرٌ تبيّن لك غيّه فاجتنبه، وأمرٌ اختُلِف فيه فأرجعه إلى عالمه، هذا وما أنكرته غير مختلف في صوابه، وإنما عليه جمهور العلماء العاملين، فيا ليت شعري إنكارك هذا على الإمام سفيان أم على جنيد سيّد الطائفة! أتُنْكر على من لم يعمل إلّا بنصوص أهل مذهبه وأهل مذهبك، ولم يسلك إلّا سبيلهم؟ وقد أوردنا كلامه وأريناكه لتعلمه، وهم أكابر العلماء وأهل السياسة والحُكَماء وأهل السيادة والأُدباء وأهل العبادة والنُّجباء، أترى يترك الغزالي والفخر الرازي وأبو الحسن الشاذلي وابن عطاء الله وابن داود والشعراني وابن حجر ونحوهم، ويصار إليك؟ ما أظن ذلك، وما أرى من يترك قولهم ويأخذ قولك ويدع سيرتهم ويتّبع سيرتك إلّا معتوهًا قد ذهبت حُجاه أو شقيًا مُتَبِّعًا هواه، قد أضلّه الشيطان وأغواه وبلغ منه مُناه، فلا حول ولا قوّة إلّا بالله.

ألا أُخبرك بما آل بك الإنكار إليه، لقد صدر منك أنك قلت: ينبغي أن يجعل الله بين عينيه بدل الرابطة، فأقول: إن كنت تعتقد أن الله شبه شيئًا من خَلْقه الدالّ عليه قولك: بدل الرابطة، فأنت مُجَسِّم أو أنه لا يخلو من كينونته في شيء، أو على شيء، فأنت حلوليّ أو جَهَوِيّ تَعَالى الله تعالى عن ذلك عُلُوًّا كبيرًا، أو إن كنت تقصد أنه سبحانه مُنَزَّه عن المكان وأنه ليس كمثله شيء، وأن كل ما يخطر بالبال فالله بخلافه؛ فاعلم أن الرابطة يتصرّف فيها عاملها ويقرّرها تارة جالسة، وتارة قائمة، وتارة قارّة مارّة، وكيف شاء وذلك على الله مُحال، وأنك قد أخطأت في التعبير وأسأت في التقدير، فأين تنزيهك لمن ليس كمثله شيء وهو السميع البصير؟

ألا أُنبئك بما أوصلك الإنكار إليه حرّرت قراطيس ووصّيْت أباليس يَصُدُّون المسلمين عن هذا الأمر النفيس الذي من لازم المُتَلَبّس به التسبيح والتقديس وصلاة الليل وصلاة الضّحى وإحْيَاء ما بين العشاءين والطلوعين مهما أمكن، وذكر الله على الدّوام والكَفّ عن أكثر الآثام إنْ لم يكن عن جميعها، فانظر كيف نصحت أمّة محمد ﷺ بإبعاد أُمّته عن سنّته: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنفال: الآية 27]، أفلم يدبّروا القول بل جاءهم الحقّ، بل أتيناهم بذكرهم وإنك لتدعوهم إلى صراطٍ مستقيم، أم على قلوب أقفالها، أترى رسول الله ﷺ يرضى عنك بهذا؟ فليحذر الذين يُخالفون عن أمره أن تُصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم، هذا تنبيه وتذكرة وما يتذكّر إلّا مَن يُنِيب.

ألا أدلُّك على ما هو خيرٌ لك من إنكارك الطريقة وأورادها؟ الإنكار على من يرتكب الكبائر المُجْمع على تحريمها وأنت تراه في بلدك مُقْبِلاً ومُدْبِرًا وتسمعه بإذنك ليلاً ونهارًا، وإنكار ذلك واجبٌ عليك، فانظر كيف تركت الواجب واشتغلت بما لا يعنيك، بل يَسُوؤك ويعيبك.

ألا أدلُّك على ما هو واجب من هذا أيضًا؟ أن تأمر أهلك بطاعة الله وترك معاصيه وتُعَلّمهم ما يجب عليهم من أمور دينهم قبل أن يُطالبوك يوم القيامة، فإنهم رعيّتك وأنت مسؤول عنهم، فإهمالك إيّاهم دليل على عدم ديانتك.

ألا أدُلُّك على ما هو أعمّ من هذا؟ أن تحجر نفسك عن معاصي الله وتكفّ جوارحك خصوصًا لسانك الذي يكبّك في قعر جهنّم، مَنْ كثُر كلامه كثُر سقْطه، ومَنْ كثُر سقْطه كثُرتْ ذنوبه، ومن كثُرت ذنوبه كانت النار أوْلى به، فكم من فِرْية حقّقْتها وكم خديعة دقّقتها، وكم غيبة رقّقتها، وكم طعن أشعْتَه، وكم زورٌ أذعْتَه، وكم عَوْرة كَشفْتها، واذكر يوم تَشْهد عليهم ألسنتهم، ويودُّ لو أن بينها وبينه أمدًا بعيدًا.

ألا أدُلُّك على أدقّ من هذا؟ طَهِّرْ قلبك من الخديعة والخيانة والغِشّ والحقد والحسد والطمع والرِّياء والعجب وحبّ التكاثر والمُباهاة والفخر والكبر الذي حمَلَك على عدم تسليم الحقّ لأهله. قال في الإحياء: من لم يكن له نصيبٌ من هذا العِلْم أخاف [عليه] من سوء الخاتمة، وأدنى النصيب التّصديق به وتسليمه، والرابطة من جُمْلة مسائل هذا العلم، ولكنّك تطالع في باب النّزاع وهي ليست فيه، إنما هي في جملة الخبر وصلة الموصول والعائد معلوم؛ إذ هو مفهوم المنطوق، ومنطوق المفهوم كأنك تطالع في باب الزكاة وقسم الصدقات والوقف ليست هي هناك، إنما هي في باب الطهارة وأركان الصلاة أشرفها الطمأنينة، كما أن الحجّ الوقوف بعرفة، ولعلّك تُطالع في باب النون فصل الجيم، وهي في باب الهمزة فصل الدالّ، فدَعْ الجدال واسمعْ هذا المقال: العلم عِلْمان: عِلْمٌ في القلب، فذاك العلم النافع، وعِلْمٌ على اللّسان فذاك حُجّة الله على ابن آدم. شعر:

شَكَوْتُ إلى وَكيع سُوء حِفْظِي ... فأرشَدني إلى تَرْكِ المَعَاصي
وقال اعْلَم بأنّ العِلْم نُورٌ ... وعِلْمُ الله لا يُؤْتى لِعَاصِ

ولو أنّ العِلْم المراد والمُعَبَّر عنه بالنور هو ما حصل لك لكان كثير من أهل الاعتزال أوْلَى به منك، فإن منهم من هو أكثر منك عِلْمًا وأثْقب فَهْمًا وأسْرَع تقريرًا وأنْصَع تحريرًا، إنما هي نفسٌ انتقشت فيها بعض الرسوم واشتغلت عن الحيّ القيُّوم، فاتْرُك الإنكار بتة قد عَلِمْنا ما جهلته، وعَرَفْنا ما عرفته، من بسيط ومُهَذَّب ولهما والله زبدة تطلب المعبود وحده وتَدَعْ كل مودّة شغلت عن ذلك. شعر:

أمَا والذي قد أوْجب النُصْح إنّني ... مَنَحْتُك مَحْضَ النُصْح فاغْنَمْه تهْتَدي

وكُنْ مستفيدًا ما مَنَحْتُكَ شاكرًا ... صَنِيعي ولا تَكْفُر جَميلي فتَعْتَدي
فإن لأهلِ الله أعظَم حُرْمَة ... متى ينتقصها المَرْء بالسُّوء يُقْصَدِ
فيَحْيَى حياةً بالمعاصِي مَشُوبة ... ويَسْكن في دار المشين في غدِ
فيا وَيْل عبد يَدَّعي الرُّشْد وهوذا ... يَرُوح يبغض المُتقين ويَعْتَدي
ويَخْتال في ثوب الغِواية مُعْجبًا ... وهَيْهات من يرشد عن الغيّ يَبْعد
إذا ما رمى أهل العبادة بالقلى ... وبارز أهل الله بالكلم الرَّدِي
فقد حاربَ المعبود فالله خَصْمه ... فيُلْبِسه ثوب الشقاء المُجَرَّد
فيا لغرور جَرَّ صاحبه إلى ... شرورٍ فَجِدْ عنه وقارِبْ وسَدِّدِ

وقال الحافظ جلال الدين السيوطي في رسالته «قمع المعارض»: هذا ما اخترته من المقال مما يناسب المقام، والتقطته من المظانّ لهذا النظام، تنبيهًا على مقام الأولياء وإشارة إلى علوّ رُتْبة الأصفياء، وتحذيرًا مما تأتيه طائفة الأغبياء الظانّون أنهم في عِداد الأذكياء القادحون بأفهامهم الفاسدة فيما لا يفهمون، والخائضون بقِلّة تقواهم فيما لا يعلمون، لا هُمْ وقفوا عند نصّ القرآن، ولا هم امْتَثَلوا ما رُوِيَ عن سيّد ولد عدنان، ولا هم عملوا بما قرّره أئمة الشان، ولا هم جَنَحُوا إلى طريقة جارية على قانون الحقّ والعرفان، قال الله تعالى فيما روي في الأحاديث القُدْسيّة بين حُفّاظ الشرق والغرب: **«من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب»**[1]، وفي لفظ: **«من آذى وليًا فقد استحل محاربتي»**[2]، وأنّى له بالسلامة. وفي حديث مرفوع: **«من عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة»**[3]، رواه أهل الأمانة. وفي آخر قُدْسِيّ: **«مَن أخاف وليًا فقد بارزني بالعداوة، وأنا لثائر لأوليائي يوم القيامة»**[4]، وفيما أوحى الله إلى موسى

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب مَن جاهد نفسه في طاعة الله، حديث رقم (6137) [5/ 2384].

(2) لم أجد هذا اللفظ فيما لديَّ من مصادر ومراجع.

(3) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب الإيمان، حديث رقم (4) [1/ 44]؛ وابن ماجه في سننه، باب مَن تُرجَى له السلامة من الفِتَن، حديث رقم (3989) [2/ 1320]؛ ورواه غيرهما.

(4) ورد بلفظ: «مَن أهان لي وليًّا فقد بارزني بالعداوة....» الحديث رواه الطبراني في المعجم الكبير عن أبي أمامة، حديث رقم (7880) [8/ 221]؛ وروى نحوه ابن أبي الدنيا في الأولياء، حديث رقم (115) [1/ 47].

عليه السلام: «من أهان وليًا أو أخافه فقد بارزني بالمحاربة وباراني وعرض لي نفسه ودعاني إليها وأنا أسرع شيء إلى نصرة أوليائي، أفيظن الذي يُحاربني أن يقوم لي أو يظنّ الذين يعاديني أن يُعْجِزني، أو يظن الذي يبارزني أن يسبقني أو يفوتني، وكيف وأنا الثائر لهم في الدنيا والآخرة، لا أكِلُ نصرتهم إلى غيري»[(1)]، انتهى.

فقد أوضحنا لك القول المُبين، وأفْصَحْنا عن الحقّ المستبين، فادفع الشكّ باليقين، وراجع أصول هذه النقول وتثبّت بما تقول، فما بعد العين ما يقال، وماذا بعد الحقّ إلّا الضلال؟ فارحم نفسك واستغفر عمّا أودعت أمْسك واتْرُك أهل الشُّكوك والظنون، ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾ [الأنعام: الآية 91]، وهذا آخر ما قصدته من المقال العريض المري المقبول لدى كل مؤمن عن قميص الهوى عري، ومن خُبْث الباطن بَرِي، وأنا المسكين الضعيف حسين الدوسري غفر الله له ما مضى ومنَّ عليه بالرضى، إنه خير مسؤول وأكْرَم مأمول وصلّى الله على سيدنا أفضل رسول وعلى آله وأصحابه أهل القُرب والوصول ما تعيَّن الحق وتبيّن الصّدق، آمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

«تعريب فقرات الخواجة عبيد الله أحرار قدّس سرّه»:

يا من شرح صدور العارفين بتجلّيات جلاله، أعِنّا على ذِكْرك وشكرك وأغْرِقْنا في لُجّة بحر برّك، فنحمد ربّنا غوّاصين بحار إظهار صفات كماله، لا نُحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، صلِّ بجلال قدسك على أكرم حامدٍ لك محمد أحمد محمود من جِنّك وإنسك وأوحد موحد تجلّيت عليه بهيبتك وأنسك، صلّى الله وسلّم وبارك عليه وعلى سائر بيت مقدس سيما على آله وصحبه أركان البيت الأقدس.

---

(1) أورد السيوطي في الدّرّ المنثور، تفسير قوله تعالى: ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ﴾ [طه: الآية 21] [5/ 557]؛ وابن كثير في تفسيره، آخر تفسير سورة... [3/ 147].

وبعد؛ فإن الله تعالى أوجد العالم لآدم، وأوجد آدم للخاتم، وأوجد الخاتم لنفسه، فجعل الكلّ مُظْهِر وَصْفه، مُشْرِقًا عليهم من سماء التوحيد بشُمَل شمسه، فظهر شروقه ظهور الذرة والهباء بالشمس الذي هو في رابع السماء، فكما لا يمكن إدراك الذرّة إلّا بدخول الشمس من الخوخة، فإن الشّعاع إذا دخل منها تقوم الذرة عليه في هيئة خيط بمقدار وَسْع الخوخة وضيقها، كذلك الذرّة التي كانت في عالم العَمى إذا ذابت بإشراق الحقّ حين نظر إليها، قال الله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ [فُصّلَت: الآية 11]، فتحقّق منها الجهات الستّ المُنَزّه باريها عنها، فقال لها وللأرض: ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فُصّلَت: الآية 11]، فما ظَهر من الوجود ليس إلّا من ذَوَبان الذرة على نفسها من هيبة نظر الناظر الباطن الظاهر والعلويّات كلها بمنزلة الخيط الشعاعي إلى أبدي الظُّهور، وإن اختلفت النشآت بظهور مقتضيات المتقابلات.

فالخوخة التي لا تسدّ في النشأتين هي الحقيقة المُسَمّاة بحقيقة الحقائق، وهي الحقيقة المُحمديّة عليها أفضل الصلوات وأكمل التحيّات، وخَيْط الوجود ذات السيالة قائم بالشعاع المحمّدي في كل بيت مُقدّس من آدم إلى انقراض هذا العالم بانعدام البيت الذي يَصْلُح لأن يكون مكان الخوخة المذكورة نبوّة وصدّيقية، فإنّ الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم مُقَدّسون قلبًا وقالبًا عن التوجّه إلى غير الله، فقلوبهم بيوت الحقّ في النشأة الدنيوية والكتب المُنَزّلة عليهم مأدبة الحقّ ومائدته، ولسانهم هو الدّاعي إلى الله سراجًا مُنيرًا، ولا تُرْفع مائدة إلّا بوضع الأخرى، قال الله: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البَقَرَة: الآية 106].

فالشرائع السالفة نُسِخَت بالمائدة المحمديّة والبيت المُحمّدي كان أعظم البيوت المُقَدّسة؛ لا جرم نزلت مائدته أعمّ الموائد، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سَبَأ: الآية 28]، فلا تُرْفع مائدته أصلاً، بل يُوضع طعامٌ بدل طعام آخر، والمائدة بحالها رحمة من ربّه وفضلاً، كما أن موائد الأنبياء عليهم السلام انتهت، فلا يُؤكل عليها إلّا طعام يخصّ بها، كذلك ينبغي أن يغلب الطّاعم القدر المشترك من المطاعم في جميع الموائد عليها، فيَطْعم منها كما يُطْعم وهو يُطْعِم ولا يُطْعَم، فالحمد لله الذي جمع بين النبيّ والصّدّيق

﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: الآية 40]، فالمائدة نحمد الله ممدودة، ولكن لا يَطْعَمُها إلّا كل صدِّيق يَصْلُح أن يكون لمن أنزلت هي عليه صدِّيقًا، وفي الهجرة إلى الحقّ عن الباطل في جميع الأحوال رفيقًا شفيقًا، واختصاص أبي بكر بالنبيّ ﷺ من بين الأمّة لأنه رأس الصِّدِّيقين ورئيسهم، وما زُفّت المائدة المُنْزَلة على محمد ﷺ إلّا في زمنه، وآمن الناس به ثانيًا بعد ارتدادهم وقاتل من فرّق بين الصلاة والزكاة، حتى قال: لو منعوني عَناقًا كانوا يُؤَدُّونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليها، فأيّد الدين بعد انْهِدامه بقتاله أهل الردّة ومانعي الزّكاة، قال عليه السلام: «نحن نقاتل على التنزيل وأبو بكر يُقاتل على التأويل»، ومعناه بيان مقتضى المقامين من النبوّة والصِّدِّيقيّة لا الحصر، كما يدلّ عليه ورود الخبر الصحيح في مقاتلة أبي تراب رضي الله عنه مع البغاة أيضًا، فكلّ مَن كانت هِمّته تأييد الدين فهو صدِّيق زمانه يَطْعم من المائدة سواء طَعَم غيره أو لم يَطْعَم؛ إلّا أن الصِّديق لأهل زمانه لا بدّ وأن يسعى إطعام غيره أيضًا.

والأولياء كلهم ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾ [النور: الآيات 36 - 38]، وهؤلاء الصِّدِّيقون قائمون على المائدة إلى أن يَرِثَ الله الأرض ومَنْ عليها تُمَدّ المائدة على قلوبهم التي لا يَسَعها غير الله فيُلْهم التعرّض في أيام دهرهم للنفحات الربّانية امتثالاً لقوله عليه السلام: «إنّ لِرَبّكم في أيام دَهركم نفحات، ألا فتعرّضوا لها»[1]، ولا يتعرّض لها إلّا الرّاسخ في العلم، فإنهم من أهل التأويل؛ إذ ليس لقلبهم متعلّق سوى التفادي بأرواحهم للحبيب الحقيقي من فَرْط الحبّ، كالصِّدِّيق في الغار، وأبي تُراب في الفراش، والطريق إليه ﷺ بعده مُنْحَصِرٌ في هذين؛ لهذا يدلّ على ذلك أمره عليه السلام بسدّ الخوخات إلى المسجد إلّا خوختيهما أو خوخة أحدهما.

---

(1) وتتمته: «لعلّ أحدكم أن تصيبه منها نفحة لا يشقى بعدها أبدًا». رواه الطبراني في المعجم الأوسط، باب مَن اسمه إبراهيم، حديث رقم (2856) [3/ 180].

وسلسلة المشائخ كلّهم منتهية إلى النبيّ ﷺ من طريق أبي تراب رضي الله عنه، إلا سلسلة الذهب وهي للنقشبندية، فإنها واصلة إلى النبيّ عليه السلام من طُرُقٍ أربع، أحدها: إلى الخضر عليه السلام، وثانيها: إلى الصّدّيق من طريق الإمام جعفر رضي الله عنه، فإنه أخذ من جدّه قاسم بن محمد، والقاسم أخذ من أبيه محمّد، ومحمد أخذ من أبيه أبي بكر رضي الله عنه، وثالثها ورابعها إلى عليّ كرّم الله وجهه من طريق سيّد الطائفة الجنيد وطريق سلطان العارفين أبي يزيد البسطامي، ولأجل هذا سمّيت هذه السلسلة بسلسلة الذهب، وفُضّلت على غيرها من النَّسَب.

وأسود غابات التأويل كلّهم مُطَوّقون بهذه السلسلة العظيمة التي هي إدراج النهاية في البداية، فيذوق المبتدىء فيها ذوقًا من غيب الهويّة، ولا يحصل في غير هذه الطريقة الذوق المذكور إلّا بعد الرّياضات الشاقّة، وربما أيضًا لا يحصل بعدها، والسرّ في ذلك أن الأسد من شأنه أن يَصْطاد فيَطْعَم ويُطْعم غيره، ولا يطوّق بسلسلة الذهب إلّا الأسود، والمنتهي في هذه السلسلة هو المطوّق بها، فهو في صيد الحقائق والمعارف أسد المعارك في وقته يَطْعَم ويُطْعِم، كما كان وحيد زمانه وفريد أوانه وأعرف العارفين بالله في دورانه، تغمّده الله بمغفرته ورضوانه ونعّمه بمشاهدة جماله في أعلى جنانه، حيث فني عن حظوظ نفسه وغني بما كان يومه خيرًا من أمسه، أنعم الله عليه بجلائل نِعَمه الصورية والمعنوية وفضائل حكمه الدنيوية والأخرويّة، فكان يتعرّض لنفحات ربّه في أيّام دهره صائدًا لغزلان عوالم الغيب بمخالب المشاهدة والعيان، قائدًا لها إلى مضيق الشهادة بمساعدة فرسان البَيان معجزًا للفرس كلّهم بفروسيّته فعجزوا عن تحدّيه ولو في أدنى عبارة الميدان، وانتفعوا بموائد بيانه على قَدْر أذهانهم واحتظّوا بعوائد عيانه بعد طلوع بدر برهانهم، فاقتضى الحال أن ينتفع بها العرب كانتفاع العجم ليتحقّق بين الفريقين أنه كان ليث هذه الأجَم، كان على الحقيقة بيانًا للشريعة والطريقة، فما كان المُسَمّى غاصب الاسم توجد في طريقته الأنيقة.

حريٌ أن يَعُمّ الناس طرا بشرْعَتِه وهي له سليقه
حُسَام الحق مَسْلول من الغمد ضياء الصِّدْق أظهر لي بريقه

كـلام الله فـرقـتـه ثـلاث | فـميّز أنـت مـن كـل فـريـقـه
طريق أبي تراب كان يمشي | كصديق له في الحبّ ليقه
ولا تتعب بتمييز الخلائق | فهم يأتوك من مدن سحيقه
وأنت الكعبة العظمى بحقٍّ | حقيقٍ أن تُطاف على الحقيقة
فذُقْ طَعْم المعارف كي تجدها | فقد ذاقَ الصّفا مَنْ ذاقَ ريقه
وهـذا ريـق مـولانـا عـبـيـد | لسانُ الفرس وهي لنا وثيقه

ذوقها لأبيه بالتماسه لذلك، فأدرج فيها الوصول إلى المقصود بأقرب المعالج والمسالك، فنقول: إنه يقول: سبب هذا التأليف المختصر أن والدي رزقه الله وإيّانا العمل بما فيه بناءً على حُسْن ظنّه بهذا الفقير أمرني لما رجعت من الغُرْبة إلى وطني أن أكتب له شيئًا من كلام أهل الله يكون العمل به سببًا للوصول إلى المقامات العَليّة والعلوم الحقيقية الخارجة عن طَوْر النظر والاستدلال، قال عليه السلام: «من عَمِل بما عَلِم ورّثه الله عِلْمَ ما لم يعلم»[1]، فوجب امتثال أمره على هذا الفقير؛ لأن الأدب مع الحضرة الربوبية تقتضي الأدب معه، إذ الوالد واسطة وصول أثر ربوبية الحقّ جلّ وعلا إلى الولد.

وقال بعضهم في بيان الحقيقة: من آداب المرء مع الحضرة الربوبية تعظيم المظاهر التي قَبِلت أثر الربوبية لأنهم مظاهر تلك الأثر مثل الأب والأمّ وسائر من هو من قبيلهما؛ إذ هذا التعظيم راجع إلى الربّ حقيقة، وإليه يرجع الأمر كلّه، فامتثلت أمره وذَكَرْتُ في هذا المختصر ما يكون سببًا لحصول المعرفة المطلوبة من الإنسان، فالملتمس من الناظر فيه أن لا يُسْنِد الكلام إلى مؤلّفه، بل يراه في قبضة تصرّف الحقّ جلّ ذكره، كالقلم في يد الكاتب، فإنه إذا لم يَنْسُب الأمر إلى مُؤَلّفه دخل في زُمْرة الذين علومهم حاصلة عن الحقّ بلا واسطة؛ لأن الوجود المجازي عندهم في حُكم العدم، كما قال بعض العارفين من أصحاب العيان مخاطبًا لأرباب النظر والبرهان: إنكم أخذتم علومكم ميتًا عن ميت، ونحن أخذنا علومنا من الحيّ الذي لا يموت، ومن كان وجوده

(1) أورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (2542) [2/ 347].

مُسْتفادًا من غيره فحكمه عندنا حكم اللّاشيء، فليس للعارف مُعَوّل غير الله قطعًا، وبالله أستعين وعليه أتوكّل ولا حول ولا قوّة إلّا بالله.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: الآية 56]، قال المفسّرون: المراد بالعبادة هٰهنا هي المعرفة؛ إذ العبادة بحسب تبادرها إلى الفهم تتعلّق بأعمال الجوارح، ولو حُمِل إلى ما هو المتبادر منها لا يَسْتقيم المَعْنى؛ إذ الغرض والغاية من خَلْق الخَلْق ليس مُجرّد الأعمال الظاهرة، بل الأعمال الظاهرة تابع للمعرفة، والمعرفة هي المقصودة بالذات، وبعض الصوفية أراد العبادة بالمعنى الأعمّ؛ إذ العبادة عندهم تشمل الأعمال الظاهرة والباطنة، والمَعْرفة عمل القلب، ولا حاجة إلى التأويل.

والمُحَقّقون متّفقون على أن المعرفة لا تحصل إلّا بمتابعة النبيّ ﷺ، ومتابعته موقوفة على العِلْم بما يجب متابعته فيه، فاعلم أن للنبيّ عليه السلام قولاً وفِعْلاً وحالاً، فالقول يتعلق بلسانه، والفعل يتعلق بظاهره، وحاله يتعلق بباطنه، فمتابعته ﷺ في قوله أن لا يجري على لسانه ما يخالف شرعه عليه السلام، مثل الغيبة والكذب والكلام الذي فيه إيذاء للمسلم وغير ذلك، وأن يتكلّم بما يكون سببًا لنورانيّة قلبه مثل قراءة القرآن والأدعية المأثورة عن النبيّ عليه السلام ويُرَغّب عباد الله إلى شريعته، ويجب أن يكون في قراءة القرآن والأدعية بحيث يُعَبّر بلسانه عمّا في قلبه، فإنه لو لم يكن كذلك كان شاهد الزّور.

هذا إذا كان عالمًا. وأمّا إذا كان أُمّيًا، فليعتقد بقلبه أنّ القرآن كلام الله عزّ وجلّ فيشرع في قراءته بالتعظيم وحضور القلب بملاحظة عَظَمة ربّه الكريم ومتابعة فعله عليه السلام، وأن يُزَيّن ظاهره بشريعته، ولا يترك سُنّته وآدابه، فإنه بمقدار ما ترك منها ينقص من دينه، وأيضًا متابعته عليه السلام في فعله بمعاونة الإخوان المؤمنين بيده وسائر الجوارح فيما يحتاجون إليه كلّه موجب صفاء ونور خصوصًا إذا كانت معاونته في قضاء حوائج المتوجّهين إلى جناب الحقّ سبحانه؛ لأن الله تعالى أظهر هذه الطائفة لمحبّته، فيحبّ منهم دوام التوجّه إليه، إذ قلبهم في حالة التوجّه إلى الحقّ مرآة مصقولة يظهر فيها جماله، وقد يقع لهم التوجّه بواسطة البشرية إلى الأكل والشرب واللباس وغير ذلك، فيتكدّر

باطنهم بمقدار تعلق ظاهرهم بالأمور المذكورة اللازمة لهم بالضرورة، وبمقدار ذلك الغبار يحجبون من مشاهدة جماله.

فصاحب الدولة الذي وفّقه الله لكفاية أمورهم الضرورية له نصيب تامّ من معانيهم ضرورة؛ إذ كفايته لأمورهم سبب رجوعهم إلى حالهم من مشاهدة الحقّ، فكأنه هو الذي وجّههم إلى الله بالدوام، وأحسن من هذا في تحقيق هذا الكلام أن يقال الموفق لقضاء حوائج المتوجّهين إلى الله إنْ كان شاكرًا لربّه بما أنْعَم عليه من التوفيق المذكور، فهو مُظْهِر اسمه الكافي تبارك؛ إذ الشكر منه يدلّ على أنه ما أسند الأمر إلى نفسه، حيث قال: الحمد لله الذي جعل كفاية أمور وليّه على يدي، فهو مُتَخَلِّق بالاسم الكافي، وورد الحديث النبويّ: أنّ «من تخلّق بخُلُقٍ من أخلاق الله فهو مُحَرَّم على النار»[1]، ولباطن النبيّ ﷺ مراتب من النفس والقلب والسرّ وغيرها، وقد أعطاه الحقّ عزّ اسمه بحسب كل مرتبة منها كمالاً يناسب تلك المرتبة، ويجب على المسلم متابعته في تلك المراتب ولا تتيسّر المتابعة المذكورة إلّا بالوقوف على آدابها ومعرفة آدابها على حسب الكمال، ليس في وِسْع أحد من الأنبياء والأولياء، ولكن للمجتهد فيها على قَدْر حاله من تلك الكمالات نصيب.

فمتابعته في مرتبة نفسه أن يُخالف هواها مُلْجِمًا لها عن المَيْل إلى خلاف الشرع، فإذا داوم على هذا تحصل لنفس المتابع مناسبة تامّة بنفسه عليه السلام، وبقدر المناسبة ينجذب نفس المُتابِع من نفس المَتْبُوع مثل الفتيلة التي تَجْذُب النار إلى نفسها بواسطة دخان الزيت، فيترقّى عن درجة التقليد بقدر انْجذابه عن صفات النبيّ عليه السلام، وقِسْ على هذا متابعته له في سائر المراتب لتحصيل الكمالات المناسبة لتلك، وإذا كَمُلَت المناسبة بينه وبين النبيّ عليه السلام بواسطة المناسبة حقّ للمرء أن يكون محبوبًا لله تعالى، قال الله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: الآية 31]، فيطلعه الحقّ على أسراره في الملك والملكوت.

---

(1) يشير إلى قوله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحدًا مَن أحصاها دخل الجنة». رواه البخاري في صحيحه، باب إن لله...، حديث رقم (6957) [6/ 3691]؛ ومسلم في صحيحه، باب في أسماء الله تعالى...، حديث رقم (2677) [4/ 2063]؛ ورواه غيرهما.

وهذه المحبة عائدة إلى النبيّ عليه السلام؛ إذ اتّصافه بأوصاف النبيّ عليه السلام سبب لها، وإنْ كان استعداده لذلك الاتّصاف محض فضل الله وكرمه، ولو أبصرت بعين الحقيقة وجدت الحقّ هو المحبوب لذاته، وهو المُحِبّ أيضًا ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ﴾ [المَائدة: الآية 54] كلام له، فلا يحبّ سواه؛ لأنه العلّة، إذ صاحب الجمال لا يحبّ المرآة لذاتها، بل لأنها آلة لمشاهدته لجماله، والحقّ سبحانه وتعالى في مرآة وجودات الأنبياء والأولياء بمقدار استعدادهم يتجلّى بذاته وصفاته، وكل مرآة صقالتها بحسب الاستعداد أكثر، فالتجلّيات فيها أتمّ وأظهر، ولهذا وقع التفاضل بين الأنبياء بعضهم على بعض إشارة إلى ما قلنا من التفاضل، ولما كان استعداد المرآة المحمديّ ﷺ أكمل من المجموع؛ لا جرم ظهور آثار التجلّيات بحسب الذات والصّفات فيه أتمّ من الكل، وأمّته بواسطة متابعته لهم منها نصيب تامّ، فألبسوا لذلك من الله تعالى خلعة الخيريّة بالنسبة إلى الأمم المتقدمة كما قال الله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عِمرَان: الآية 110]، ومن هٰهنا قال عليه السلام: «ولقد تمنّى اثنا عشر ألف نبيّ أن يكون من أمّتي»[1]؛ إذ علم المتمنّون أن حصول تلك المراتب العَليّة موقوفة بمتابعته عليه السلام، فعلوّ هِمَمهم اقتضى أن يكون لهم الكمال الموقوف بمتابعته، فتمنّوا أن يكونوا من أمّته.

وإذا علم أنه لا تُنال مرتبة من مراتب الكمال إلّا بمتابعة النبيّ عليه السلام، فيعلم أيضًا أن متابعته ﷺ على حسب الكمال، إنّما هو بكون القلب مُنَزّهًا عن التعلّق بغير الحقّ سبحانه منقطعًا عن العلائق البدنيّة والعوائق الكونيّة بالكلّية، وانقطاع القلب عن غير الله لا يحصل إلّا بلسع حيّة الحُبّ لكَبِده المشويّ بنار الشوق والقلق والمحبّة، وإن كانت من المواهب لكن ظهور هذه الموهبة بالتدريج موقوفة على حصول شرائط ملاكها تخلية القلب عمّا سوى المحبوب الحقيقي.

وللوصول إلى حصول هذه الدولة العُظمى طريقة ما سلكها أحد إلّا وصل المقصود، وهي أن يذكر اسم المحبوب الحقيقي ابتداء بلسانه ويحضره

---

(1) هذا الأثر لم أجده بلفظه فيما لديّ من مصادر ومراجع.

بقلبه مُنَزّلاً اسمه على مسمّاه المحيط عِلْمه بالأشياء من غير فتور في هذا الذِّكر حتى يَغُوص حديث النفس في القلب بذكره، فإذا رأى قلبه ذاكرًا للمحبوب، وانحصر في ذكره حديث النفس ينبغي أن لا يرضى بذلك، فيترك الذِّكر، بل يداوم على الذِّكر حتى يلتذّ قلبه من ذكره، فيترقّى بالمداومة المذكورة أيضًا إلى أن ينقطع قلبه عن الالتذاذ بغيرها من سائر اللّذّات الدنيويّة والأخرويّة، فلا يبقى لقلبه متعلق سواه، فيكون كلّه مشغولاً، بحيث لو أراد أن يحبّ غيره ولو بالتكلّف ما يمكن من ذلك، والمكالمة والمُناجاة اللّتان يحصلان للسّالك إنما هما في هذه الحالة، فيصير بحيث لو تكلّم مع أحد كان الكلام معه، وكذا لو نظر إلى أحد كان ناظرًا إليه، وهذا هو الحضور المُنَزّه عن الغيبة المُعَبّر عنه في الحديث القُدْسي بقوله: **«ولا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أُحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وعقله الذي يعقل به»**[1]، فحينئذٍ لا تمنعه الأشغال الصوريّة الضرورية عن هذه العلاقة الحبّية المعنوية؛ إذ تمكن باطنه عن مناجاة الحقّ وهو بظاهره مع الخلق، فهو كائن بائن، وهذا المعنى عبارة عن بلوغ السالك؛ كما قالت رابعة رضي الله عنها: شعر:

ولقد جَعَلْتُكَ في الفُؤاد مُحدِّثي وأَبَحْتُ جِسْمي مَن أراد جُلُوسي
فالجِسْم منّي للجليس مؤانسٌ وحبيب قَلْبي في الفُؤاد أنيسي

فصاحب الدولة الذي حصل له في الدنيا هذا التعلّق الحبّي بالحقّ سبحانه إذا فارق روحه من بدنه يحصل وصال واتّصال دائمين بربّه، فإن القلب الذي شغفه الحبّ، وإنْ كان واصلاً إلى محبوبه في هذا العالم، ولكن يقع عليه حجاب رقيق لأجل المقتضيات البشريّة، فلمّا انقطع الروح عن الجسد زال ذلك الحجاب بالكلّية؛ إذ زوال العلّة التامّة للشيء يستلزم زوال معلولها والجسد علّة الحجاب الرقيق، وقد زالت مزاحمته لروح المحبّ المذكور بالموت الطبيعي، فلا حجاب لهذا الروح بعد الموت أصلاً.

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

تمثيل: إذا أردنا أن نشغل أناسًا بمحبة محبوب، فطريقه أن يَبقى في الحارة الفلانية محبوب كذا وكذا نعته مما يستلزم التوجّه إليه، فينبغي أن تحبّه لأنك إذا أحببته تلتذّ بمحبّته فتفوز بوصاله، والإنسان مجبول بمحبّة ما يلتذّ منه، فيميل قلبه بمجرّد سماع نعته إلى محبّته، ولكنه ما يعرف طريق تحصيل هذه السعادة، فالطريق له أن يقصد له ما يمكنك الاستسعاد بها إلّا بأن تكثر من ذكره وتزجر قلبك عن الاشتغال بغيره، فيميل إليه قلبه، وإذا داوم على الذكر يزيد الميل فليتذّ قلبه من هذا الميل بازدياد اللذّة إلى أن تستحكم العلاقة التي هي الارتباط الحبّي، فلا يبقى في يده زمام اختيار القلب؛ إذ شغفته محبّته، فحبّه سواء أراد أو لم يُرِد، فلا تَسَعْ القلب محبّة الغير، بل لا يَسَعَهُ الاشتغال باسم المحبوب، فينسى الاسم من غَلَبة المُسَمّى عليه، ويترقّى من هذا الحال إلى مرتبة استيلاء نفس الحبّ، كما قال العامري لليلى: دعيني فقد شَغَلني حبّك عنك، بانصباغ طرفيه بصبغة وهي الوحدة المحضة ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البَقَرَة: الآية 138].

إذا علم أن حصول المحبّة إنما هو في الاشتغال باسمه، فاعلم أنّ أفضل الأذكار ذكر لا إلـه إلّا الله؛ إذ هذه الكلمة مُرَكّبة من النفي والإثبات، والحُجُب الحاصلة للعبد إنما هي بواسطة انتقاش الصور الكونيّة في القلب، وفي هذا الانتقاش إثبات الغير ونفي الحقّ، فلا يحصل القُرْب إلّا برفع الحجاب، وذلك بإثبات الحقّ ونَفْي الغير كما هو المفهوم من هذه الكلمة الطيّبة.

فالمبتدي إذا أراد أن يشتغل بها، فليقصر أمله وليحصر حياته في النفس الذي هو فيه، وفي هذا النفس الذي تيقّنه آخر أنفاسه أن يشتغل بالذّكر المذكور، وطريقه أن ينحي عن قلبه غير الحقّ بقول لا إلـه، ويلاحظ الحقّ عزّ وجلّ بالمعبوديّة والمحبوبيّة في قول إلّا الله، بحيث يُضْمِر في قلبه كلّ مرّة يقولها: أنْ لا معبود إلّا الله.

ولْيَكُن اشتغاله بالذّكر مُنَزّهًا عن التّرك وتطرُّق الفتور، فإذا عرضته غفلة فليعتقد من باب التمثيل إنْ كان معه در ثمين عديم النظير، وهو الآن ضاله فيتحزن لذلك بلا ريب، كذلك يتحزّن من فوات الحالة المذكورة، وهذا التحزُّن علامة تأثُر القلب عن الذّكر.

فإذا داوم على هذه الحالة يصل إلى مقام لو ترك الذِّكر بلسانه فالقلب مشغولٌ به، ولكن لا يكتفي بذلك، بل يستوعب أوقاته للاشتغال به على القاعدة المُقرَّرة النقشبندية من إلصاق اللسان بالحَنَك الأعلى وحبس النَّفس في السُّرَّة ورعاية الحركات الثلاث مبتدئًا من السُّرَّة ومنتهيًا إلى القلب والحركة الوسطى إلى المنكب الأيمن في النَّفْي والإثبات إلى أن يصل مرتبة يغلب ذكر الحقّ على سائر الأشياء.

ويداوم على الذِّكر حتى يتدرج إلى انفراد حقيقة القلب بالمذكور لاستيلاء سلطان المحبّة عليه، فلا يبقى في القلب محبّة الغير، فيتحقّق تعلُّقه بالحق، فيستوي على عرشه الأعظم متكلّمًا سميعًا بصيرًا مريدًا قديرًا، وحصول هذه السعادة للقلب إنما هو لأن الله تعالى خلق القلب بحيث ما يمكنه إلّا أن يكون متعلقًا بشيءٍ، فإذا انقطع تعلّقه عن الغير بالطريق المذكور لم يَبْقَ إلّا أنه يتعلق بالحقّ سبحانه، أراد العبد أو لم يُرِدْ.

وفي هذه المرتبة يصير الذُّكْر صفة ذاتية للقلب، وحقيقة الذِّكر التي هي مُنزَّهة عن الحرف والصوت تتّحد مع جوهر القلب المُعَبَّر عنه بالنكتة الذاتية، فيحيط الحبيب بفضاء القلب بعد إحاطة ذكره بالفضاء المذكور، وشتّان ما بين الإحاطتين، فإن إحاطة الحبيب بفضاء القلب إنما هي نتيجة المحبّة المُفْرِطة المسمّاة بالعشق، فيترقّى من هذا المقام إلى أن يفنى الوجود المَوْهوم في الوجود الحقيقي، فيصير الذّاكر عين المذكور، وتتبدّل الذاكرية بالمذكورية، فيظهر للذاكر حقيقة قولهم: لا يذكر الله إلّا الله، وإذا حُكِمَ بفناء وجوده المَوْهوم فَيُحْكم بفناء جميع الأشياء الموهومة أيضًا، فيتجلّى له قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: الآية 88]، ويكشف جمال قوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: الآية 16] عن وجهه براقع الاستتار، فيكون موحّدًا حقيقيًّا؛ كما قال: شعر:

ما وَحَّدَ الوَاحِد من وَاحِدٍ	إذ كُلّ مَنْ وَحَّدَه جَاحِدُ
تَوْحِيدُه إيّاه توحيده	وَنَعْتُ من يَنْعته لاحد

ففي البيتين إشارة إلى حصول هذه المرتبة العُلْيا لخواصّ عباده في دار الدنيا، وكانت المتابعة سبب حصول هذه المرتبة العَليّة، فمن أراد هذا

التحصيل، فليجالِسْ من يُوافق ظاهره الشريعة المحمّدية وباطنه بواسطة المتابعة في المراتب المذكورة مُظْهِرًا للكمالات؛ إذ القلب مَجْبول على التأثر من الجليس، إنْ خيرًا فخير، وإن شرًّا فشرّ؛ بحيث لو جلس أحد مع محزون يتأثر من حُزْنه، وإذا جلس مع مسرور يتأثر من مسرّته، وإن جالسهما يتمكّن فيه الصفتان، وهذا من كمال قابلية القلب، ولولا هذه القابلية لما حصلت له الكمالات المذكورة، فمن جالس هذه الطائفة يتأثر باطنه عن باطنهم، فيميل قلبه إلى الحقّ جلّ وعلا، وبمقدار مَيْله ينقطع عمّا سواه، وبمقدار انقطاعه يزيد المَيْل، فازدياد الميل سبب ازدياد الانقطاع، وازدياد الانقطاع سببٌ لميل آخر وهلمّ جرًّا، إلى أن لا يبقى له ميل إلى الغير، وربما يحصل هذا الحال لبعض أرباب القابلية في صحبة هذه الطائفة بنظرة واحدة، فينقطع قلبه عن غير الله ويتوجّه بكلّية قلبه إلى ربّه ومولاه، وهذا هو الوصول في مرتبة من المراتب، ولكن الثبات على هذه الحالة مشكل لا يعرفه إلّا أرباب معاملة القلب.

وقد تحصل هذه السعادة للسالك في صُحْبة أهل الله وما يشعر بها لضعف استعداده والثبات عليه مَنُوط بدوام الصحبة وحفظ شرائطها وآدابها ظاهرًا وباطنًا، فإنْ تَرَك أدبًا من تلك الآداب بَعُد عن قلوبهم وسقط أعْينهم، فلا يبقى له تلك الحالة التي فاضت على قلبه بواسطتهم لانتفاء الرابطة بينه وبينهم، ورأينا كثيرًا من الناس حصل لهم التأثر التامّ من صحبة هذه الطائفة، فما قدَرُوا على رعاية الآداب، فزال الذوق المذكور. شعر:

عناية أهل الله لولا تواتر
على الخَلْق لَاسْوَدّت صحائفهم وِزْرا
ولكنهم أهلٌ لكل جميلة
فيَعْفُون عنّا ما نقول لهم عُذْرا

جعلنا الله ممّن سبقت لهم العناية، فلا تضرّهم كثرة الجرم والجناية، ووفّقنا لقبول الصِّدق من قائله ودرّ الحقّ إلى سائله، وذوّقنا رحيق التحقيق من كؤوس التوفيق، فلا نشرد عن كلام أهل الله، بل نستقبله بالصِّدق والتصديق، فطوبى لمن كانت قابليّته قابلة لقبول الهداية مثل الصِّدّيق، فينفق لله ما عنده من المال، ولا

يخشى من ذي العرش الفاقة والإقلال، وروي أن النبيّ ﷺ لما أمَرَ بإنفاق الأموال أنفق أبو بكر رضي الله عنه جميع ماله، فجاء إلى رسول الله ﷺ وعليه كساء مربوط طرفاه بشوكة النخل، فسأله النبيّ عليه السلام: «ما ادّخرت لعيالك»[1]؟ قال: الله ورسوله، ثم أتى جبريل في زيّ الصّدّيق إلى رسول الله ﷺ، وقال: إن الله أمر أهل السمٰوات كلّها أن يوافقوا أبا بكر في زيّه كرامة له[2]، اللّهمّ وفّقنا وسائر المسلمين لموافقته، والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، ثم الحمد لله على الإتمام والصلاة والسلام الأكملان على خير الأنام، وآله وصحبه البَرَرة الكرام.

تمّت الفقرات

للشاذلي قُدّس سرّه: اللّهمّ أعِنّي على فَرْش أمْنِك بمَنِّك، واحْرُسني بحارس حِفْظك وصَوْنك، وردّني برِداء الهَيْبة، وأجْلِسني على سرير العَظَمة، وتوّجْني بتاج البهاء، وانْشُر عليّ لواء العِزّ واملأ باطني خَشْية ورحمةً وظاهري عَظَمة وهَيْبة، ومَكّنّي ناصية ناصية كل جبّار عنيد وشيطان مَريد، واعْصِمْني وأيّدني في القول والعمل برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه وسلّم.

مَن قال بقلبه ولسانه: دستور يا أصحاب الوقت أدرس أو أعِظ بحكم النيابة عنكم أمِن عن ارتجاج الكلام عليه في ذلك المجلس، وأمَدّوه كلّهم بالعلوم والمعارف، شَعَر أو لم يَشْعر.

قصيدة للشيخ ناصر الدين المشهور بابن بنت المَيْلق رحمه الله تعالى:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مَــنْ ذاق طــعــم شــراب الــقــوم يــدريــه
ومَــــنْ دَراه غَــــدَا بـــالـــروح يـــشــــريــــه

(1) رواه أحمد في فضائل الصحابة، حديث رقم (527) [1/ 360].

(2) هذا الأثر لم أجده فيما لديّ من مصادر ومراجع.

ولو تعرض أرواحًا وجاد بها
في كل طرفة عين لا يساويه
وقطرة منه تكفي الخَلْق لو طَعِمُوا
فيشطحون على الأكْوان بالتِّيْه
وذو الصَّبابة لو يُسْقَى عدد الأنـ
ـفاس والكَوْن كأسًا ليس يرويه
يروي ويظما ما ينفكّ شاربه
يَصْحُو ويَسْكر والمحبوب يسقيه
في ريِّه ظما والصَّحو يُسكِرُهُ
والوَجْدُ يُظْهِره طَوْرًا ويخفيه
يبدو لهُ السرّ من آفاق وجهته
وليس إلّا لَهُ منه تبديه
له الشهادة غَيْبٌ والغُيُوب له
شهادة والفناءُ المَحْضُ يُبْقِيه
له لدى الجَمْع فَرْقٌ يَسْتضيء به
كالجمع في فرقه ما زال يُلْقيه
يَدْنُو ويَعْلُو ويَرْنُو وهو مُصطلم
في الحالتين بتمييز وتوليه
له الوجودات أضْحَتْ طَوْع قُدْرته
وما يَشاء مِنَ الأطْوار يأتيه
للقوم سرٌ مع المحبوب ليس له
حدٌ وليس سوى المحبوب يُحْصِيه
به تصرّفهم في الكائنات فما
يشاء شاؤوا وما شاؤوه يقضيه
إن كنت تَعْجَبُ من هذا فلا عَجَبٌ
لله في الكَوْن أسرارٌ تُرَى فيه

لا شيءٍ في الكَوْن إلّا وهو ذو أثر
فما المُؤثر غيرَ الله قاضيه
ليس التضادّ مَناعًا لقُدْرته
من حيث قُدرته تأتي تعاليه
وإنما من وجوه الحادثات له
تمانعٌ في محل الظلّ يَخويه
وللفقير وجوهٌ ليس يَحْصُرَها
عدٌ وكل وجود فهو واديه
لو كنت تدري وجود العبد كُنْت تَرى
فيه الكمال كما النقصان تُنْفيه
والعبد هذا هو الحُرّ الذي حصلت
له الخلافة جَلّ الله مُعْطِيه
أوصافه ظَهَرَتْ مِنْ وصف مُبْدِعِهِ
وكلُ مظهره يُبْدي تجلّيه
إذا رؤي ذكر المَوْلى برؤيته
وفاز بالسَّعْد والتقريب رَائيه
عبدٌ عليه سِمَاتُ العِزّ لَائِحَةٌ
وخِلْعَةُ العِزّ والتحكيم عاليه
إن كُنْتَ تَقْصِد أن تَحْظَى بصُحْبته
فاسلك على سُنَن طابت مساعيه
أخْلِص وِدَادَك صِدْقًا في مَحَبّته
والْزَم ثرى بابه واعْكُف بناديه
واستغرق العمر في آداب صُحْبته
وحَصِّل الدُرّ والياقوت مِنْ فِيه
وابْذُل فؤادًا وبالِغْ في أوامره
إلى الوفاق وبادِرْ في مَرَاضِيه

واحْذَر بِجَهْدِك أن تأتي ولو خطأً
ما لا يُحِبّ وباعِدْ عَنْ مَناهِيه
وكُنْ مُحِبّ مُحِبِّيه وناصِرهم
والْزَمْ عداوةَ من أضحى يُعَادِيه
واعْلَم يقينًا بأن الله ناصِرَه
إن لم يكن ناصرًا فالله يَكْفِيه
وأنْزِل الشيخ في أعلى منازله
واجْعَلْه قبلة تعظيم وتنزيه
ولست تفعل هذا إن ظَنَنْت به
نَقْصًا ولا خَلَلاً فيما يُعانِيه
واتْرُك مُرادك واسْتَسْلِم له أبَدًا
وكُنْ كَمَيْتٍ مُخَلّى في أياديه
اعْدم وُجُودك لا تَشْهَدْ له أثرًا
ودَعْه يَهْدمه طَوْرًا ويَبْنِيه
متى رأيتك شيئًا كُنْتَ مُحْتَجِبًا
برُؤْية الشيء عمّا أنت ناويه
ولا ترى أبدًا عنه غِنًى فمتى
رأيت عنه غِنًى تخشى تَناسِيه
إنّ اعتقادك إنْ لم تأتِ غايته
فيه فيُوشك أن تُخْفَى مَبَادِيه
وغايَةُ الأمر فيه أن تَراه على
نَهْجِ الكَمَال وأن الله هادِيه
ومِنْ إمارة هذا أن تزول ما
عليك أشكل إظْهارًا لِخافِيه
والمَرْءُ أن يعتقد شيئًا وليس كما
يَظُنُّه لم يَخِبْ فالله مُعْطِيه

وليس يَنْفَع قُطْب الوقت ذا خَلل
في الاعتقاد ولا مَنْ لا يواليه
إلّا إذا سَبَقَتْ للعبد سابقةٌ
يعودُ من بعد هذا مِنْ مَواليه
ونظرةٌ منه إنْ صحت إليه على
سبيل ودّ بإذن الله تُغْنِيه
والنّاس عبدان مَجْذُوبٌ وسالكٌ ما
دَعَى إليه بتعليمٍ وتَنْبيه
والجَذْب أَخْذَةُ عَبْدٍ بَغْتةً بِيَدي
عناية نحو أمْر ليس يَنْوِيه
هو المُراد ومخطوب العناية لا
يَحِسّ كلفةَ تكليفٍ تلاقيه
طَوْرًا يُرَدُّ عليه الحِسُّ تَكْمِلة
له فيقصد ما قد كان ناويه
تراه يَعْبُد لا يَلْوِي على شُغُلٍ
سِوَى العِبادة يَسْتَحْلي تفانيه
وقد يَغِيبُ عن الإحساس مُخْتَطفًا
وذو العناية حفظ الحقّ يَحْمِيه
ترى الحقائق تبدو منه في نَسَقٍ
مع الكشوف لأن الله يلقيه
وذو السّلوك تراه في بدايته
يُجَاهِد النّفس ذا رَعْيٍ لباقيه
يمشي على نهج أهل الصّدق ملتزمًا
شروطهم خائفًا مما يُرجّيه
كم من مُريدٍ قَضَى ما نال بُغْيَته
حقّ القضاء عليه في تقاضيه

وكم مريد وَنى من بَعْدِ عَزْمَتِهِ
يَهْوِي به الحظّ في أهوى مَهَاوِيه
والجَذْبُ إنْ جاءَ مِنْ بعدِ السُّلوكِ له
فضلٌ على الجَذْب مما السعي تاليه
فالجَذْبُ هذا الذي التفضيل فيه هو الـ
ـجذب الذي ظهرت حِسًّا بواديه
وفي الحقيقة لولا الجَذْب ما سُلِكَتْ
طريقُ حقٍّ ولا رُئِيَتْ مَرَائِيهِ
لولا العِنايةُ والتَّخْصيص قد سَبَقا
في دَعْوَةِ العبد ما قامت دَعَاوِيهِ
إنَّ المُرِيد مُرَاد والمُحِبّ هو الـ
ـمحبوب فاستمل هذا من أماليه
إنْ كان يَرْضاك عَبْدًا أنت تَعْبُدُهُ
وإنْ دَعَاكَ مع التَّمْكِينِ تاتِيه
ويفْتَح الباب إكرامًا على عَجَلٍ
ويرْفَعُ الحُجْب كَشْفًا عن تَدَانِيهِ
وثَمّ تَعْرِف ما قد كُنْتَ تَجْهَلُهُ
ممّا عَنِ الحَضْرِ قد جُلّتْ مَعَانِيهِ
وتَرْتَوِي من شراب الأُنس صافية
يا سَعْدُ مَنْ يَأْتِ مملوءًا بصافيهِ
وَصَلِّ يا ربّ ما غَنّتْ مُطَوّقةٌ
على النَّبِيّ صلاة مِنْكَ تُرْضِيه

فهرس المحتويات

الرحمة الهابطة في تحقيق الرابطة



RISÂLAT AL-MAMDA᾽ WAL-MAᶜÂD

by

Al-᾽imām Aḥmad al-Fārūqi al-Sarhandi

Followed by

ᶜAṬIYYAT AL-WAHHÂB
AL-FÂṢILAH BAYN AL-ḪAṬA᾽ WAL-ṢAWÂB

and

TARJAMAT AḤWÂL AL-᾽IMÂM AL-RABBÂNI
AḤMAD AL-FÂRÛQI AL-SARHANDI

both by

Muḥammad Murâd al-Manzalawi

Followed by

AL-RAḤMAH AL-HÂBIṬAH
FÎ TAḤQÎQ AL-RÂBIṬAH

by

Ḥusayn al-Dawsari

All edited by

Dr. ᶜĀṣim Ibrāhīm Al-kayāli

DAR AL-KOTOB AL-ILMIYAH
Beirut-Lebanon